المجلد 6

صفحة 351 حتى النهاية

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائتين

ذكر الحرب بين عسكر عمرو بن الليث وبين عسكر الموفّق

في هذه السنة سار المرفق إلى فارس لحرب عمرو بن الليث الصفار، فبلغ الخبر إلى عمرو فسيّر العبَّاس بن إِسحاق في جمع كبير من العسكر إِلى سيراف . وأنفذ ابنُه محمَّد بن عمرو إلى أرجان . وسيَّر أبا طَلْحَة شَرّكبُ صاحب جيشه على مقدِمَتِهِ ، فاستأمن أبو طَلْحَة إلى الموفق وسمع عمرو ذلك ، فتوقْف عن قصد الموفق ، ثم أن أبا طَلْحَةَ عزم على العودِ إلى عمرو ، فبلغ الموفّق خبره ، فقبض عليه بقرب شِيراز، وجعل ماله لابنه المعتضد أبي العبّاس . وسار يطلب عمراً ، فعاد عمرو إلى كَرَمَان ، ومنها إلى سجستان على المفازة فتوفّي ابنه محمد بالمفازة . ولم يقدر الموفق على أخذ كرمان ، وسجستان من عمرو، فعاد عنه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا بازمار(ا) فأوغل في أرض الروم ، فأوقع فيها بكثير من أهلها، وقتل ، وغنم وسَبَى وأسر، وعاد سالماً إلي طرسوس . وفيها دخل صديق الفرغاني دُؤرَ سامرا . فنهبها وأخذ أموال التجار منها ، وأفْسَدَ وكان صديق هذا يخفر الطريق ، ويحميه ثم صار يقطعها، وحج بالناس هارون بن محمد . وفيها توفي أبو العباس بن الكَبَش بن المتوكل ، وكان قد حبسه أخوه المعتمد ثم أطلقه . وفيها توفي الحسن بن مكرم ، وعليّ بن عبد الحميد الواسطي . وفيها جمع اسحاق بن كنداج جمعاً كثيراً، وسار نحو الشام فبلغ الخبر خمارويه ، فسار إليه وقد عبر الفرات ، فالتقيا، وجرى بين الطائفتين قتال شديد، انهزم فيه إسحاق هزيمةً عظيمةً، لم يرده شيء حتى عبر الفرات وتحصَّن

(ا) في الطبري : " يا زمان " .

بها . وسار خمارويه إلى الفرات فعمل جسراً . فلما عَلِمَ اسحاق بذلك سار من هناك إلى قلاع له قد أعدَّها وحصَّنها . وأرسل إلى خمارويه يخضع له ويبذل له الطاعة في جميع ولايته ، وهي الجزيرة وما والاها فأجابه إلى ذلك ، وصالحه ابن أبي السَّاج ، وجمع جمعاً كثيراً، وسار نحو الشام قاصداً منازعة خمارويه حيث كان أبْعِدَ إلى مصر فبلغ الخبر خمارويه ، فخرج عن مصر في عساكره فالتقيا في البثنية من أعمال دمشق . فاقتتلا قتالاً عظيماً انهزم ابن أبي السَّاج ، وعاد منهزماً حتى عبر الفرات فأحضر خمارويه ولد ابن أبي السَّاج ، وكان رهينة عنده فخلع عليه وأطلقه وسيَّره إلى أبيه وعاد إلى مصر.

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائتين

ذكر الاختلاف بين خمارويه وابن أبي السَّاج

قد ذكرنا اتفاق ابن أبي السَّاج ، وخمارويه بن طولون ، وطاعة ابن أبي السَّاج له ، فلما كان الآن خالف ابن أبي السَّاج على خمارويه . فسمع خمارويه الخبر، فسار عن مصر في عساكره نحو الشام فَقَدِم إِليه آخر سنة أربع وسبعين ، فسار ابن أبي السَّاج إليه ، فالتقوا عند ثنية العقاب بقرب دمشق . واقتتلوا في المحرم من هذه السّنة، وكان القتال بينهما . فانهزمت مَيمَنَةُ خمارويه وأحاط باقي عسكره بابن أبي السَّاج ومن معه . فمضى منهزماً واستُبِيحَ معسكره ، وأُخِذَت الأثقالُ والدَّواب وجميع ما فيه . وكان قد خَلَّف بحمص شيئاً كثيراً ، فسيرَ إليه خمارويه قائداً في طائفتين من العسكر جريدة، فسبقوا ابن أبي السَّاج إليها، ومنعوه من دخولها والاعتصام بها، واستولوا على ماله فيها . فمضى ابن أبي السَّاج منهزماً إلى حلب ، ثم منها إلى الرقة فتبِعَهُ خمارويه ففارق الرقة، فعبر خمارويه الفرات ، وسار في أثر ابن أبي السَّاج ، فوصل خمارويه إلى مدينة بلد ، وكان قد سبقه ابن أبي السَّاج إلى المُوصِل . فلما سَمِعَ ابن أبي السَّاج بوصولهِ إلى بلد، سار عن الموصل إلى الحديثة . وأقام خمارويه ببلدٍ وعمل له سريراً طويل الأرجل ، فكان يجلس عليه في دَجلَة، هكذا ذكر أبو زكريا يزيد بن أياس الأزديّ الموصلي ، صاحب تاريخ الموصل ، أن خمارويه وصل إلى بلد، وكان إماماً فاضلاً عالماً بما يقول ، وهو يشاهدُ الحال .

ذكر الحرب بين ابن كنداج وابن أبي السَّاج

لما انهزم ابنُ كنداج من ابن أبي السَّاج ، كما ذكرناه ، أقام إلى أن انهزم ابن أبي السَّاج من خمارويه . فلما وَافى خمارويه بلداً أقام بها وسيَّر مع اسحاق بن كنداج جيشاً كثيرا ، وجماعة من القوّاد، ورحل يطلب ابن أبي السَّاج ، فمض بين يديه وابن كنداج

يتبعه إلى تكريت . فعَبَرَ ابن أبي السَّاج دَجَلَة، وأقام ابن كنداج وجمع السفن ليعمل جسراً يعبر عليه . وكان يجري بين الطائفتين مَراماة . وكان ابن أبي السَّاج في نحو ألفي فارس ، وابن كُنداج في عشرين ألفاً . فلما رأى ابن أبي السَّاج اجتماع السفنِ سار عن تكريت إلى الموصل ليلاً، فوصل إليها في اليوم الرابع ، فنزل بظاهرها عند الدير الأعلى . وسار ابن كنداج يتبعه فوَصَلَ إلى العَزيق (١) . فلما سَمِعَ ابن أبي السَّاج خَبَرَهُ ، سار إليه فالتقوا واقتتلوا عند قصر حرب ، فاشتد القتالُ بينهم وصَبَر محمَّد بن أبي السَّاج صبراً عظيماً، لأنه كان في قلةٍ ، فنصره الله ، وانهزم ابن كِندَاج ، وجميع عسكره ، ومضى منهزماً . وكان أعظم الأسباب في هزيمته بغيه فإنه لما قيل له : إن ابن أبي الش أج قد أقبل نحوك من الموصل ليقاتلك ، قال : استقبل الكلب . فعدَّ الناس هذا بغياً وخافوا منه ، فلما انهزم ، وسار إلى الرقة، وتبعه محمّد-إليها، وكتب إلى أبي أحمد الموفَق يعرفه ما كان منه ويستأذنه في عبور الفُرات إلى الشام بلاد خمارويه . فكتب إليه الموفق يشكرُهُ ويأمرُهُ بالتوقف إلى أن يصله الإمدَادُ من عنده .

وأما ابن كنداج ، فإنه سار إلى خمارويه ، فسيَّر معه جيشاً فوصلوا إلى الفرات.

فكان اسحاق بن كِنداج على الشام ، وابن أبي السَّاج بالرّقة ووكّل بالفُرات من يمنع من عبورها، فبقوا كذلك مدة . ثم إن ابن كنداج سير طائفة من عسره ، فعبروا الفرات في غير ذلك الموضع ، وساروا فلم تشعر طائفة من عسكر ابن أبي السَّاج . كانوا طليعة إلا وقد أوقعوا بهم ، فانهزموا من عسكر اسحاق إلى الرقة، فلما رأى ابن أبي السَّاج ذلك سار عن الرقة إلى الموصل . فلما وصل إليها طلب من أهلها المساعدَة بالمال ، وقال لهم : ليس بالمضطر مروءة . فأقام بها نحو شهر وانحدر إلى بغداد فاتصل بأبي أحمد الموفّق ، في ربيع الأول من سنة ست وسبعين ومائتين ، فاستصحبه

معه إلى الجبل وخلع عليه ، ووصله بمال . وأقام ابن كِنداج بديار ربيعة ، وديار مَضَر من أرض الجزيرة .

ذكر الحرب بين الطائيّ وفارس العبديّ

وفيها ظهر فارس العبديّ في جمعٍ ، فأخاف السبيلَ ، وسار إلى دُورِ سامراء،

ونهب فسار إليه الطائف مقاتلًا، فهزمه الطائي وأخذَ سواده ، ثم سار الطائيُّ إِلى دجلة

(1) في معجم البلدان " العَزيف " بالفاء ، وهو أسم رمل بعينه لبني سعد .

ليعبرها، فدخل طيارة له فأدركه بعض أصحاب فارس فتعلقوا بكوثلِ الطيارة فرمى
الطائي نفسه في الماء وسبح . فلما خرج منه نَفَضَ لحيتَهُ وقال : " ايش ظن العبدي
أليس أنا أسبح من سمكة . ، ثم نزل الطائي السن والعبدي بإزائه وقال عليّ بن بسَّام في الطائي :

قد أقبل الطائي ما أقبلا بفتح في الأفعال ما أجملا(1)

كأنه من لينِ ألفاظِهِ صَبِيةٌ تمضغُ جهدَ البلا

وجهد البلا ضرب من النافط يتعلك . وفيها قبض الموفق على الطائي وقيّده وختم
على كل شيء له . وكان يلي الكوفة، وسوادها، وطريق خراسان ، وسامرا، والشرطة ببغداد ، وخراج بادوريا ، وقطربل ، ومسكِن .

ذكر قبض الموفّق على ابنه المُعتَضَدَ بالله

في هذه السنة في شوّال ، قبض الموفّق على ابنه المعتضد بالله أبي العبَّاس أحمد . وسببُ ذلك أن الموفق دخل إلى واسط ، ونزل بها ثم عاد إلى بغدادَ وتخلَّفَ المعتمد على الله بالمدائنِ . وأمر الموفق ابنه أن يسير إلى بعض الوجوه ، فقال : "لا أخرج إلا إلى الشام ، لأنها الولاية التي ولانيها أمير المؤمنين " . فلما امتنع عليه أمر بإحضاره ، فلما حضر أمر بعض خَدَمِهِ أن يحبسه في حجرةٍ في دارِه. فلما قام المعتضد تَقدمَ إليه الخادمُ وأمره بدخولِ تلك الدُّار، فدخل ، ووكل به فيها . وثار القوَاد من أصحابه ، ومن تبعهم ، وركبوا وأضطربت بغداد لما رأوا السلاح والقواد . فركب الموفّق إلى الميدان وقال لهم : " ما شأنكم أترَوْن أنكم أشفقُ على ولدي مني ؟ " وقد احتجَت إلى تقويمه ، فانصرفوا .

وفي هذه السَّنة سار الطائيُّ إلى سامرا بسبب صديق ، فراسله وأمّنه ، ودخل سامرا في جماعة من أصحابه فأخذهم

الطائي وقطع أيديهم ، وأرجلهم ، من خلاف وحملهم إلى بغداد .

وفيها غزا بازمار(2) في البحر فغنم من الروم أربع مراكب .

(1) في الطبري :

قد أقبل الطائي لا أقبلا قبّح في الأفعال ما أجملا

(2) في الطبري " يازمان " وقد تقدم .

ذكر استيلاء رافع بن هَرثمَة على جرجان

في هذه السنة سار رافع بن هرثمة، إلى جرجان فازال عنها محمد بن زيد . وسار محمد إلى استرأباذ فحصره فيها رافع ، وأقام عليه نحو سنتين فغلت الأسعار بحيث لم يوجد ما يؤكل ، وبيع وزن درهم ملح بدرهمين فضة . وفارقها محمد بن زيد ليلاً في نفرٍ يسير إلى سارية . فسيَّر إليه رافع عسكراً فتحاربا، وسار محمد عن سارية وعن طبرستان ، وذلك في ربيع الأول سنة سبعٍ وسبعين ومائتين .

واستأمن رُستُم بن قارن إلى رافع بطبرستان ، فصاهره ابن قولة . وقَدِمَ على رافع – وهو بطبرستان – عليّ بن الليث ، وكان قد حبسه أخوه عمرو بكرمان فاحتال ، حتى تخلص هو وابناه المعدل ، والليث . وأنفذ رافع إلى شالوس محمد بن هارون نائباً عنه فأتاه بها عليّ بن كالي مستأمناً، فأتاهما محمد بن زيد وحصرهما بشالوس ، وأخذ الطريق عليهما، فلم يصل منهما إلى رافع خبر. فلما تأخر خبرهما عنه أرسل جاسوساً يأتيه بأخبارهما، فعاد إليه فاخبره بحصر محمد بن زيد أياهما بشالوس ، فعظم عليه ، وسارإليهما، فرحل عنهما محمد بن زيد إلى أرض الديلم. فدخل رافع خَلْفَة أرض الديلم فخرقها، حتى اتصل بحدود قزوين ، وعاد إلى الريّ ، وأقام بها إلى أن توفي الموفق في رجب سنة ستٍ وسبعين ومائتين .

ذكر وفاة المنذر بن محمّد الاموي

وفيها في المحرم ترفي المنذرُ بن محمًد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي صاحب الأندلس . وقيل : في صَفَر، وكانت ولايته سنة واحدة وأحد عشر شهرا وعشرة أيام . وكان عمره نحواً من ستة وأربعين سنة، وكان أسمر، طويلاً بوجهه أثر جدري ، جعداً، كث اللحية، وخلَّفَ ستة ذكور. وكان جواداً يصل الشعراء ويحب الشعر. ولما لَوفي بُويع أخوه عبد الله بن محمد بويع له يوم موت أخيه . وكُنيَته أبو محمد، أمه أم ولد اسمها عشار، توفيت قبل ابنها

بسنة . وفي أيامه امتلأت الأندلس بالفتن وصار في كل جهة متغلب ولم تزل كذلك طول ولايته .

ذكر عدة حوادث

وفيها توفيَ أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروروذي وهو صاحب

أحمد بن حنبل ، وعبد الله بن يعقوب بن اسحاق العطار الموصلي التميمي ، وكان كنير الحديث والرواية، وكان معدلاً عند الحكام . وفيها توفي أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبدُ الله البكري النحوي اللغوي المشهور صاحب التصانيف ، وقيل : ترفي سنة سبعين والأول أصح .

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائتين

في هذه السَّنة جُعلتْ شرطةُ بغداد إلى عمرو بن الليث ، وكتب اسمه على الأعلام ، والترسة وغيرها . وكان ذلك في شوال (1)، ثم ترتب في الشرطة عبيدَ الله بن عبد الله بن طاهر من قبل عمرو، ثم أمره بطرح اسم عمرو عن الاعلام وغيرها في شوال من هذه السنة . وفيها في منتصف ربيع الأول ، سار الموفّق إلى بلاد الجبل . وسبب مسيره أن الماذرائي كاتب إذْكوتكين ، أخبره أن له هناك مالاً عظيماً، وانه ان سار معه أخذه جميعه ، فسار إِليه فلم يجد المال . فلما لم يجد شيئاً سار إلى الكرج ، ثم إلى أصبهان ، يريد أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف . فتنحى أحمد عن البلد بجيشه وعياله وترك داره بفرشها لينزلها الموفق إذا قدم . وفيها استعمل الموفق بالله على اذربيجان ابن، أبي السَّاج فسار إليها فخرج إليه عبد الله بن الحسن الهمذاني ، صاحب مراغة ليصده عنها ، فحاربه ، فانهزم عبد الله وحصر وأخِذَتْ منه سنة ثمانين ومائتين ، كما نذكره . واستقر ابن أبي السَّاج لعمله .

وفيها قَتَلَ عاملُ الموصل لابن كنداج إنساناً من الخوارج اسمه نعيم . فسمع هارون مقدم الخوارج بذلك وهو بحديثة الموصل ، فجمع أصحابه ، وسار إلى الموصل يريد حرب أهلها ، فنزل شرفي دجلة . فأرسل إليه أعيانهم ، ومقدموهم يسألونه ما الذي أقدمه ؟ فذكر قتل نعيم فقالوا : إنما قتله عامل السلطان من غير اختيار منا وطلبوا منه الأمان ليحضروا عنده يعتذرون ويتبرأون من قتله فأمنهم . فخرج إليه جماعة من أهل الموصل وأعيانهم وتبرأوا من قتله فرحل عنهم . وفيها عاد حجاج اليمن عن مكة فنزلوا وادياً فاتاهم السيل فحملهم جميعهم وألقاهم في البحر. وفيها توفي أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشيّ البصري ، وكان يسكن بغداد .

(1) في الطبري " وذلك في المحرم " .

وفيها ورد الخبر بإنفراج تل من نهر البصرة يعرف بتل شقيق (ا) عن سبعة أقر فيها سبعة أبدان صحيحة، والقبور في شبه الحوض عن حجر في لون المسن عليه كتاب لا يدرى ما هو، وعليهم أكفان جدد وبفوح منها ريح المسك ، أحدهم شاب له جمة، وعلى شفتيه بلل كأنه قد شرب ماء، وكأنه قد كحل وبه ضربة في خاصرته .

وحج بالناس هارون بن محمد الهاشمي . وفيها توفي أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، صاحب كتاب أدب الكاتب ، وكتاب المعارف ، وهو كوفي ، وانما قيل له : الدينوري لأنه كان قاضيها، وقيل : مات سنة سبعين ، وأبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله اليشكري النحوي الراوية، وكان مولده سنة اثنتي عشرة ومائتين . وفيها توفي محمد بن عليّ أبو جعفر القصاب الصوفي ، وهو من أقران السريّ ، وصحبه الجنيد كثيراً .

(ا) في الطبرى : وفيها ورد الخبر بانفراج تل بنهر الصلة –ويعرف بتل بنى شفيق.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائتين

في هذه السنة دعا بازمار بطرسوس لخمارويه بن أحمد بن طولون . وسبب ذلك أن خمارويه أنفذ اليه ثلاثين ألف دينار، وخمسمائة ثوب ، وخمسمائة مطرف ، وسلاحاً كثيراً . فلما وصل اليه دعا له ثم وجه إليه بخمسين الف دينار. وفيها في ربيع الآخر، كان بين وصيف خادم ابن أبي الساج ، والبرابرة أصحاب أبي الصَّقر فتنة فاقتتلوا ، فقغل بينهم جماعة ، كان ذلك بباب الشام ، فركب ابو الصقر ففرقهم (1) . وفيها ولى يوسف بن يعقوب المظالم ، وأمر من ينادي من كانت له مظلمة قبل الأمير الناصر لدين الله الموفق أو أحد من الناس فليحضر . وفيها في شعبان قَدِمَ بغداد قائد عظيم من قواد خمارويه بن أحمد بن طولون في جيش عظيم . وحج بالناس هارون بن محمد بن عيسى الهاشمي . وفيها توفي أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي المثنى الموصلي ، وكان كثير الحديث وهو من أهل الصدق والأمانة . وفيها توفّي أبو حاتم الرازي ، واسمهه محمد بن ادريس بن المنذر ، وهو من أقران البخاري ، ومسلم ، ومات فيها يعقوب بن سفيان بن حوّان السري ، وكان يتشيع ويعقوب بن يوسف بن معقل الأموي ، والد أبي العباس الأصم . وفيها توفيت عُريب المغنية المأمونية، وقيل : انها ابنةُ جعفَرَ بن يحيى بن خالد بن برمك وكان مولدها سنة إحدى وثمانين ومائة . وفيها توفي أبو سعيد الخراز واسمه أحمد بن عيسى وقيل : سنة ست وثمانين والأول أشبه بالصواب ، (الخراز) بالخاء المعجمة والراء والزاي .

(1) في الطبري : " فسكنهم " .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين

ذكر الفتنة ببغداد

فيها كانت الحرب ببغداد بين أصحاب ، وصيف الخادم ، والبربر، وأصحاب موسى ابن أخت مفلح ، أربعة أيام من المحرم ، ثم اصطلحوا، وقد قتل بينهم جماعة . ثم وقع بالجانب الشرقي وقعة بين النصريين وأصحاب يونس ، قتل فيها رجل ثم انصرفوا .

ذكر وفاة الموفَّق

وفيها توفي أبو أحمد الموفّق بالله بن المتوكل . وكان قد مَرِضَ في بلاد الجبل ، فانصرفَ ، وقد اشتد به وجع النقرس ، فلم يقدر على الركوب ، فعمل له سرير عليه قبة، فكان يقعد عليه ، وخادم له يبرد رجله بالأشياء الباردة حق أنه يضع عليها الثل! . ثم صارت علة برجله داء الفيل –وهو ورم عظيم يكون في الساق يسيل منه ماء– وكان يحمل سريره أربعون رَجُلاً بالنوبة، فقال لهم يوماً: قد ضَجِرْتُم من حملي بودّي أن أكون كواحد منكم أحمل على رأسي وأكِل (1) وأنا في عافية . وقال في مرضه : أطبق ديواني على مائة ألف مرتزق ، ما أصبح فيهم أسوأ حالاً مني ، فوصل إلى داره لليلتين خلتا من صَفَرِ وشاعَ موته بعد انصراف أبي الصَّقر من داره ، وكان تقدم بحفظ أبي العباس فأغلِقت عليه أبواب دون أبواب وقوي الإرجاف بموته ، وكان قد اعترته غشية.

فوجه أبو الصَّقر إلى المدائن ، فحمل منها المعتمد وأولاده فجِيءَ بهم إلى داره ، ولم يسر أبو الصَّقر إلى دار الموفق ، فلما رأى غِلمان الموفق الماثلون إلى أبي العباس ، والرؤساء من غلمان أبي العباس ما نزل بالموفق كسروا الأقفال ، والأبواب المغلقة عنى

(1) أكِل :أتعب .

أبي العبّاس . فلما سَمِعَ أبو العباس ذلك ظن أنهم يريدون قتله وأخذ سيفه بيده ، وقال لغلامٍ عنده : " والله لا يصلون إلف وفن شيءٌ من الروح ". فلما وصلوا إليه رأى، في أولهم غلامه وصيفاً مُوشْكِير ، فلما رآه ألقى السيف من يده ، وعلم أنهم ما يريدون إلا الخير : فأخرجوه ، وأقعدوه عند أبيه فلما فتح عينه رآه فقربه وأدناه إليه . وجمع أبو الصَّقر عنده القوّاد والجُندَ ، وقطع الجسرين ، وحاربه قومٌ من الجانب الشرفي فقتل بينهم قتلى .

فلما بلغ الناسُ أنّ الموفق حيُّ ، حضرَ عنده محمد بن أبي الساج ، وفارق أبا الصًقر، وتسلل القوّاد ؛ والناس عن أبي الصَّقر . فلما رأى أبو الصَّقر ذلك حضر هو، وابنه دار الموفق فما قال له الموفق شيئاً مما جرى، فأقام في دار الموفق . فلما رأى المعتمد أنه بقي في الدَّارِ نزل هو، وبنوه ، وبَكْتَمَر، فركبوا زورقاً فلقيهم طيار لأبي ليلى بن عبد العزيز بن أبي دلف ، فحمله فيه إِلى دار عليّ بن جهشيار. وذكر أعداء أبن الصَّقر أنه أراد أن " يتقرَّب إلى المعتمد بمال الموفق وأسبابه ، وأشاعوا ذلك عنه عند أصحاب الموفق ، فنهب دار أبي الصَقر حتى أخرِجَتْ نساؤه منها حفاة بغير أزر، ونهب ما يجاوره من الدورِ، وكُسِرَتْ أبوابُ السجون ، وخرج من كان فيها .

وخلع الموفق على ابنه أبي العباس وعلى أبي الصَّقر وركبا جميعاً . فمضى أبو العباس إلى منزله وأبو الصَّقر إلى منزله ، وقد نهب . فطلب حصيرةً يقعد عليها عارية . فولى أبو العباس غلامه بدراً الشرطة ، واستخلف محمد بن غانم بن الشاه على الجانب الشرفي .

ومات الموفق يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر من هذه السنة، ودفن ليلة الخميس بالرّصافة، وجلس أبو العباس للتعزية . وكان الموفّق عادلاً حسن السيرة يجلس للمظالم ، وعنده القضاة وغيرهم ، فينتصف الناس بعضهمِ من بعض وكان عالماً بالأدب ، والنسب ، والفقه ، وسياسة الملك ، وغير ذلك . قال يوماً : إن جدي عبدُ الله بن العباس قال : " إن الذبابَ ليقع على جليسي فيؤذيني

ذلك – وهذا نهاية الكرم – وأنا والله أرى جلسائي بالعين التي أرى بها اخواني . والله لو تهيأ لي أن أغير أسماءهم لنقلتها من الجلساء إلى الأصدقاء والاخوان ".

وقال يحيى بن عليّ : دعا الموفق يوماً جلساءه فسبقتهم وحدي فلما رآني وحدي

أنشد يقول :

وأستصحب الأصحابَ حتى إذا دنوا   وملوا من الإدلاج جئتكم وحدي

فدعوت له ، واستحسنت إنشاده في موضعه . وله محاسن كثيرة ليس هذا موضع ذكرها .

ذكر البيعة للمعتضد بولاية العهد

لما مات الموفق اجتمع القوَّاد وبايعوا ابنه أبا العباس ، بولاية العهد بعد المفوض ابن المعتمد ولقب المعتضد بالله ، وخطب له يوم الجمعة بعد المفوض ، وذلك لسبع ليالٍ بقين من صفر. واجتمع عليه أصحاب أبيه وتولّى ما كان أبوه يتولاه . وفيها قبض المعتمد على أبي الصَّقر وأصحابه ، وانتهب منازلهم . وطلب بني الفرات فاختفوا . وخلع على عبيدَ الله بن سليمان بن وهب ، وولاه الوزارة . وسيَّر محمد بن أبي السَّاج إلى واسط ليرد غلامه وصيفاً إلى بغداد، فمضى وَصِيفُ إلى السوس ، فعاث بها ونهب الطيب وأبى الرّجوع إلى بغداد. وفيها قتَلَ عليّ بن الليث أخو الصَّفار قتله رافع بن هرثمة، وكان قد يحنق به ، وترك أخاه . وفيها غار ماء النيل فغلت الأسعار بمصر. ذكر ابتداء أمر القرامطة

وفيها تحرك بسواد الكوفة قومٌ يُعرفون بالقرامطة . وكان ابتداء أمرهم ، فيما ذكر، أن رجلاً منهم قَدِمَ من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة، فكان بموضع يُقال له : النهرين ، يُظهِرُ الزهد، والتقشف ، ويسف الخوص (ا) ويأكل من كسب يده ، ويكثرُ الصلاة ، فأقام على ذلك مدة . فكان إذا قعد إِليه رجلٌ ذاكره أمر الدين وزُهدِه في الدنيا ، وأعلمه أنّ الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كلِّ يوم وليلة، حتى فشا ذلك عنه بموضعه . ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من آل بيت الرسول ، فلم يزل على ذلك حتى استجاب له جمع كثير. وكان يقعد إلىً بَقالٍ هناك ، فجاء قوم إلى البقال يطلبون منه رجلاً يحفظ عليهم ما صرموا من نخلهم فدلّهم عليه ، وقال لهم : " ان أجابكم إلى حفظِ تمركم فإنه بحيث

تحبون ، فكلموه في ذلك " . فأجابهم على أجرة معلومة فكان يحفظ لهم ويصلي أكثر نهاره ويصوم ، ويأخذ عند افطاره من البقال رطل

(ا)يسف الخوص : ينسجه .

تمر، فيفطر عليه ، ويجمع نوى ذلك التمرِ ويعطيه البقال . فلما حمل التجّار تمرهم حاسبوا أجيرهم عند البقال ، ودفعوا إليه أجرته . وحاسب الأجير البقال على ما أخذ منه من التمر وحط ثمنِ النوى . فسمع أصحاب التمر محاسبته للبقال بثمن النوى، فضربوه وقالوا له : لم ترض بأكلِ تمرنا حتى بغتَ النوى . فقال لهم البقال : لا تفعلوا. وقص عليهم القصة، فندموا على ضربه ، واستحلوا منه ، ففعل ، وازداد بذلك عند أهل – القرية (١)لما وقفوا عليه من زهده .

ثم مرض فمكث على الطريق مطروحاً، وكان في القرية رجل أحمر العينين ،

يحمل على أثوار له يسمونه ميتة لحمرة عينيه –وهو بالنبطية أحمر العين –فكلَّم البقال الكرميتة في حمل المريض إلى منزلِهِ والعناية به ، ففعل وأقام عنده حتى برأ . ودعا أهل تلك الناحية إلى مذهبه فأجابوه . وكان يأخذ من الرجل إذا أجابه ديناراً ويزعم أنه للإمام ، واتخذَ منهم اثني عشر نقيباً أمرهم أن يدعوا الناس إلى مذهبهم ، وقال : أنتم كحواري عيسى ابن مريم . فاشتغل أهل كور تلك الناحية(2) عن أعمالهم بما رسم لهم من الصلوات .

وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع فرأى تقصير الأكرة في عمارتها، فسأل عن ذلك ، فأخبر بخبر الرجل فأخذه ، وحبسه وخَلَفَ أن يقتله لما اطلع على مذهبه ، وأغلق باب البيت عليه ، وجعل مفتاح البيت تحت وسادَتِهِ واشتغل بالشرب . فسمع بعض من في الدار من الجواري بحبسه فرقت للرجل ، فلما نام الهيصم أخذت المفتاح ، وفتحت الباب ، وأخرجته ، ثم أعادت المفتاح إلى مكانه . فلما أصبح الهيصم فتح الباب ليقتله ، فلم يجده وشاع ذلك في الناس فافتَتَنَ أهلُ تلك الناحية وقالوا : رفع .

ثم ظهر في ناحية أخرى، ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم ، وسألوه عن قصَّتِهِ فقال : لا يمكن أحداً أن ينالني بسوء فعَظيَم في أعينهم . ثم خافَ على نفسِهِ فخرجَ إلى ناحية الشام ، فلم يوقف له على خبر . وسمي باسم الرجل الذي كان في داره كرميتة، صاحب

الأثوار، ثم خففَ فقِيلَ : قرمط ، هكذا ذكره بعض أصحاب زكرويه عنه .

(1) في الطبري : " وازداد بذلك نبلاً عند اهل القربة " .

(2) في الطبري : " فاشغل أكره تلك الناحية " .

وقيل : إن قرمط لقبَ رجلٌ كان بسواد الكوفة يحمل غلة السواد على أثوار له واسمه حمدان. ثم فشا مذهب القرامطة بسواد الكوفة . ووقف الطائف أحمد بن محمد على أمرهم ، فجعل على الرجل منهم في السّنة ديناراً وكان يجبي من ذلك مالاً جليلاً فقَدِم قوم من الكوفة ، فرفعوا أمر القرامطة ، والطائف إلى السلطان ، وأخبروه أنهم قد أحدثوا ديناً غيرَ دينِ الاسلام ، وأنهم يرون السَّيفَ على أمةِ محمد صلى الله عليه وسلم إلا من بايعهم فلم يلتفت إليهم ، ولم يسمع قولهم .

وكان فيما حكى عن القرامطة من مذهبهم أنهم جاؤوا بكتاب فيه " بسم الله الرحمن الرحيم " يقول الفرج بن عثمان – وهو من قرية يقال لها نصرانة – داعية المسيح وهو عيسى، وهو الكلمة، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد ابن الحنفية، وهو جبريل .

وذكِرَ أن المسيح تصوّر له في جسم انسان ، وقال له : إنك الداعية ، وإنك الحجة وإنك الناقة ، وإنك الدابة ، وإنك يحض بن زكريا، وإنك روح القدس . وعرَّفه أن الصلاة أربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان بعد غروبها(ا) . وأن الأذان في كل صلاة ، أن يقول المؤذن : " الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله مرتين أشهد أن آدم رسول الله أشهد أن نوحاً رسول الله أشهد أن ابراهيم رسول الله أشهد أن موسى رسول الله أشهد أن عيسى رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله " . وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح وهي من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية . والقبلة إلى بيت المقدس ، الحج إلى بيت المقدس . وان الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء والسورة الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه المتخذ لأوليائه بأوليائه .قُلْ إن الأهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلم عدد السنين ، والحساب والشهور والأيام ، وباطنها أولين في الذين عرفوا عبادي سبيلي اتقوني يا أولي الألباب وأنا الذي لا أسأل عما أفعل ، وأنا

العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي ، وامتحن خلقي فمن صبرَ على بلائِي ومحنتي واختباري ، ألقيته في جنتي وأخلدتُهُ في نعمتي ، ومن زال عن أمري ، وكذَب رسلي أخذته مهاناً في عذابي ، وأتممت أجلي ، وأظهرت أمري على ألسِنَةِ رسلي ، وأنا الذي

(1) في الطبرى " قبل غروبها "

لم يعلُ عليّ جبَّار إلّا وضعته ، ولا عزيز إلا أذللته ، وليس الذي أصر على أمري ودام (1) على جهالته ، وقالوا لن نبرحَ عليه عاكِفِينَ وبه موقنين (2)، أولئك هم الكافرون ، ثم يركع ويقول في ركوعه : سبحان ربي رب العزةِ، وتعالى عما يصف الظالمون ، يقولها مرتين . فإذا سجد قال : الله أعلى الله أعلى الله أعظم الله أعظم . ومن شريعته أن يصوم يومين في السَّنة وهما المهرجان ، والنيروز. وأن النبيذ حرام والخمر حلال . ولا غسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة . وان من حاربه وجب قتله ، ومن لم يحاربه ممن يخالفه أخذ منه الجزية . ولا يأكل كل ذي نابٍ ولا كلٌ ذي مخلب.

وكان مصير قرمط إلى سواد الكوفة قبل قتل صاحب الزنج فسار قرمط إليه ، وقال له : إني على مذهب ورأي ، ومعي مائة ألف ضارب سيف فتناظرني فإن اتفقنا على المذهب ، ملت إليك بمن معي ، وإن تكن الآخرى انصرفت عنك ، فتناظرا ، فاختلفت آراؤهما فانصرف قرمط عنه .

ذكر غزو الروم ووفاة بازمار

فيها في جَمادى الآخرة دخل أحمد العجيفي طرسوس ، وغزا مع بازمار(3) الصائفة فبلغوا شكند(4) فأصابت بازمار شظية من حجر منجنيق في أضلاعِهِ ، فارتحل عنها بعد أن أشرف على أخذها . فتوفّي في الطريق منتصف رَجَب ، وحُمِلَ إلى طرسوس فدُفِنَ بها .

وكان قد أطاع خمارويه بن أحمد بن طولون ، فلما توفَي خَلَفَهُ ابن عجيف وكتب إلى خمارويه يخبره بموته ، فاقرَّه على ولاية طرسوس وأمدَّه بالخيل ، والسلاح والذخائر، وغيرها ، ثم عزله واستعمل عليها ابن عمه محمَّد بن موسى بن طولون.

ذكر الفتنة بطرسوس

وفيها ثار الناس بطرسوس بالأمير محمَّد بن موسى ، فقبضوا عليه . وسبب ذلك أن

(1) في الطبري : " على أمره ودوام على جهالته " .

(2) في الطبري " وبه مؤمنين " .

(3) في الطبري " يازمان " .

(4) في الطبري : " سلندو ".

الموفق لما توفِّي ، كان له خادم من خواصه ، يُقال له : راغب ، فاختار الجهاد ، فسار إلى طرسوس على عزم المقام بها. فلما وصل إلى الشام سير ما معه من دواب وآلات ، وخيام ، وغير ذلك إلى طرسوس ، وسار هو جريدة إلى خمارويه ليزوره ويعرفه عزمه . فلما لقِيَهُ بدمشقَ أكرمه خمارويه ، وأحبه وأنِسَ به ، واستحيا راغب أن يطلب منه المسير إلى طرسوس ، فطال مقامُه عنده ، فظن أصحابه أن خمارويه قبض عليه فأذاعوا ذلك فاستعظمه الناس وقالوا : يعمد إلى رجل قصد الجهاد في سبيل الله فيقبض عليه ، ثم شغبوا على أميرِهم محمّد ابن عمَ خمارويه ، وقبضوا عليه ، وقالوا : "لا يزال في الحبسِ إلى أن يطلق ابن عمك راغباً " . ونهبوا دارَه وهتكوا حرمَهُ . وبلغ الخبر إلى خمارويه فأطلَعَ راغباً عليه ، وأذن له في المسير إلى طرسوس . فلما بلغ إليها أطلق أهلها أميرهم ، فلما أطلقوه قال لهم : " قبح الله جوازكُم " . وسار عنهم إلى البيت المقدًس فأقام به . ولما سار عن طرسوس عاد العجيفي إلى ولايتها .

ذكر عدة حوادث

وفيها ظهر كوكب ذو جمة، وصارت الجمة ذؤابة، وحج بالناس هذه السنة هارون بن محمد بن اسحاق الهاشميّ . وتوفي فيها عبد الكريم الدير عاقولي . وفيها توفي اسحاق بن كنداج ، وولّى ما كان إليه من أعمال الموصل ، وديار ربيعة ابنه محمد ، وتوفّي ادريس بن سليم الفقعسي الموصلي ، وكان كثير الحديث والصلاح .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين

ذكر خلع جعفر بن المعتمد وولاية المعتضد

في هذه السنة في المحرم ، خرج المعتمد على الله ، وجلس للقواد والقضاةِ ووجوه الناس ، وأعلمهم أنه خلع ابنه المفوض إلى الله جعفر من ولاية العهد، وجعل ولاية العهد للمعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق : وشهدوا على المفوض أنه قد تبرأ من العهد وأسقط اسمه من السكة، والخطبة ، والطرز، وغير ذلك . وخطب للمعتضد وكان يوماً مشهوداً، فقان يحيى بن علف يهنىء المعتضد :

ليهنك عقد أنتَ فيه المقدمُ حباكَ به رب بفضلك أعلمُ

فإذا كنْتَ قد أصبحْتَ والي عهدَنا فأنتَ غداً فينا الإمامُ المعظمُ

ولا زال من ولاكَ فينا مُبلغاً مُنَاكَ ومن عاداك يشجى ويرغمُ

وكان عمودُ الدين فيه تأودٌ فعادَ بهذا العهدِ وهو مقوَّمُ

وأصبحَ وجهُ الملكِ جذلان ضاحكاً يضيءُ لنا منه الذي كان يظلمُ

فَدُونَكَ فاشدِدْ عقدَ ما قد حويتَهُ فإنكَ دونَ الناسِ فيه المُحكِمُ

وفيها نودي بمدينة السلام أن لا يقعد على الطريق ، ولا في المسجد الجامع قاض ، ولا منجم ، ولا زاجر. وحلف الوراقون أن لا يبيعوا كتب الكلام ، والجدل ، والفلسفة . وفيها قبض ى على جراد(1) كاتب أبي الصَّقر اسماعيل بن بلبل . وفيها انصرف أبو طَلْحَة منصور بن مسلم من شَهَرزوْر، وكانت له (2) . فقبض عليه وعلى كاتبه عقامة وأودعا فى السجن

(1) في الطبرى "جرادة" بالهاء.

(2) في الطبرى " وكانت ضمت له ".

ذكر الحرب بين الخوارج ، وأهل الموصل ، والأعراب

في هذه السنة اجتمعت الخوارج ، ومقدمهم هارون ، ومعهم متطوعة أهل الموصل ، وغيرهم ، وحمدان بن حمدون التغلبي على قتال بني شيبان . وسبب ذلك أن جمعاً كثيراً من بني شيبان عبروا الزاب ، وقصدوا نينوى من أعمال الموصل للاغاره عليها، وعلى البلد . فاجتمع هارون الشاري ، وحمدان بن حمدون ، وكثير من المتطوعة المواصلة، وأعيان أهلها على قتالهم ودفعهم . وكان بنو شيبان نزلوا على باعَشِيقَا(١) ومعهم هارون بن سليمان ، مولى أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيباني ، صاحب ديار بكر. وكان قد أنفذه محمد بن إسحاق بن كنداج والياً على الموصل ، فلم يمكنه أهلها من المقام عندهم ، وطردوه فقصدَ بني شيبان معاوناً على الخوارج . وأهل ا لموصل ، فالتقوا ، وتصافوا ، واقتتلوا ، فانهزمت بنو شيبان وتبعهم حمدان ، والخوارج ، وملكوا بيوتهم واشتغلوا بالنهب .

وكان الزاب لما عبر بنو شيبان زائداً، فلما انهزموا علموا أن لا ملجأ، ولا منجى غير الصبر فعادوا إلى القتال ، والناس مشغولون بالزاب ، فأوقعوا بهم ، وقتل كثير من أهل الموصل ، ومن معهم ، وعاد الظفر للاعراب .

وكتب هارون بن سيما إلى محمد بن إسحاق بن كنداج ، يعرفه أن البلد خارج

عن يده ان لم يحضر هو بنفسه . فسار في جيش كثيف يريد الموصل فخافه أهلها، فانحدر بعضهم إلى بغداد يطلبون إِرسال والٍ إليهم وازالة ابن كنداج عنهم ، فاجتازوا في طريقهم بالحديثة، وبها محمد بن يحمص المجروح يحفظ الطريق قد ولّاه المعتضد، ذلك ، وقد وصل إليه عهد بولايته الموصل ، فحثوه على تعجيل السير، وأن يسبق محمد بن كنداج إليها وخوفوه من ابن كنداج ان دخل الموصل قبله ، فسار فسبق محمد إليها. ووصل محمد بن كنداج إلى بلد فبلغه دخول المجروح الموصل ، فندم على التباطؤ ، وكتب إلى

خمارويه بن طولون يخبره الخبر فأرسل أبا عبد الله بن الجصاص بهدايا كثيرة(2)إلى المعتضد، ويطلب أموراً منها إمرة الموصل . كما كانت له قبل ، فلم

(١)من قرى الموصل ، وهي مدينة من نواحي نينوى في شرقي دجلة .

(2) قال العلامة ابن جرير الطبري : ومعه هدايا من العين عشرون حملاً على بغال وعشرة من الخدم وصندوقان فيهما طراز وعشرون رجلاً على عشرين نجيباً بسروج محلاة بحلية فضة كثيرة وسهم حراب فضة ،

يجب إلى ذلك وأخبره كراهة أهل الموصل من عماله فأعرض عن ذكرها، وبقي المجروح بالموصل يسيراً وعزله المعتضد واستعمل بعده عليّ بن داود بن رهزاد الكرديّ . فقال شاعر يقالُ له العجيني :

ما رأى الناسُ لهذا الد   هر مذ كانوا شبيها
ذلت الموصلُ حتى   أمر الاكرادَ فيها

(العجيني) بالنون .

ذكر وفاة المعتمد

وفيها توَفي المعتمد على الله ليلةَ الأثنينِ لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ببغداد . وكان قد شرب على الشط في الحسني ببغداد يوم الأحد شراباً كثيراً ، وتعشى ، فاكثر فمات ليلاً(١). وأحضر المعتضد القضاة وأعيان الناس ، فنظروا إليه وحمل إلى سامرا، فدفن بها. وكان عمره خمسين سنة وستة أشهر، وكان أسن من الموفق بستة أشهر. وكانت خلافته ثلاثاً بى عشرينَ سنةٍ وستةَ أشهرٍ . وكان في خلافته محكوماً عليه قد تحكم عليه أخوه أبو أحمد الموفق ، وضيق عليه حتى أنه احتاج في بعض الأوقات إلى ثلاثمائة دينار فلم يجدها ذلك الوقت فقال :

أليسَ من العجائب أن مثلي   يرى ما قل ممتنعاً عليهِ
وتؤخَذُ باسمه الدُنَيا جميعاً   وما مِنْ ذاك شئ في يديهِ
إِليه تحملُ الأموالُ طُرأً   ويمنعُ بعضُ ما يُجبى إليهِ

وكان أول الخلفاء إنتقل من سُرّ من رُأى مُذْ بُنِيَتْ ، ثم لم يَعُدْ إليها أحدٌ منهم .

ذكر خلافة أبي العباس المعتضد

وفي صبيحةِ الليلة التي مات فيها المعتمد بُويع لأبي العباس المعتضد بالله ،

– وعليهم أقبية الديباج والمناطق المحلاة ، وسبع عشرة دابة بسروج ولجم ، منها : خمسة بذهب والباقي بفضة ، وسبع وثلاثون دابة بجلال مشهرة . وخمسة أبغل بسروج ولجم وزرافة يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال " .

(1) وفي موته أقوال كثيرة، منهم من قال : إنه اغتيل بالسم ، ومنهم من قال : انه خنق .

أحمد بن الموفق أبي أحمد طَلْحَة بن المتوكل بالخلافة فولى بدراً الشرطة، وعبيدَ الله بن سًليمان الوزارة، ومحمد بن الشاه بن مالك (1) الحرس . ووصَلَهُ في شوّال رسولُ عَمرو بن الليث ، ومعه هدايا كثيرة ، وسأله أن يولًيه خراسان ، فعقد له عليها وسير إليه الخلع ، واللواء، والعهد، فنصب اللواء في دارِه ثلاثةَ أيام .

ذكر وفاة نصر الساماني

وفيها . مات نصر بن أحمد السَّاماني ، وقام بما كان إليه من العمل بما وراء النهر أخوه إسماعيل بن أحمد . وكان نصر ديناً عاقلاً له شعر حسن ، منه ما قاله في رافع بن هرثمة :

أخوك فيك على خبرٍ ومعرفةٍ … إن الذليلَ ذليلٌ حيثُما كانا

لولا زمانُ خؤن في تصرفِهِ … ودولة ظلمت ما كنْتَ انسانا

ذكر عزل رافع بن هرثمة عن خراسان وقتله

وفيها عزل المعتضد رافع بن هرثمة عن خراسان . وسبب ذلك أن المعتضد كَتَبَ إلى رافع بتخلية قرى السلطان بالري فلم يقبل ، فأشار على رافع أصحابه برد القُرى لِئلا يفسُدَ حاله بكتاب ، فلم يقبل أيضاً .

وكتب المعتضد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف يأمره بمحاربة رافع ، وإخراجه عن الرَّي . وكتب إلى عمرو بن الليث بتولية خراسان . ثم أن أحمد بن عبد العزيز لقي رافعاً فقاتله فانهزم عن الرّي ، وسار إلى جرجان . ومات أحمد بن عبد العزيز سنة ثمانين ومائتين . فعاد رافع إلى الرّي فلاقاه عمرو، وبكر ابنا عبد العزيز فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم عمرو، وبكر، وقتل من أصحابهما مقتلة عظيمة ، ووصلوا إلى اصبهان ، وذلك في جمادى الاولى سنة ثمانين . وأقام رافع بالرّي باقي سنته . ومات عليّ بن الليث معه في الري . ثم ان عمرو بن الليث وافى نيسابور في جمادى الأولى سنة ثمانين ، واستولى عليها وعلى خراسان ، فبلغ الخبر إلى رافع فجمع

أصحابه ، واستشارهم فيما يفعل ، وقال لهم : " إن الاعداء قد أحدقوا بنا ولا آمن أن يتفقوا علينا" .

(١) في الطبري " ابن ميكال " .

هذا محمد بن زيد بالديلم ينتظر فرصة لينتهزها، وهذا عمرو بن عبد العزيز قد فعلت به ما فعلت فهو يتربص الدوائر، وهذا عمرو بن الليث قد وافى خراسان بجموعه . وقد رأيتُ أن أصالح محمد بن زيد وأعيدَ إليه طبرستان ، وأصالح ابن عبد العزيز ثم أسيرُ إلى عمرو، فأخرجه عن خراسان ، . فوافقوه على ذلك ، وأرسل إلى ابن عبد العزيز فصالحه ، واستقر الأمر بينهما، في شعبان سنة ثمانين .

ثم سار إلى طبرستان فوردها في شعبان سنة إحدى وثمانين ، وكان قد أقام بجرجان فاحكم أمورها . ولما استقر بطبرستان راسل محمد بن زيد وصالحه . ووعده محمد بن زيد أن ينجده بأربعة آلاف رجل من شجعان الدَّيلم . وخطب لمحمد بطبرستان ، وجرجان في ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائتين . وبلغ خبر مصالحة محمد بن زيد ، ورافع إلي عمرو بن الليث ، فأرسل إلى محمد يذكر ما فعل به ، ويحذره منه ، وغدره ، إن استقام أمره فعاد عن انجاده بعسكر. فلما قوي عمرو وعرف سهد بن زيد ذلك ، وخلى عليه طبرستان . ولما أحكم رافع أمر محمد بن زيد سار إلى خراسان ، فورد نيسابور في ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين . وجرى بينه وبين عمرو حربٌ شديدةٌ ، فانهزم فيها رافع إلى ابيورد، وأخذ عمرو منه المعدل ، والليث ولدي أخيه عليّ بن الليث . وكانا عنده بعد موت أخيه عليّ .

ولما ورد رافع أبيورد أراد المسير إلى هراة أو مَرو، فعلم عمر بذلك فأخذ عليه الطريق بسرخس ، فلما علم رافع بمسير عمرو عن نيسابور سار على مضايق ، وطرق غامضة غير طريق الجيش إلى نيسابور، فدخلها . وعاد إليه عمرو من سرخس ، فحصره فيها وتلاقيا . واستأمن بعض قواد رافع إلى عمرو، فانهزم رافع وأصحابه وسيَّر أخاه محمد بن هرثمة إلى محمد بن زيد يستمده ، ويطلب ما وعده من الرجال ، فلم يفعل ولم يمدُّه برجلٍ واحد . وتفرق عن رافع أصحابه ، وغلمانه ، وكان له أربعة آلاف غلام ، ولم يملك أحد من ولاة خراسان قبله مثله . وفارقه محمد بن هارون إلى اسماعيل بن أحمد الساماني ببُخارى ، وخرج رافع منهزماً إلى خوارزمَ على

الجمازات ، وحمل ما بقي معه من مالٍ وآلةٍ ، وهو في شرذمة قليلة، وذلك في رمضان سنة ثلاثة وثمانين ومائتين . فلما بلغ رباط جبوه وجه إليه خوارزمشاه أبا سعيد الدرغاني ليقيم له الأنزال ، ويخدمه إلى خوارزم ، فرماه أبو سعيد في قلة من رجالة وغَدَرَ به ، وقتله لسبع

خلون من شوّال سنة ثلاث وثمانين ومائتين . وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث وهو بنيسابور . وأنفذ عمرو الرأس إلى المعتضد بالله ، فوصل إليِه سنة أربع وثمانين . فنصب ببغداد وصفت خراسان إلى شاطىء جيحون لعمرو .

ذكر عدة حوادث

وفيها قَدِمَ الحُسينُ بن عبد الله المعروف بابن الجصَّاص من مصر بهدايا عظيمة من خمارويه ، فتزوج المعتضد ابنة خمارويه . وفيها ملك أحمد بن عيسى بن الشيخ قلعة ماردين ، وكانت بيد محمد بن اسحاق بن كنداجيق . وحج بالناس هذه السنة هارون بن محمد وهي آخر حجة حجها . وأول حجة حجها بالناس سنة أربعة وستين ومائتين إلى هذه السنة . وفيها توفي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي السلمي بترمذ في رجب ، وكان إماماً حافظاً له تصانيف حسنة، منها الجامع الكبير في الحديث ، وهو أحسن الكتب ، وكان ضريراً ، وتوفي ابراهيم بن محمد المدبر في شوّال وكان يلي ديوان الضياع .

ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين

ذكر حبس عبد الله بن المهتدي

في هذه السنة أخذ المعتضد عبدَ الله بن المهتدي ، ومحمد بن الحسين المعروف بشميلة وكان شميلة هذا مع صاحب الزنج إلى آخر أيامه ، ثم لحق بالموفق في الأمان فأمنه . وكان سبب أخذه إياهما أن بعض المستأمنة سعى به إلى المعتضد وأعلمه ، أنه يدعو لرجل لا يعرف اسمه وأنه قد أفسَدَ جماعة من الجندِ وغيرهم . فأخذه المعتضد فقرًّره ، فلم يقر بشيء وقال : " لو كان الرجل تحت قدمي ما رفعتهما عنه) . فأمر به فشدَّ على خشبة من خشب الخيم ، ثم أوقدت نار عظيمة، وأدير على النار حتى تقطَّع جلده ، ثم ضربت عنقه ، وصلب عند الجسر، وحُبِسَ عبد الله بن المهتدي إلى أن علم براءته وأطلقه . وكان المعتضد قال لشميلة : بلغني أنك تدعو إلى ابن المهتدي فقال : المشهور عني أنني أتولى آل أبي طالب (1) .

ذكر قصد المعتضد بني شيبان وصُلحَهُ معهم

وفيها في أول صفر، سار المعتضد من بغدادَ يريد بني شيبان ، بالموضع الذي يجتمعون به من أرض الجزيرة . فلما بلغهم قَصَدَهُ جمعوا إليهم أموالهم وعيالاتهم ، وأغار المعتضد على اعواب عند السن ، فنهب أموالهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وغرق منهم في الزاب مثل ذلك . وعجز الناس عن حمل ما غَنِمُوه فبيعت الشاة بدرهم ، والبعير بخمسةِ دراهم . وسار إلى الموصل ، وبلد ، فلقيه بنو شيبان يسألونه العفو، وبذلوا له رهائن ، فأجابهم إلى ما طلبوا، وعاد إلى بغداد . وأرسل إلى أحمد بن عيسى بن الشيخ يطلب منه ما أخذه من أموال ابن كنداجيق (2) بآمد فبعثه إليه ، ومعه هدايا كثيرة .

(1) في الطبري : " المأثور عني غير هذا ، وأني أتولى آل ابن أبي طالب " .

(2) في الطبري " ابن كنداج " .

ذكر خروج محمد بن عباده علي هارون وكلاهما خارجيان

في هذه السنة خَرَجَ محمد بن عبادة ويُعرَفُ بابي حوزه (ا)– وهو من بني زُهير من أهل قبراثا من البقعاء – على هارون وكلاهما من الخوارج . وكان أول أمره فقيراً ، وكان هو، وابنان له يلتقطان الكمأة، ويبيعانها إلى غير ذلك من الأعمال . ثم إنه جمع جماعة وحكم فاجتمع إليه أهل تلك النواحي من الأعراب ، وقوّى أمره وأخذ عُشْر الغلات ، وقبض الزكاة .

وسار إلى معلثايا فقاطعه أهلها على خمسمائة دينار، وجبى تلك الأعمال وعاد .وبنى عند سنجار حصناً وحمل إليه الأمتعة ، والميرة ، وجعل فيه ابنه أبا هلال ، ومعه مائة وخمسون رجلاً من وجوه بتي زهير وغيرهم . ووصل خبرهم إلى هارون الشاري فاجتمع رأيه ورأي وجوه أصحابه على قصد الحصن أولاً، فإذا فرغوا منه ساروا إلى محمد بن عبادة ، فجمع أصحابه ، فبلغوا مائة راجل وألف ومائتي فارس ، وسار إليه مبادراً وأحدق به وحصره ، ومحمد بن عبادة في قبراثا لا يعلم بذلك . وجد هارون في قتال .الحصن ، وكان معه سلاليم قد أخذها ، وزحف إليه . وكان أصحابه قد منعوا أحداً يُخرِجُ رأسه من أعلى السور . فلفا رأى من معه من بني تغلب تغلبةُ على الحصن ، أعطوا من فيه من بني زهير الأمان بغير أمر هارون . فشق عليه ولم يقدر على تغيير ذلك ، إلا أنه قتل أبا هلال بن محمد بن عبادة ونفراً معه قبل الأمان ، وفتحوا الحصن وملكوا ما فيه .

وساروا إلى محمد – وهو بقبراثا – فلقوه وهو في أربعةِ آلافِ رجل فاقتتلوا ، فانهزم هارون ومن معه . فوقف بعض أصحابه ونادى رجالاً باسمائهم ، فاجتمعوا نحو أربعين رجلاً، وحملوا على ميمنةِ محمد بن عباده فانهزمت الميمنة وعادت الحرب ، فانهزم محمد ومن معه ،ووضعوا السيف فيهم ، فقتل . منهم ألف وأربعمائة رجل ، وحجز بينهم الليل . وجمع هارون مالهم فقسمه بين أصحابه ، وانهزم محمد إلى آمد فأخذه صاحبها أحمد بن عيسى بن الشيخ ،

بعد حرب ، فظفر به فأخذه أسيراً وسيره إلى المعتضد فسلَخَ جلدَه كما يسلخ الشاة .

(1) في نسخة " جوزة " بالجيم .

ذكر عدة حوادث

لما افتتح محمد بن أبي الساج مراغة بعد حرب شديدة، وحصار عظيم أخذ عبدُ الله بن الحسين بعد أن أفنه وأصحابه ، وقيده وحَبَسُهُ وقرّره بجميع أمواله ثم قتله . وفيها مات أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف ، وقام بعده أخوه عمر بن عبد العزيز. وفيها افتتح محمد بن ثور عمان وبعث برؤوس جماعة من أهلها . وفيها توفي جعفر بن المعتمد في ربيع الآخر، وكان ينادم المعتضد . وفيها دخل عمرو بن الليث نيسابور في جمادى الاولى . وفيها وجه محمد بن أبي السَّاج ثلاثين (1) نفساً من الخوارج من طريق الموصل ، فضربت أعناق أكثرهم وحُبِسَ الباقون . وفيها دخل أحمد بن أبا طرسوس للغزاة من قبل خمارويه بن أحمد بن طولون ، ودخل بعده بدر الحمامي فغزوا جميعاً مع العجيني (2) أمير طرسوس حق بلغوا البلقسون (3). وفيها غزا إسماعيل بن أحمد الساماني بلاد الترك ، وافتتح مدينة ملكهم ، واسر أباه ، وامرأته خاتون (4) ونحواً من عشرة آلاف ، وقتل منهم خلقاً كثيراً . وغنم من الدواب ما لا يعلم عدداً وأصاب الفارس من الغنيمة ألف درهم .

وفيها توفي راشد مولى الموفق بالدُّينور ، وحُمِل في تابوت إلى بغداد، في رمضان ، وفي شوّال مات مسرور البلخي . وفيها غارت المياه بالرقي ، وطبرستان ، حتى بلغ الماء ثلاثة أرطال بدرهم وغلت الأسعار. وفي شوّال انكَسَفَ القمرُ وأصبحَ أهل دبيل والدنيا مظلمة، ودامت الظلمة عليهم . فلما كان عند العصر هبت ريح سوداء، فدامت إلى ثلث الليل ، فلما كان ثلث الليل زلزلوا ، فخربت المدينة ولم يبقَ من منازلهم إلا قدرَ مائة دارٍ ، وزلزلوا بعد ذلك خمس مرار. وكان جملة من أخرِجَ من تحت الردمِ مائةُ ألف وخمسون ألفاً كلهم موتى، وحج بالناس هذه السنة أبو بكر محمد بن هارون بن اسحاق المعروف بابن ترنجة . وفيها توفي محمد بن إسماعيل بن يوسف أبو إسماعيل الترمذي ، في رمضان وله

تصانيف حسنة، وأحمد بن سيار بن أيوب الفقيه المروزي ، وكان زاهداً عالماً ، وأبو جعفر أحمد بن أبي عمران الفقيه الحنفي بمصر.

(ا) في الطبري " يوسف بن أبي السَّاج اثنين وثلاثين ".

(2) في الطبري " العجيفي ، وتقدم ضبطه بالنون .

(3) في الطبري " حتى بلغوا البلقسور " .

(4) في نسخة " حاتون " بالحاء .

ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائتين

ذكر مسير المعتضد إلى ماردين وملكه إياها

وفيها خرج المعتضد الخَرجَةَ الثانية إلى الموصل قاصداً لحمدان بن حمدون ،

لأنه بلغه أن حمدان مال إلى هارون الشاري ودعا له . فلما بلغ الأعراب الأكواد مَسِيْرَ المعتضد تحالفوا أنهم يقتلون على دم واحد ، واجتمعوا وعبوا عسكرهم . وسار المعتضد إليهم في خيله جريدة فأوقع بهم ، وقتل منهم ، وغرق منهم في الزاب خلق كثير. وسار المعتضد إِلى الموصل يريد قلعة ماردين وكانت لحمدان بن حمدون فهرب حمدان منها وخلف ابنه بها فنازلها المعتضد، وقاتل من فيها يومه ذلك . فلما كان من الغد ركب المعتضد فصَعَدَ إلى باب القلعة وصاح بابن حمدان فأجابه فقال : افتح الباب ففتحه فقعد المعتضد في الباب وأمر بنقل ما في القلعة وهدمها، ثم وجه خلف حمدان بن حمدون وطلب أشدَّ الطلب ، وأخذت أموال له ، ثم ظفر به المعتضد بعد عوده إلى بغداد، وفي عوده قصد الحسنية وبها رجُلٌ كرديّ يقال له : شداد في جيش كثير، قيل : كانوا عشرة آلاف رجل وكان له قلعة في المدينة فظفر به المعتضد وهَدَمَ قلعتَهُ .

ذكر عدة حوادث

وفيها ورد تُرْكُ بن العبّاس عاملُ المعتضد على ديار مضر من الجزيرة إلى بغداد ومعه نَيف وأربعون من أصحاب ابن الأغر صاحب سُمَيْساط على جمال عليهم برانس ، ودراريع حرير. فمضى بهم إلى الحبس ، وعاد إلى داره . وفيها كانت وقعة لوصيفَ خادم ابن أبي السَّاج لعمر بني عبد العزيز فهزمه ، ثم سار وصيف إلى مولاه محمد بن أبي السَّاج . وفيها دخل طغج (ا) بن جُف طرسوس لغزو الصائفة من قبل

(ا)في الطبري :"طفج بن جف " .

خمارويه بن أحمد بن طولون فبلغ طرابزون وفتح بلودية(ا) في جمادى الآخرة .

وفيها مات أحمد بن محمد الطائي بالكوفة في جمادى . وفيها غارت المياه بالرّي ، وطبرستان . وفيها سار المعتضد إلى ناحية الجبل وتصد الدينور وولى ابنه علياً – وهو المكتفي – الرّي ، وقزوين وزنجان ، وأبهر ، وقتم ، وهمذان ، والدينور ، وجعل على كتابته أحمد بن الأصبغ ، وقلَّد عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف أصبهان ، ونهاوند، والكرج ، وعاد إلى بغداد لأجل غلاء السعر، وفيها استأمن الحسن بن عليّ كُورَه عامل رافع على الرّي إلى عليّ بن المعتضد في زهاء ألف رجل فوجهه ومن معه إلى أبيه . وفيها دخل الأعراب سامرا، فقتلوا ابن سيما(2) في ذي القعدة . وفيها غزا المسلمون الروم ، فدامت الحرب بينهم اثنى عشر يوماً فظفر السلمون ، وغنموا غنيمة كثيرة وعادوا. وفيها توفي عبيدُ الله بن (3) محمد بن عبيد بن أبي الدنيا صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة .

(1) في الطبري : " فبلغ طرايون وفتح ملورية " .

(2)في الطبري : " فاسروا ابن سيما أنف " .

(3)في البداية والنهاية 11 /76 ط. دار الكتب العلمية ببيروت : " عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس أبو بكر بن أبى الدنيا .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائتين

ذكر النيروز المعتضدي

فيها أمر المعتضد بالكتابة إلى الأعمال كلها والبلاد جميعها بترك افتتاح الخراج في النيروز العجمي ، ولَأخير ذلك إلى الحادي عشر من الحزيران ، سماه النيروز المعتضدي ، وأنشِئَتْ الكُتُبُ بذلك من الموصل ، والمعتضد بها، وأراد بذلك الترفيه على الناس والرفق بهم .

ذكر قصد حمدان وانهزامه وعوده إلى الطَّاعة

في هذه السنة كتب المعتضد إلى إسحاق بن أيوب ، وحمدان بن حمدون بالمسير إليه ، وهو في الموصل فبادر اسحاق ، وتحصَّن حمدان بقلاعه ، وأودع أمواله وحرمه . فسير المعتضد الجيوش نحوه مع وصيف موشكير، ونصر القشوري ، وغيرهما فصادفا الحسن بن عليّ كوره ، وأصحابه متحصنين بموضع يعرف بدير الزعفران من أرض الموصل .

وفيها وصل الحسين بن حمدان بن حمدون . فلما رأى الحسين أوائل العسكر طلب الأمان ، فأفن وسيّر إلى المعتضد، وسلَّم القلعة، فأمر المعتضد بهدمها . وسار وصيفُ في طلب حمدان ، وكان بباسورين فواقعه وصيف ، وقتل من أصحابه جماعة، وانهزم حمدان في زورق كان له في دجلة، وحمل معه مالاً كان له ، وعبر إلى الجانب الغربي من دجلة، فصار في ديار ربيعة ، وعبر نفرٌ من الجند، فأقتصوا أثره حتى أشرفوا على ديرٍ ، قد نزله فلما رآهم هرب ، وترك ماله فأخذ رأتيَ به المعتضد، وسار أولئك في طلب حمدان ، فضاقت عليه الأرض ، فقصد خيمة اسحاق بن أيوب – وهو مع المعتضد – واستجار به فأحضره اسحاق عند المعتضد ، فأمر بالاحتفاظ به ، وتتابع رؤساء الأكواد في طلب الأمان وكان ذلك في المحرم .

ذكر انهزام هارون الخارجيّ من عسكر الموصل

كان المعتضد بالله قد خلف بالموصل نصر القشوري يجبي الأموال ، وشين

العمال على جبايتها . فخرج عامل معلثايا اليها ومعه جماعة من أصحابِ نصر، فوقع عليهم طائفة من الخوارج ، فاقتتلوا إلى أن أدركهم الليل ، وفرق بينهم . وقتل من الخوارج إنسان ، اسمه جعفر، وهو من أعيان أصحاب هارون فعظم عليه قتله وأمر أصحابه بالافساد في البلاد . فكتب نصر القشوري إلى هارون الخارجي كتاباً يتهدده بقرب الخليفة ، وانه إن همٌ به أهلكه ، وأهلك أصحابه ، وانه لا يغثر بمن سار إلى حربه فعاد عنه بمكر، وخديعة . فكتب إليه هارون كتاباً منه أما ما ذكرت ممن أراد قصدي ، ورجع عني فانهم لما رأوا جدنا واجتهادنا كانوا بإذن الله فراشاً متتابعاً وقصباً أجوف ، ومن صبر لنا منهم ما زاد على الاستتار بالحيطانِ ، ونحن على فرسخ منهم وما عزك إلا ما أصبْتَ به صاحبنا فظننْتُ أن دَمهُ مطلولٌ أو أن وترَهُ متروكٌ لك ، كلا إن الله تعالى من ورائِكَ وآخذ بنا صيتُك ومعين على إدراك الحق منك ، ولم تعيرنا بغيرك وتدعُ أن يكون مكان ذلك إبداء صفحتك ، وإظهار عداوتك ، وأنا وإياك كما قيل :

فلا توعدونا باللقاء وأبرزوا إلينا سواداً نُلقِهِ بسوادِ

ولعمر الله ما ندعو إلى البرازثقة بأنفسنا ، ولا عن ظن أن الحول والقوة لنا لكن ثقة بربنا، واعتماداً على جميل عوائده عندنا . وأما ما ذكرت من أمر سلطانك ، فان سلطانَك ، لا يزال منا قريباً وبحالِنا عالماً فلا قدّم أجلاً ولا أخرَّه ، ولا بسط رزقاً، ولا قبضه قد بعثنا على مقابلتك ، وستعلم عن قريب إن شاء الله تعالى . فعرض نصرٌ كتاب هارون على المعتضد، فجدَّ في قصدِه وولى الحسن بن عليّ كوره الموصل ، وأمره بقصد الخوارج ، وأمر كافة مقدمي الولايات ، والأعمال بطاعته . فجمعهم وسار إلى أعمال الموصِل ، وخندَقَ على نفسِهِ ، وأقام إِلى أن رفع الناس غِلاتهم ، ثم سار إلى الخوارج ، وعبر الزاب إليهم فلقيهم قريباً من المغلة، وتصافوا

للحرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً. وانكشف الخوارج عنه ليفرقوا جمعيته ، ثم يعطفوا عليه . فأمر الحسن أصحابه بلزوم مواقفهم ، ففعلوا فرجع الخوارج ، وحملوا عليهم سبع عشرة حملة. فانكشفت ميمنة الحسن ، وقتل من أصحابه ، وثبت هو، فحمل الخوارج عليه حملة رجل واحد، فثبت لهم ، وضرب على رأسه عدُّة ضرباتٍ فلم يؤثر فيه . فلما رأى أصحابه ثباته

تراجعوا اليه ، وصبر، فانهزم الخوارج أقْبَحَ هزِيمة، وقتل منهم خلق كثير، وفارقوا موضع المعركة ، ودخلوا اذربيجان . وأما هارون فانه تحير في أمره وقصد البرية . ونزل عند بني تغلب ، ثم عاد إلى معلثايا، ثم عاد إلى البرية، ثم رجع وعبر دجلة إلى حرّة، وعاد إلى البرية . وأما وجوه أصحابه فانهم لما رأوا إقبال دولة المعتضد وقوته ، وما لحقهم في هذه الوقعة راسلوا.المعتضد يطلبون الأمان ، فأفنهم فأتاه كثير منهم يبلغون ثلاثمائة وستين رجلاً . وبقي معه بعضهم يجول بهم في البلاد إلى أن قتِلَ سنة ثلاث وثمانين ، على ما نذكره .

ذكر عده حوادث .

في هذه السنة في ربيع الأول قبض على بَكْتَمَر بن طاشتمر وقيّد، وأخذ ماله ، وضياعه ودوره ، وكان أميراً على الموصل ، واستعمل بعده عليها الحسن بن عليّ الخراساني ، ويعرف بكوره . وفيها قدم ابن الجصاص بابنة خمارويه زوجة المعتضد، ومعها أحد عمومتها، وكان المعتضد بالموصل . وفيها عاد المعتضد إلى بغداد وزُفتْ إليه ابنة خمارويه في ربيع الآخر(1) . وفيها سار المعتضد إلى الجبل فبلغ الكرج وأخذ أموالاً لابن أبي دلف ، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز يطلب جوهراً كان عنده ، فوجَّه به إليه وتنحى من بين يديه . وفيها أطلق لُؤلُؤ غلام ابن طولون وحمل على دواب وبغال . وفيها وجه يوسف بن أبي السَّاج إلى الصيمرة مدداً لفتح الفلانسي غلام الموفّق ، فهرب

(1) قد تقدم أن خمارويه بعث إلى المعتضد بهدايا فسأله أن يزوج ابنته قطر الندى لولده المكتفي بالله ، فقال المعتضد بل أنا أتزوجها فتزوجها سنة إحدى وثمانين ومائتين ، ودخل بها هذه السنة وأصدقها ألف ألف درهم ؛ قال في النجوم الزاهرة : يقال : إن المعتضد أراد بزواجها أن يفقر أباها خمارويه فى جهازها وكذا وقع فانه جهزها بجهاز عظيم يتجاوز الوصف ، حق قيل : إنه دخل معها فى جملة جهازها ألف هاون من الذهب ، وغرض خمارويه أن يجهز

ابنته جهازاً يضاهي به نعمة الخلافة فكان من جملة جهازها دكة أربع قطع من ذهب ، عليها قبة من ذهب مشبك في كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة من جوهر ، لا يعرف لها قيمة ، إلى غير ذلك مما لم ير مثله ولا يسمع به ، ولما دخل بها الخليفة المعتضد أحبها حباً شديداً لجمال صورتها وكثر . آدابها ، قيل : إنه خلا بها في بعض الأيام فوضع رأسه على ركبتها ونام وكان المعتضد كثير التحرز على نفسه فلما نام تلطفت به وأزالت رأسه عن ركبتها ووضعتها على وساده ثم تنحت عن مكانها وجلست بالترب منه في مكان آخر فانتبه المعتضد فزعاً ولم يجدها فصاح بها فكلمته بالحال ، فعتبها على ما فعلت من ازالة رأسه عن ركبتها وقال لها : أسلمت نفسى لك فتركتيني وحيداً وأنا في النوم لا أدرى ما يفعل بي فقالت : يا أمير المؤمنين ما جهلت قدر ما أنعمت به علي ولكن فيما أدبنى به والدى خمارويه إني لا أجلس مع النيام ولا أنام مع الجلوس فأعجبه ذلك منها إلى الغاية .

يوسف فيمن أطاعه إلى أخيه محمد بمراغة ولقي مالاً للمعتضد، فأخذه فقال في ذلك عبيدَ الله بن عبدُ الله بن طاهر:

إمام الهُدَى إقصاؤكم (1) آلَ طاهر بلا سبب يجنَونَ والدهرُ يذهب
وقد خلطوا شكراً بصبر ورابطوا وغيرُهُمُ يُعطى وَيُحبى ويَهْرُب

وفيها وجه المعتضد وزيره عبيدَ الله بِنْ سُليمان إلى ابنه بالرّي ، وعاد منها . وفيها وجه محمد بن زيد العلوي من طبرستان إلى محمد بن ورد العطَار باثنين وثلاثين ألف دينار ليفرقها على أهل بيته ببغداد، والكوفة، والمدينة . فسعى به إلى المعتضد فأحضر محمد عند بدر وسُئِلَ عن ذلك ، فأقرأنه يوجه إليه كل سنة مثل ذلك ففرقه ، وأنهى بدر إلى المعتضد ذلك فقال له المعتضد : أما تذكر الرؤيا التي اخبرتُك بها؟ قال :لا يا أميرَ المؤمنين قال : رأيْتُ في النوم كأني أريد ناحية النهروان وأنا في جيشي إذ مررت برجلٍ واقف على تل يصلي ، ولا يلتفت إليَّ ، فعجبت منه ، فلما فرغ من صلاته قال لي : اقبل ، فأقبلْتُ إليه فقال لي : أتعرفني ؟ قلت :لا قال : انا عليّ بن أبي طالب خذ هذه فاضرب بها الأرض بمسحاة بين يديه فأخذْتُها فضربْتُ بها ضربات فقال لي : انه سيلي من ولدك هذا الأمر بعدد الضربات ، فأوصهم بولدي خيراً . وأمر بدراً بإطلاق المال والرجل ، وأمره أن يكتب إلى صاحبه بطبرستان أن يوجه ما يريد ظاهراً ، وأن يفرق ما يأتيه ظاهراً، وتقدم بمعونته على ذلك . وفيها توفي أبو طَلْحَة منصور بن مسلم في حبس المعتضد وفيها وُلدَت جاريةٌ اسمها شَغَبٌ ، للمعتضد ولداً سماه جعفراً – وهو المقتدر.

وفيها قتل خَمارويه بن أحمد بن طولون ، ذبحه بعض خَدَمهِ على فِراشِهِ في ذي الحجة بدمشقَ ، وقتل من خدمه الذين اتهموا نيف وعشرون نفساً. وكان سبب قتله أنه سعى إليه بعض ، الناس ، وقال له : ان جواري دارِه قد اتخذت كل واحدة . منهن خصياً من خصيان

داره لها كالزوج ، وقال : إن شئت أن تعلم صحة ذلك فاحضِرْ بعض الجواري فأضربها وقررها حتى تعلم صحة . ذلك . فبعث من وقتِهِ إلى نائبه

(1)في الطبري :

امام الهدى أنصاركم آل طاهر بلا سبب يجنون والدهر يذهب
وقد خلطوا صبراً بشكر ورابطوا وغيرهم يعطى ويحبي ويهرب

بمصر، يأمره بإحضار عدُّة من الجواري ليعلمَ الحال منهن .
فاجتمع جماعة من الخدَمِ وقرروا بينهم الاتفاق على قتله خوفاً من ظهور ما قيل له ، وكانوا خاصًته ، فذبحوه ليلاً وهربوا ، فلما قتل ، اجتمع القواد وأجلسوا ابنه جيش بن خمارويه في الامارة ، وكان معه بدمشقَ وهو أكبر ولده ، فبايعوه ففرقت فيهم الأموال وكان صبياً غراً . وفيها توفي عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد الداري الفقيه الشافعي أخذ الفقه عن البويطي صاحب الشافعي ، والأدب عن ابن الاعرابي . وفيها توفَي أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري اللغوي صاحب كتاب النبات وغيره . وفيها توفي الحرث بن أبي أسامة وله مسند يروى غالباً في زماننا هذا، وأبو العيناء محمد بن القاسم ، وكان يروي عن الأصمعي .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين

ذكر الظفر بهارون الخارجيّ

في هذه السَّنة، سار المعتضد إلى الموصل ، بسبب هارون الشاري وظَفِرَ به . وسبب الظَّفر أنه وَصَلَ إلى تكرِيْتَ ، وأقام بها، وأحضر الحُسين بنْ حمدان التغلبي ، وسيّره في طلب هارون بن عبد الله الخارجيّ في جماعة من الفُرسان ، والرجالة . فقال له الحسين : ان أنا جئت به فلي ثلاث حوائج عند أمير المؤمنين . قال : اذكرْها . قال : إحداهن إطلاق أبي ، وحاجتان اذكرهما بعد مجيئي به . فقال له المعتضد : لك ذلك . فانتخب ثلاثمائة فارس ،وسار بهم ومعهم وصيف بن موشكير. فقال له الحسين : تأمره بطاعتي يا أمير المؤمنين . فأمره بذلك وسار بهم الحسين ، حتى انتهى إلى مخاضة في دَجلة فقال الحسين لوصيف ، ولمن معه : " لتقفوا هناك فإنه ليس له طريق إن هرب غير هذا فلا تبرحَنَّ من هذا الموضع ، حتى يمرَّ بكم ، فتمنعوه عن العبور وأجيء أنا أو يبلغكم اني قتلت " . ومضى حسين في طلب هارون فلقيه ، وواقعه ، وقتل بينهما قتلى وانهزم هارون . وأقام وصيفٌ على المخاضة ثلاثةَ أيامِ فقالَ له أصحابُه : " قد طال مقامنا ولسنا نأمن أن يأخذ حُسين الشاري ، فيكون له الفتَح دوننا والصواب أن نمضي في آثارهم " . فأطاعهم ، ومض . وجاء هارون منهزماً إلى موضع المخاضة فعبر، وجاء حسين في أثره ،فلم يرَ وصيفاً وأصحابه في الموضع الذي تركهم فيه ، ولا عرف لهم خبراً. فعبر في أثر هارون وجاء إلى حي من أحياء العرب ، فسألَ عنه ، فكتموه ، فتهددهم ، فاعلموه أنه اجتاز بهم ، فتبعه حتى لحقه بعد أيام وهَارون في نحو مائة رجل . فناشدَهُ الشاري ووعدَهُ وأبى حسين إلا محاربته ، فحاربه ، فالقى الحسين نفسه عليه فأخذه أسيراً وجاء به إلى المعتضد، فانصرف المعتضد إلى بغداد، فوصلها لثمان بقين من ربيع الأول . وخلع المعتضد إلى بغداد على الحسين بن حمدان وطوقه بطوق من ذهب ،

وخلع على إخوته وأدخل هارون على الفيل . وأمر المعتضد بحل قيود حمدان بن حمدون والتوسعة عليه ، والاحسان إليه ووعد بإطلاقه . ولما أركبوا هارون على الفيل أرادوا أن يلبسوه ديباجاً مشهراً ، فامتنع ، وقال : هذا لا يحل ، فألبسوه كارهاً . ولما صُلِب نادى بأعلى صوته "لا حكم إلا لله ولوكره المشركون " . وكان هارون صفرياً .

ذكر عصيان دمشق على جيش خمارويه وخلاف جنده عليه وقتله

في هذه السنة خرج جماعة من قوّاد جيش بن خمارويه عليه ، وجاهروا بالمخالفة، وقالوا "لا نرضى بك أميراً فاعتزلنا حتى نوتي عمك الامارة . وكان سبب ذلك أنه لما وُلي ، وكان صبياً فقرب الأحداث والسفل وأخلد إلى استماع أقوالهم ، فغيروا نيته على قوّاده ، وأصحابه ، وصار يقع فيهم وبذمهم وبظهر العزم على الاستبدال بهم ، وأخذ نعمهم وأموالهم . فاتفقوا عليه ليقتلوه ويقيموا عمه . فبلغه ذلك فلم يكتمه بل أطلق لسانه فيهم . ففارقه بعضهم وخلعه طغج بن جف أمير دمشق . وسار القرَّاد الذين فارقوه إلى بغداد وهم محمد بن اسحاق بن كنداجيق ، وخاقان المفلحي ، وبدر بن جف أخو طغج ، وغيرهم من قواد مصر. فسلكوا البرية وتركوا أهاليهم وأموالهم فتاهوا أياماً، ومات من أصحابِهم جماعة من العطش ، وخرجوا فوق الكوفة بمرحلتين وقدِموا على المعتضدِ، فخلع عليهم وأحسن إِليهم . وبقي سائرُ الجنود بمصر على خلافهم ابن خمارويه ، فسألهم كاتبه علىّ بن أحمد المارداني أن ينصرِفوا يومهم ذلك ، فرجعوا. فقتل جيش عمين له وبكر الجند إليه فرمى بالرأسين إليهم فهجَم الجند عليه فقتلوه ، ونهبوا داره ، ونهبوا مصر ، وأحرقوها ، وأقعدوا أخاه هارون في الإمرة بعده فكانت ولايته تسعة أشهر .

ذكر حصر الصقالبة القسطنطينية

وفي هذه السنة سارت الصقالبة إلى الروم ، فحصروا القسطنطينية وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وخربوا البلاد. فلما لم يجد

ملكُ الرومِ منهم خلاصاً جمع من عندهِ من أسارى المسلمين وأعطاهم السًلاح ، وسألهم معونته على الصقالبة، ففعلوا، وكشفوا الصقالبة، وأزاحوهم عن القسطنطينية . ولما رأى ملك الروم ذلك خاف المسلمين على نفسه فردهم وأخذ السلاح منهم ، وفرقهم في البلاد–حذراً من جنايتهم عليه .

ذكر الفداء بين المسلمين والروم

في هذه السنة كان الفداء بين المسلمين ، والروم . فكان جملة من فُدي به من المسلمين الرجال والنساء والصبيان الفين وخمسمائة وأربعة أنفس .

ذكر الحرب بين عسكر المعتضد وأولاد أبي دلف

وفيها سار عبيدُ الله بنْ سُليمان إلى عُمر بِنْ عبد العزيز بِنْ أبي دلف بالجبل ،

فسار عمر إليه بالأمان في شعبان ، فاذعن بالطاعة، فخلع عليه وعلى أهل بيته . وكان قبل ذلك قد دخل بكر بن عبد العزيز بالأمان إلى عبيدِ الله بِنْ سُليمان ، وبدر فولّياه عمل أخيه على أن يسير إليه فيحاربه . فلما دخل عمر في الأمان قالا لبكر : " إن أخاك قد دخل في الطاعة وإنما ولْيناكَ عمله على أنه عاص ، والمعتضد يفعل في أمركما ما يراه ، فامضيا إلى بابه " . وولى النوشري أصبهان ، وأظهر أنه من قبل عمر بن عبد العزيز، فهرب بكر بن عبد العزيز في أصحابه فكتب عبيدَ الله إلى المعتضد بذلك . فكتب إلى بدر ليقيمَ بمكانه إلى أن يعرف حال بكر : وسار الوزيرُ إلى عليٍّ بن المعتضد بالريً ولحق بكرُ بن عبد العزيز بالأهواز. فسير المعتضد إليه وصيف بن موشكير فسار إليه ، فلحقه بحدود فارس وباتا متقابلين .

وارتحل بكر إلى اصبهان ليلاً فلم يتبعه وصيف بل رجع إلى بغداد، وسار بكر إلى اصبهان . فكتب المعتضد إلى بدر يأمره بطلب بكر وحربه (ا) فأمر بدر عيسى النوشري بذلك فقال بكر:

عني مَلامُكَ ليس حين مَلامِ ... هيهات أجدِبُ (2) زائدِ الأيام

طارَتْ عناياتُ الصِّبَا عن مَفْرقي ... ومضي أوانُ شراستي وغُرامي (3)

ألقى الأحبةُ بالعراقِ عصّيهُمْ ... وبقيَت نَصبَ حوادثِ الأيام

(ا) في الطبري : " بكر وعربه " .

(2) في الطبري " أحدث " .

(3) في الطبري : " شراستي وعُرامى " .

ㄱ وتَقاذَمَتْ (ا) بأخي النَّوى ورَمَتْ به رَمْي (2) البعيد قطيعة الأرحامِ (3)

ㄴ فلأقرعَنَّ صفاةَ دهرٍ نابَهُمْ   قَرْعاً يَهز(4)رواسيَ الأعلامِ

ㄷ ولأضرِبَن الهامُ دونَ حرِيمِهم   ضَرْبَ القُدَارِ نَقيعةَ القدّامِ

ㄹ ولأتركَن الوارِدِينَ حياضهم   بقرارةٍ لمواطِىءِ الأقدامَ

ㅁ يا بدرُ انك لو شَهَدْتَ مواقفي   والموتُ يَلْحَظ والسّيوفُ (؟) دوامي

ㅂ لَذَمَمْتَ رأيَكَ في إضاعة حُرمَتي   ولضاقَ ذرْعُكَ في اطِّراح ذِمامي

ㅅ حَرّكتَني بعد السكونِ وإنما   حركتَ من حِصْن (6)جبال تُهامِ

ㅇ وعَجَمْتني فعَجمْتَ مني من حِمًى(7)خَشِنَ المناكِبِ كلَّ يوم زحامِ

ㅈ قلْ لِلأميرِ أبي محمد الذي   يَجْلو بِغرتِهِ دجى الأظلامِ

ㅊ أسكَنْتَني ظِلَ العُلا فسكَنتُهُ   في عَيْشَةِ رغدٍ وعِزّ نامي

ㅋ حتى إذا خلِيْت عني نابَني   نوبٌ أتت (8) وتنكرَتْ أيامِي

ㅌ فلأشكرَنَّ جَميلَ ما أوليتني   ما غَردَتْ في الأيكِ وُرْق حَمامِ

ㅍ هذا أبو حفصٍ يَدي وذَخِيرتي   للنائباتِ وعُدتي ، وسَنَامي

ㅎ نادَيتُهُ فأجابني وهَزَزْتُهُ   فهززْتُ حدَّ الصارمِ الصمصامِ

ㄱ من رام أن يُغضي الجُفُونَ على القَذى أو يستَكِينَ يَرُومُ غير مَرامي

ㄴ ويَخيمُ حين يَرَى الأسِنةَ شُرَّعاً   والبيضُ مُصْلَتَةً ،لضرْبِ الهامِ

ثم ان النوشري انهزم عن بكر، فقال بكر–يذكر هربه ، ويعير وصيفاً بالاحجام عنه ، ويتهدد بدراً في أبيات منها :

(1) في الطبري : " وتقاذفت " .

(2) في الطبري "مَرمَى" .

(3) وقد ذكر الطبري بعد هذا البيت هذان البيتان :

وتَشعب العرب الذين تصدعوا فذببتُ عن احسابهم بحُسامي

فيه تماسلُ ما رَهن من أمرهم والسْمرِ عند تصادمِ الأقوام

(4) في الطبري : "قرعاً يهزْ" .

(5) في الطبري " والصفَاحُ " .

(6) في الطبري " حصنى " .

(7) في الطبري " فعجمت مني مرجَماً " .

(8)في الطبري : " حتي اذا حلئتُ عنه نابني ما نابني " .

قد رأى النوشَرِيُّ حين(1) التقَينا   من إذا أشرِعَ الرماح يفِر

جاء في قَسطَلٍ لُهَام فصُلنا   صَولةً دونها الكُماةُ تَهر

وكوى النوشريِّ آثارَ نار(2)   رؤيتْ عندَ ذاكَ بيضٌ وسُمرُ

غُر بدْراً حِلمي وفضل أناتي   واحتمالي للغر(5) مما يَغُر

سوف يأتيهِ من خُيولي (4)قب   لاحقاتُ البطونِ جُونَ وشقرُ

يَتَنَادُونَ كالسعَالى (5) عليها   من بني وائلَ أسُودٌ تَكر

لسمتُ بَكراً إن لم أدعهم حديثاً   ما سَرَى كوكب وما كر دَهرُ

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أمر المعتضد بالكتابةِ إلى جميع البلدان أن يرد الفاضل من سهام المواريث إلى ذوي الأرحام ، وأبطل ديوان المواريث . وفيها في شوّال مات عليّ بن محمد بن أبي الشوارب القاضي ، وكانت ولايته للقضاء بمدينة المنصور ستة أشهر. وفيها قدم عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف بغداد فأمر المعتضد الناس ، والقواد بإستقباله ، وقعد له المعتضد فدخل عليه ، وأكرمه ، وخلع عليه . وفيها في رمضان تحارب عمرو بن الليث الصفار، ورافع بن هرثمة فانهزم رافع. وكان سبب ذلك أن عمراً فارق نيسابور، فخالفه إِليها رافع وملكها وخطب فيها لمحمد بن زيد العلوي ، فرجع عمرو من مرو إلى نيسابور ، فحصرها فانهزم رافع منها . ووجَه عمرو في طلبه عسكراً فلحقوه بطوس ، فانهزم منهم إلى خوارزم فلحقوه بها ، فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى المعتضد، فوصله سنة أربع وثمانين في المحرم. فأمر بنصبه ببغدادَ وخلع على القاصد به . وفيها مات البحتري الشاعر، واسمه الوليد بن عبادة بمنبج أو حلب ، وكان مولده سنة ست ومائتين . وفيها توفي محمد بن سليمان أبو بكر المعروف بابن الباغندي ، وأبو الحسن عليّ بن العباس بن جريج الشاعر المعروف بابن الرومي ، وقيل ، توفي سنة

(1) في الطبري " لما " .

(2) في الطبري " ولواءُ الموشجير افضى إلينا رويت " .

(3) في الطبري : " أناتي واحتمالي وذاك " .

(4) في الطبري " سوف يأتينه شواذب " .

(5) في الطبري " يتبارين كالسعالي " .

أربع وثمانين وديوانه معروف رحمه الله تعالى . وفيها توفي سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع السري (١) ومولده سنة مائتين ، وقيل : وثلاثين .

(1) هو أحد المشايخ وكان من أكابر القوم والمتكلم في علوم الاخلاص والرياضيات وكان كبير الشأن .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين

في هذه السنة كانت فتنة بطرسوس بين راغب مولى الموفَّق وبين دميانة . وكان سبب ذلك ان راغباً مولى الموفَق ترك الدعاء لهارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ، ودعا لبدر مولى المعتضد، واختلف هو وأحمد بن طوغان . فلما انصرف أحمد بن طوغان من الفداء الذي كان سنة ثلاث وثمانين ركب البحر ومضى ولم يدخل طرسوس ، وخلف دميانة بها للقيام بأمرها. وأمدّه ابن طوغان فقوي بذلك ، وأنكر ما كان يفعله راغب فوقعت الفتنة فظفر بهم راغب ، فحمل دميانة إلى بغداد . وفيها أوقعَ عيسى بن النوشري بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف ، بنواحي اصبهان ، فقتل رجاله واستباح عسكره . ونجا بكر في نفر يسير من أصحابه فمضى إلى محمد بن زيد العلويِّ بطبرستان ، وأقام عنده إلى سنة خمس وثمانين ومات . ولما وصل خبر موته إلى المعتضد أعطى القاصد به الف دينار. وفيها في ربيع الأول قلَّد أبو عمر يوسف بن يعقوب القضاء بمدينة المنصور مكان عليّ بن محمد بن أبي الشوارب . وفيها أخذ خادم نصراني لغالب النصراني ، وشهد عليه أنه شتم النبي صلى الله عليه وسلم ،فاجتمع أهل بغداد، وصاحوا بالقاسم بن عبيد الله ، وطالبوه بإقامة الحدَ عليه ، فلم يفعل ، فاجتمعوا على ذلك إلى دار المعتضد فسُئِلُوا عن حالهم ، فذكروه للمعتضد، فأرسل معهم إلى القاضي أبي عمر فكادوا يقتلونه من كثرة ازدحامهم ، فدخل باباً وأغلقه ولم يكن بعد ذلك للخادم ذكر ولا للعامة ذكر اجتماع في أمره .

وفيها قَدِمَ قومٌ من أهل طرسوس على المعتضد يسألونه أن يولّي عليهم والياً وكانوا قد أخرجوا عامل ابن طولون فسيَّر إليهم المعتضد ابن الأخشيد أميراً . وفيها في ربيع الآخر ظهرت بمصر ظلمة وحمرة في السماء شديدة حتى كان الرجل ينظر إلى وجه الآخر فيراه

أحمر وكذلك الحيطان فمكثوا كذلك من العصر إلى العشاء الآخرة وخرج الناس من منازلهم يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه .

وفيها عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس ، وهو كتاب طويل قد أحسن كتابته إلا أنه قد استدل فيه بأحاديث كثيرة على وجوب لعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصح ، وذكر في الكتاب يزيد وغيره من بني أمية، وعملت به نسخ قرئت بجانبي بغداد(١) ومنع القضاة والعامة من القعود بالجامعين ورحابهما . ونهى عن الاجتماع على قاض إلى مناظرةٍ أو جدل في أمر الدين . ونهى الذين يسقون الماء في الجامعين أن يترحموا على معاوية ولا يذكرونه ، فقال له عبيد الله بن سليمان : " إنا نخاف اضطراب العامة واثارة الفتنة ، فلم يسمع منه . فقال عبيدُ الله للقاضي يوسف بن يعقوب ، ليحتال في منعه عن ذلك ، فكتَم يوسف المعتضد، وحذره اضطراب العامة ، فلم يلتفت فقال يا أمير المؤمنِين ، فما نصنع بالطالبيين الذين يخرجون من كل ناحية ويميل إليهم خلق كثير من الناس لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سمع الناس ما في هذا الكتاب من اطرائهم كانوا إليهم أميل ، وكانوا هم أبسط ألسنة وأظهر حجة فيهم اليوم فأمسك المعتضد ولم يأمر في الكتاب بعد ذلك بشيء ، وكان عبيد الله من المنحرفةِ عن عليّ عليه السلام .

وفيها سيَّر المعتضد إلى عمرو بن الليث الخلع ، واللواء، بولاية الرّي وهدايا .

وفيها فتحت قرة من بلد الروم على يد راغب مولى الموفق ، وابن كلوب في رجب. وفيها في شعبان ظهر بدار المعتضد انسان بيده سيف فمض إليه بعض الخدم ، لينظر ما هو، فضربه بالسيف فجرحه ، وهرب الخادم ودخل الشخص في زرع في البستان فتوارى فيه ، فطلب بافي ليلته ، ومن الغد فلم يعرف له خبر، فاستوحش المعتضد، وكَثُرَ الناس في أمرِهِ بالظنون ، حتى قالوا له : إنه من الجن ، وظهر مراراً كثيرة حتى وكلَ المعتضد بسور داره ، وأحكمه

ضبطاً . ثم أحضر المجانين والمعزمين ، بسبب ذلك الشخص ، فسألهم عنه فقال المعزمون : نحن نعزِمُ على بعض المجانين " . فاذا سقط سُئلَ الجنيُّ عنه ، فأخبر خبره فعزموا على امرأة مجنونة، فصرعت والمعتضد ينظر إليهم ، فلما صرعت ، أمرهم بالانصراف . وفيها وجه كرامة بن مُر من الكوفة بقوم مقيدين ذُكرَ أنهم من القرامطة فقرروا بالضرب فأقرّوا على أبي هاشم بن صدقة الكاتب ، أنه منهم فقبض

(1) ورد نص الكتاب كاملاً في تاريخ الطبرى ط . دار الكتب العلمية بيروت.

عليه وحبسه . وفيها وثبَ الحرثُ (1) عبد العزيز بن أبي دلف المعروف بابي ليلى بشفيع الخادم فقتله . وكان أخوه عُمر بن عبد العزيز قد أخذه ، وقيده ، وحبسه في قلعة زر(2)، ووكل به شفيعا الخادم ، ومعه جماعة من غلمان عمر .

فلما استأمن عمر إلى المعتضد، وهرب بكر بقيت القلعة بما فيها من الأموال بيد شفيع . فكلمه أبو ليلى في إطلاقه فلم يفعل ، وطلَب من غلام كان يخدمه مبرداً، فادخله في الطعام فبرَدَ مسمار قيده . وكان شفيع في كل ليلة يأتيً إلى أبي ليلى يفتقده ، وبمضي ينام ، وتحت رأسه سيف مسلول . فجاء شفيع في ليلة إليه فحادثه ، فطلب منه أن يشرب معه أقداحاً ففعل ، وقام الخادم لحاجته . فجعل أبو ليلى في فراشه ثياباً تثبه انساناً نائماً، وغطاها باللحاف ، وقال لجارية كانت تخدمه : " اذا عاد شفيع قولي له : هو نائمٌ " . ومضى أبر ليلى، فاختفى ظاهر الدار، وقد أخرج قيده من رجله . فلما عاد شفيع قالت له الجارية : هو نائم ، فاغلق الباب ، ومشى إلى داره ، ونام فيها . فخرج أبو ليلى، وأخذ السيف من عند شفيع وقتله فوثب الغلمان فقال لهم أبو ليلى : قد قتلت شفيعاً ومن تقدم إليّ قتلته ، فانتم آمنون ، فخرجوا من الدار. واجتمع النَاسُ إليه ، فكلَّمهم ووعَدهُم الاحسان ، وأخذَ عليهم الأيمان ، وجمع الأكواد وغيرهم ، وخرج مخالفاً على المعتضد وكان قتل شفيع في ذي القعدة . ولما خرج أبو ليلى على السلطان قصده عيسى النوشري فاقتتلوا فأصاب أبا ليلى في حلقه سهم فنحره فسقط عن دابته ، وانهزم أصحابه وحُمِلَ رأسه إلى أصبهان ثم إلى بغداد .

وفيها كان المنجمون يوعدون بغرق أكثر الأقاليم إلا اقليم بابل ، فإنه يسلم منه اليسيرُ، وأن ذلك يكون بكثرة الأمطار، وزيادة الأنهار والعيون . فقحط الناس ، وقلَّت الأمطار، وغارت المياه حتى احتاج الناس إلى الاستسقاء، فاستسقوا ببغداد مراتٍ . وفيها ظهر اختلال حال هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون بمصر واختلفت القواد ، وطمعوا فانحل النظام ، وتفرّقت الكلمة . ثم اتفقوا على أن جعلوا

مدبِّر دولته أبا جعفر بن أبان ، وكان عند والده وجده مقدماً كبير القدر، فأصلح من الأحوال ما استطاع ، وكم جهد الصناع إذا اتسع الخرق . وكان من بدمشق من الجند قد خالفوا

(ا) في الطبري الحارث .

(2) في الطبري " قلعة للآل أبي دلف بالذر" .

على أخيه جيش ، كما ذكرنا فلما تولى أبو جعفر الأمور سير جيشاً إلى دمشق عليهم بدر الجمالي ، والحسين بن أحمد المارداني ، فأصلحا حالها ، وقرّروا أمرر الشام . واستعملا على دمشق طغج بن جَف واستعملا على سائر الأعمال ، ورجعا إلى مصر، والأمور فيها اختلال ، والقواد قد استولى كل واحد منهم على طائفة من الجند وأخذهم اليه .

وهكذا يكون انتقاض الدول وإذا أراد الله أمراً فلا مرد لحكمه ، وهو سريع الحساب ، وحجَ بالناس هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي المعروف بأترجة . رفيها توفي اسحاق بن موسى بن عمران أبر يعقوب الاسفرايني الفقيه الشافعي ، والعتابي واسمه عبد العزيز بن معاوية ، من ولد عتاب بن أسيد – بفتح الهمزة وكسر السين. وفيها أيضاً توفّي أبو عبد الله محمد بن الوضاح بن ربيع الأندلسي ، وكان من العلماء المشهورين .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائتين

فيها قطع صالح بن مدرك الطائي الطريق على الحاج بالأجفُر(ا) في المحرم فحاربه حي الكبير، وهو أمير القافلة ، فلم يقوَ به ، وبمن معه من الأعراب ، وظفر بالحج ومن معه بالقافلة ، فأخذوا ما كان فيها، من الأموال والتجارات ، وأخذوا جماعة من النساء والجواري (2)، والمماليك . فكان قيمة ما أخذوه ألفي ألف دينار. وفيها ولي عمرو بن الليث ما وراء النهر، وعزل إسماعيل بن أحمد . وفيها كان بالكوفة ريح صفراء، فبقيت إلى المغرب ثم اسودَت فتضَرَّعَ الناسُ ، ثم مطروا مطراً شديداً برعود هائلة، وبروق متصلة ، ثم سقط بعد ساعة بقرية تعرف باحمداباذ ، ونواحيها أحجار بيض وسود مختلفة الألوان ، في أوساطها طبق ، وحمل منها إلى بغداد فرآه الناس .

وفيها سار فاتك مولى المعتضد إلى الموصل لشِظر في أعمالها، وأعمال الجزيرة والثغور الشامية ، والجزرية وإصلاحها مضافاً إلى ما كان يتقلده من البريد بها . وفيها كان بالبصرة ريح صفراء ، ثم عادت خضراء ثم سوداء، ثم تتابعت الأمطار بما لم يروا مثله ، ثم وقع برد كباروزن البر؟ة مائة وخمسون درهماً فيماقِيلَ (3). وفيها مات الخليل بن رمال بحلوان . وفيها ولي المعتضد محمد بن أبي السَّاج أعمال اذربيجان ، وأرمينية ، وكان قد تغلب عليها، وخالف وبعث إليه بخلع . وفيها غزا راغب مولى الموفّق في البحر فغنم

(1) الأجفر : بضم الفاء ، موضع بني فيد والخزيمية .

(2) في الطبري : " وأخذوا جماعة من النساء الحرائر والممالك " .

(3) في الطبري بعدما جاء في ابن الأثير " وأن الريح أقلعت من نهر الحسين خمسمائة نخلة واكر ومن نهر معقل مائة نخلة عدداً " .

مراكب كثيرة، فضرب أعناق ثلاثة آلاف من الروم كانوا فيها وأحرق المراكب ، وفتح حصوناَ كثيرةً ، وعاد سالماً ومن معه .

وفيها توفي أحمد بن عيسى بن الشيخ (1) وقام بعده ابنه محمد بآمد وما يليها على سبيل التغلب . فسار المعتضد إلى آمد بالعساكر، ومعه ابنه أبو محمد علىّ المكتفي في ذي الحخة، وجعل طريقه على الموصل ، فوصل آمد وحصرها إلى ربيع الآخر من سنة ست وثمانين ومائتين ، ونصب عليها المجانيق . فأرسل محمد بن أحمد بن عيسى يطلب الأمان لنفسه ولمن معه ولأهل البلد فأمَّنهم المعتضد، فخرج إليه وسلَّم البلد فخلع عليه المعتضد، وأكرمه وهدم سورها . ثم بلغه أن محمد بن الشيخ يريد الهرب فقبض عليه وعلى ماله .

وفيها وجه بارون بن خمارويه بن خمارويه إلى المعتضد ليسأله أن يقاطعه على ما في يده ويدنو به من مصر، والشام ، ويسلم أعمال قنسرين إلى المعتضد ويحمل كل سنة أربعمائة ألف وخمسين ألف دينار، فأجابه إلى ذلك . وسار من آمد واستخلف فيها ابنه المكتفي ووصل إلى قنسرين ، والعواصم ، فتسلمها من أصحاب هارون وكان ذلك سنة ست وثمانين ومائتين وفيها غزا ابن الأخشيد(2) بأهل طرسوس ففتح الله على يديه وبلغ اسكندرون . وحجٍّ بالناس محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي . وفيها توفّي ابراهيم بن اسحاق الحربي ببغداد وهو من أعيان المحدثين (3)... واسحاق بن ابراهيم الدبري ، صاحب عبد الرزاق بصنعاء ، وهو آخر من روى عن عبد الرزاق (الدبري) بفتح الدال المهملة والباء الموحدة وبعدها راء وفيها توفي أبو العباس محمد بن يزيد الازدي اليماني الخوي المعروف بالمبرد ، وكان قد أخذ النحو عن أبي عثمان المازني .

(1) هو والي آمد وديار بكر ولاه إياهما المعتز .

(2) في الطبري : " ابن الإخشاد " .

(3) ابراهيم بن اسحاق الحربي : كان عالماً زاهداً مصنفاً .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائتين

وفي هذه السنة وجه محمد بن أبي السَّاج المعروف بأبي المسافر إلى بغداد برهينةٍ بما ضمن للسلطان من الطاعة ، والمناصحة ، ومعه هدايا جليلة .

وفيها أرسل عمرو بن الليث هَدية(1) إلى المعتضد من نيسابور فكانت قيمتها
أربعة آلاف درهم .

ذكر ابتداء أمر القرامطة بالبحرين

وفيها ظهر رجل من القرامطة يُعرَفُ بابي سعيد الجنابي ، بالبحرين ، فاجتمع
إليه جماعة من الأعراب والقرامطة ، وقوي أمره ، فقتل من حوله من أهل القرى . ثم سار إلى القطيف (2)فقتل من بها وأظهر أنه يريد البصرة . فكتب أحمد بن محمد بن يحيى الواثقي ، وكان متولي البصرة إلى المعتضد بذلك ، فأمره بعمل سور على البصرة ، وكان مبلغ الخراج عليه أربعة عشر الف دينار .

وكان ابتداء القرامطة بناحية البحرين ، أن رجلاً يعرف بيحيى بن المهدي ،
قصد قطيف ، فنزل على رجل يعرف بعلىّ بن المعلى بن حمدان ، مولى الزياديين . وكان يغالي في التشيّع ، فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي ، وكان ذلك سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وذكر أنه خرج إلى شيعته في البلاد يدعوهم إلى أمره ، وان ظهوره قد قرب ، فوجه عليَ بن المعلى إلى الشيعة من أهل القطيف ، فجمعهم وأقرأهم الكتاب

(1) لقد أورد الطبري تفاصيل هذه الهدية .

(2) القَطيف : بفتح أول وكسر ثانيه ، مدينة بالبحرين هي اليوم قصبتها وأعظم مدنها .

الذي مع يحيى بن المهدي إليهم من المهدي فأجابوه ، وإنهم خارجون معه إذا ظهر أمره . ووجه إلى سائر قرى البحرين بمثل ذلك فأجابوه . وكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابي وكان يبيع للناس الطعام ، ويحسب لهم بيعهم. ثم غاب عنهم يحيى بن المهدي مدة ، ثم رجع ، ومعه كتاب يزعم أنه من المهدي إلى شيعته فيه قد عرفني رسولي يحيى بن المهدي مسارعتكم إلى أمري ، فليدفع إليه كل رجل منكم ستة دنانير وثلثين ، ففعلوا ذلك .

ثم غاب عنهم وعاد ، ومعه كتاب فيه أن ادفعوا إلى يحيى خمس أموالكم ، فدفعوا إليه الخمس . وكان يحيى يتردد في قبائل قيس ، ويورد إليهم كتباً يزعم أنها من المهدي ، وأنه ظاهر فكونوا على أهبة . وحكى إنسان منهم يُقالُ له : إبراهيم الصائغ ، أنه كان عند أبيِ سعيد الجنابي ، وأتاه يحيى فأكلوا طعاماً فلما فرغوا خرج أبو سعيد من بيته ، وأمر امرأته أن تدخل إلى يحيى ، وأن لا تمنعه إن أراد فانتهى هذا الخبر إلى الوالي فأخذ يحيى، فضربه وحَلَقَ رأسَهُ ولحيتَهُ ، وهرب أبو سعيد الجنابي إِلى جنابا، وسار يحيى بن المهدي إلى بني كلاب ، وعقيل ، والخريس ، فاجتمعوا معه ومع أبي سعيد، فعظم أمر أبي سعيد، وكان منه ما يأتي ذكره .

ذكر عدة حوادث

وفيها سار المعتضد من آمد بعد أن ملكها ، كما ذكرناه ، إلى الرقة فولّى ابنه عليّاً المكتفي قنسرين ، والعواصم ، والجزيرة ، وكاتبه النصراني واسمه الحسين بن عمرو ، فكان ينظر في الأموال فقال الخليع في ذلك :

حسين بن عمرو عدوّ القرآنِ   يصنعُ في العرب ما يصنعْ
يقومُ لهيبتِهِ المسلمونَ   صفوفاً لفرَدٍ إذا يطلعْ
فإنْ قِيلَ قد أقبَلَ الجاثليقً   تُحفَى لهُ ومَشَى يظلعْ

وفيها توفي ابن الأخشيد أمير طرسوس ، واستخلف أبا ثابت على طرسوس .

وفيها سار إلى الأنبار جماعة أعراب من بني شيبان ، وأغاروا على القرى ، وقتلوا من لحقوا من الناس ، وأخذوا المواشي . فخرج إليهم أحمد بن محمد بن كمشجور، متوليها فلم يطقهم . فكتب إلى المعتضد بذلك فأمَده بجيش فأدركوا الأعراب ، وقاتلوهم

فهزمهم الأعراب ، وقتلوا فيهم ، وغرق أكثرهم ، وتفرقوا . وعاثَ ا لأعرابُ في تلك الناحية وبلغ خبر الهزيمة إلى المعتضد فسيَّر جيشاً آخر فرحَلَ الأعرابُ إلى عينِ التمرِ فافسدوا ، وعاثوا ،وذلك في شعبان ورمضان . فوجَّه إليهم عسكراً آخر إلى عين التمرِ ، فسلكوا البرية إلى نواحي الشام ، فعاد العسكر إلى بغداد ولم يلقهم. وفيها استدعى المعتضد راغباً مولى الموفق من طرسوس فقدم عليه – وهو بالرقة – فحبسه ، وأخذ جميع ما كان له ، فمات بعد ايام من حبسه ،وكان فيِ ذلك في شعبان . وقبض على بكنون (ا) غلامُ راغب وأخذ ماله بطرسوس . وفيها قلّد المعتضد ديوانَ المشرقِ محمد بن داود بن الجراح ، وعزل عنه أحمد بن محمد بن الفرات . وقلد ديوان المغرب عليّ بن عيسى بن داود بن الجراح. وفيها توفيّ أبو جعفر محمد بن ابراهيم الأنماطي المعروف بالمربع صاحب يحيى بن معين ، وكان حافظاً للحديث ، ومحمد بن يوسف الكريمي البصري .

(1) في الطبري " مكنون " .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائتين

ذكر قتل أبي ثابت أمير طرسوس وولاية ابن الأعرابي

في هذه السنة اجتمعت الرُّوم وحشدَتْ في ربيع الآخر ، ووافت باب قلمية من طرسوس ، فنفر أبو ثابت أمير طرسوس بعد موت ابن الأخشيد ، وكان استخلفه عند مولَه . فبلغ أبو ثابت في نفيره إلى نهر الرجان (1) في طلبهم ، فأسر أبو ثابت ،وأصيب الناس معه . وكان ابن كلوب غازياً في درب السلامة ، فلما عاد جمع مشايخ الثغر ليتراضوا بأمير ، فاجمعوا رأيهم على ابن الأعرابي فولّوه أمرهم ، وذلك في ربيع الآخر من هذه السنة .

ذكر ظفر المعتضد بوصيف ومن معه

في هذه السنة هرب وصيف خادم محمد بن أبِي الساج من برذعة(2) إلى ملطية من أعمال مولاه . وكتب إلى المعتضد يسأله أن يوليه الثغور، فأخذ رسله ، وقرَّرهم عن سبب مفارقة وصيف مولاه . فذكروا له أنه فارقه على مواطأة منهما أنه متى ولّى وصيف الثغورَ، سار إليه مولاه ، وقصدا ديار مضر ، وتغلبا عليها . فسار المعتضد نحوه فنزل العين السوداء ، وأراد الرحيل في طريق المَصِيصة فاتته العيون ، فأخبروه أن وصيفاً يريد عين زربة ،فسأل أهل المعرفة بذلك الطريق وسألهم عن اقرب الطرق إلى لقاء وصيف ، فأخذوه وساروا به نحوه. وقدم جمعاً من عسكره بين يديه فلقوا وصيفاً فقاتلوه وأخذوه أسيراً فأحضروه عند المعتضد فحبسه ، فأمر ونودي في أصحاب وصيف

(1) واد عظيم بنجد .

(2) برذعة : بلد في أقصى أذربيجان .

بالأمان ، وأمر العسكر برّد ما نهبوه منهم ، ففعلوا ذلك وكانت الوقعة لثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة .

فلما فرغ منه رحل إلى المصيصة ، وأحضر رؤساء طرسوس ، فقبض عليهم

لأنهم كاتبوا وصيفاً ، وأمر باحراق مراكب طرسوس التي كانوا يغزون فيها وجميع آلاتها . وكان من جملتها نحو من خمسين مركباً قديمة قد أنفق عليها من الأموال مالا يحصى ولا يمكن عمل مثلها فأضرّ ذلك بالمسلمين وفت في أعضادهم وأمر الروم أن يغزوا في البحر . وكان إحراقها باشارة دميانة غلام بازمار(1) لشيء كان في نفسه على أهل طرسوس . واستعمل على أهل الثغور الحسن بن عليّ كوره . وسار المعتضد إلى انطاكية ، وخلب وغيرهما ، وعاد إلى بغداد . وفيها توفيت ابنة خمارويه زوج المعتضد.

ذكر أمر القرامطة وانهزام العباس الغنوي منهم

في هذه السنة في ربيع الآخر عَظُمَ أمر القرامطة بالبحرين وأغاروا على نواحي هجر ، وقرب بعضهم من نواحي البصرة ، فكتب أحمد الواثقي يسأل المدد فسيّر إليه سميريات فيها ثلاثمائة رجل . وأمر المعتضد باختيار رجل ينفذه إلى البصرة . وعزل العباس بن عمرو الغنوي عن بلاد فارس ، وأقطعه اليمامة ، والبحرين وأمره بمحاربة القرامطة ، وضمَّ إليه زهاء الفي رجلٍ . فسار إلى البصرة ، واجتمع إليه جمع كثيرٌ من المتطوعة والجند، والخدم . ثم سار منها إلى أبي سعيد الجنابي فلقوه مساء ، وتناوشوا القتال ، وحجز بينهم الليل . فلما كان الليل انصرف عن العباس من كان معه من اعراب بني ضبَة وكانوا ثلاثمائة إلى البصرة وتبعهم متطوعة البصرة . فلما أصبح العبّاسُ باكر الحرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم حمل نجاح غلام أحمد بن عيسى بن الشيخ ، من ميسرة العباس في مائة رجل على ميمنة ابي سعيد فوغلوا فيهم فقتلوا عن آخرهم ، وحمل الجنابي ومن معه على أصحاب العباس ،فانهزموا ، وأسر العباس ، واحتوى الجنابي على ما كان في عسكره . فلما كان من الغد أحضر

الجنابي الأسرى ، فقتلهم جميعاً وحرقهم ، وكانت الوقعة آخر شعبان . ثم سار الجنابي إلى هجر بعد الوقعة

(1) فى الطبرى " يازمان " وقد تقدم .

فدخلها ، وأفن أهلها . وانصرف من سلم من المنهزمين – وهم قليل – والبصرة بغير زاد فخرج إليهم من البصرة نحو أربعمائة رجل على الرواحل ، ومعهم الطعام ،والكسوة ، والماء ، فلقوا بها المنهزمين ، فخرج عليهم بنو أسد ، وأخذوا الرواحل ، وما عليها، وقتلوا من سلم من المعركة . فأضربت البصرة لذلك ، وعزم أهلها على الانتقال منها ، فمنعهم الواثقي. وبقي العباس عند الجنابي أياماً ،ثم أطلقه وقال له : " امضِ إلى صاحبك وعرِّفه ما رأيت " . وحمله على رواحل ، فوصل إلى بعض السواحل ، وركاب البحرَ فوافى الابلة ، ثم سار منها إلى بغداد ، فوصلها في رمضان . فدخل على المعتضد فخلع عليه .

بلغني أن عُبيدَ الله بن عبدالله بن طاهر قال : " عجائب الدنيا ثلاث ، جيش العباس بن عمرو ، يؤسر وحده وينجو وحده ، ويقتل جميع جيشه ، وجيش عمرو بن الصَفار ،يؤسر وحده ، ويسلم جميع جيشه ، وأنا أنزل في بيتي وتولّى ابني أبو العباس الجسرين ببغداد " . ولما أطلقَ أبؤ سعيد العباس اعطاه درجاً ملصقاً ، وقال له : " أوصله إلى المعتضد فإن لي فيه أسراراً " . فلما دخل العباس على المعتضد عاتبه المعتضد ، فأوصل إليه العباس الكتاب فقال : " والله ليس فيه شيء وإنما أراد أن يعلمني أني أنفذتك إليه في العدد الكثير ، فردك فرداً وفتح الكتاب وإذ ليس فيه شيء " . وفيها في ذي القعدة ، أوقع بدر غلام الطائيّ بالقرامطة على غرّة منهم بنواحي ميسان (1) وغيرها ، وقتل منهم مقتلة ، ثم تركهم خوفاً أن تخرب السواد وكانوا فلاحيه وطلب رؤساءهم ، فقتل من ظفر به منهم .

ذكر أسر عمرو الصفار وملك إسماعيل خراسان

في هذه السنة في ربيع الأول أسر عمرو بن الليث الصَّفار . وكان سبب ذلك أن عمراً أرسل إلى المعتضد برأس رافع بن هرثمة ، وطلب منه أن يولّيه ما وراء النهر ، فوجه إليه الخلع ، واللواء بذلك ، وهو بنيسابور . فوجَّه لمحاربة إسماعيل بن أحمد السَّاماني ،

صاحب ما وراء النهر ، محمد بن بشير ، وكان خليفته ، وحاجبه ، وأخص أصحابه بخدمته وأكبرهم عنده وغيره من قواده إلى آمل ، فعبر إليهم إسماعيل جيحون

(1) اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان .

فحاربهم فهزمهم ، وقتل محمد بن بشير ، في نحو ستة آلاف رجل ، وبلغ المنهزمون إلى عمرو– وهو بنيسابور – وعاد إسماعيل إلى بُخارى ، فتجهز عمرو لقصد إسماعيل فأشار إليِه اصحابه بانقاذ الجيوش ولا يخاطر بنفسه ، فلم يقبل منهم ، وسارعن نيسابور نحو بلخ ، فأرسل اليه إسماعيل : " إنك قد وليت دنيا عريضة ، ط نما في يدي ما وراء النهر ، وأنا في ثغر فاقنع ، بما في يدك واتركني مقيماً في هذا الثغر ، . فأبى .

فذكر لعمرو وأصحابه شدة العبور بنهر بلخ فقال؛ لو شئت ان أسكره ببدر الأموال ، وأعبره لفعلت . فسار إسماعيل نحوه وعبر النهر إلى الجانب الغربي. وجاء عمرو فنزل بلخ وأخذ إسماعيل عليه النواحي لكثره جمعه وصار عمرو كالمحاصر وندم على ما فعل ، وطلب المحاجزة ، فأبى إسماعيل عليه ، فاقتتلوا ، فلم يكن بينهم كثير قتال ، حتى انهزم عمرو فوّلى هارباً . ومرّ بأجمة في طريقه فقيل له : إنها أقرب الطرق ، فقال لعامة من معه : امضوا في الطريق الواضح . وسار هو في نفر يسير ، فدخل الأجمة ، فوحلت به دابته ، فلم يكن له في نفسه حيلة ، ومضى من معه ، ولم يعرجوا عليه . وجاء أصحاب إسماعيل فأخذوه أسيراً . فسيره إسماعيل إلى سمرقند . ولما وصل الخبر إلى المعتضد ذمَّ عمراً ومدحَ إسماعيل . ثم إن إسماعيل خيّر عمر وبين مقامه عنده ، أو إنفاذه إلى المعتضد ث فاختار المقام عند المعتضد فسيَّره إليه ، فوصل إلى بغداد ، سنة ثمان وثمانين ومائتين .

فلما وصل ركب على جمل وأدخِلَ بغداد ثم حبِسَ ، فبقي محبوساً حتى قتل سنة تسع وثمانيِن على ما نذكره . وارسل المعتضد إلى اسماعيل بالخلع وولّاه ما كان بجد عمرو ، وخلع على نائبه بالحضرة المعروف بالمرزوباني ، واستولى اسماعيل على خراسان ، وصارت بيده . وكان عمرو أعور شديد السمرة ، عظيم السياسة قد منط ث أصحابه ، وقواده أن يضرب أحد منهم غلاماً إلا بأمر، م و يتولى عقوبة الغلام نائبه ، أو أحد حجابه . وكان يشتريِ

المماليك الصغار ، ويرميهم ، ويهبهم لقواده ، ويجري عليهم الجرايات الحسنة سراً ، ليطالعوه بأحوال قواده ، ولا ينكتم عنه من أخبارهم شيء ، ولم يكونوا يعلمون من ينقل إليه عنهم . فكان أحدهم يحذره وهو وحده .

حكِيَ عنه أنه كان له عامل بفارس يقال له : أبو حصين ، فسخط عليه عمرو ، وألزمه أن يبيع أملاكه ، ويوصل ثمنها إليه ففعل ذلك . ثم طلب منه مائة ألف درهم فإن

أداها في ثلاثة أيام ، وإلا قتله ، فلم يقدر على شيء منها .
فأرسل إلى م بي سعيد الكاتب ، يطلب منه أن يجتمع به ، فأذِنَ له ، فاجتمع به وعرفه ضيق يده ، وسأله أن يضمنه ، فيخرج من محبًسِهِ ويسعى في تحصيل المبلغ المطلوب منه ، ففعل ، وأخرجه فلم يفتح عليه بشيء . فعاد إلى أبي سعيد الكاتب ، فبلغ خبره عمراً فقال : "والله ما أدري من أيهما أعجب مش م بي سعيد فيما فعل من بذل مائة م لف درهم أم في أبي حصين ، كيف عاد وقد علم أنه القتل ؟" ثم أمر بإطلاقَ ما عليه وردّه إلى منزلته .

وحُكِيَ عنه أنه كان يِحمل أحمالاً كثيرة من الجرب ، ولم يعلم أحد ما مراده

فاتفق في بعض السنين أنه قصد طائفة من العُصاة عليه للايقاع بهم ، فسلك طريقاً لا تظنً العصاة عليه انهم يؤتون منه ، وكان في طريقه وادٍ فأمر بتلك الجرب فملئت تراباً وأحجاراً ونضد بعضها إلى بعض ، وجعلها طريقاً في الوادِي ، فعبر أصحابه عليها ، وأتاهم وهم آمنون فاثخن فيهم ، وبلغ منهم ما أراد .

وحُكي ايضاً أن اكبر حجابه كان اسمه محمد بن بشير ، وكان يخلفه في كثير من أموره العظام . فدخل عليه يوماً وأخذ يعدد عليه ذنوبه فحلف محمد بالله والطلاق ، والعتق أنه لا يملك إلا خمسين بدرة وهو يحملها إلى الخزانة ، ولا يجعل به ذنباً لم يعلمه فقال عمرو : ما أعقلك من رجلٍ ، احملها إلى الخزانة ، فحملها فرضي عنه . وما أقبح هذا من فعل ، وشره إلى أموال من أذهب عمره في خدمته .

ذكر قتل محمد بن زيد العلوي

في هذه السنة قتِلَ محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان ، والديلم . وكان

سبب قتله أنه لما اتصل به أسر عمرو بن الليث الصَّفار خرج من طبرستان نحو خراسان ظناً منه أن اسماعيل السَّاماني لا يتجاوز عمله ولا يقصد خراسان وانه لا دافع له عنها . فلما سار إلى

جرجان أرسل اليه اسماعيل وقد استولى على خراسان يقول له : الزمْ عملَكَ ولا تتجاوز عمله ولا تقصد خراسان . وترك جرجان له فأبى ذلك محمد . فندب إليه إسماعيل بن أحمد محمد بن هارون – وهذا محمد كان يخلف رافع بن هرثمة أيام ولايته خراسان – فجمع محمد جمعاً كثيراً من فارس وراجل وسار نحو محمد بن زيد ، فالتقوا على باب جرجان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم محمد بن هارون أولاً ، ثم رجع ، وقد تفرق أصحاب محمد بن زيد في الطلب، فلما رأوه قد رجع إليهم ولوا

هاربين . وقتل منهم بشر كثير ، وأصابت ابن زيد ضربات وأسِرَ ابنه زيد وغَنِمَ ابن هارون عسكره وما فيه .

ثم مات محمد بن زيد بعد أيام من جراحاته التي أصابته فدُفِنَ على باب جرجان ، وجمل ابنه زيد بن محمد إلى إسماعيل بن أحمد فأكومه ، ووسَّع في الإنزال عليه ، وأنزله بُخارى ، وسار محمد بن هارون إلى طبرستان ، وكان محمد بن زيد ، فاضلاً أديباً شاعراً عارفاً حَسَنَ السيرة . قال ابو عُمر الأستراباذي : " كنت أوردُ على محمد بن زيد أخبار العباسيين " . فقلت له : " انهم قد لقبوا أنفسهم ، فإذا ذكرتهم عندك أسميّهم أو ألقبهم ، فقال : : " الأمر موسعٌ عليك ، سمهم ولقبهم بأحسن ألقابهم ، وأسمائهم ، وأحبها إليهم ا وقيل ؛ حضر عنده خصمان أحدهُما اسمه معاوية ، والآخر اسمه عليّ فقال : الحكمُ بينكما ظاهرٌ ، فقال معاوية : إن تحت هذين الأسمين خبراً، قال محمد : وما هو؟ قال ؛ ان أبي كان من صادفي الشيعة فسمًاني معاوية ليكفني شر النواصب ، وإنّ أبا هذا كان ناصبياً، فسماه علياً خوفاً من العلوية والشيعة ، فتبسَّم إليه محمد ، وأحسَنَ إليه وقربه ، وقيل : استأذن عليه جماعة من أضراء الشيعة وقرائِهم ، فقال؛ أدخلوا فإنه لا يحبنا إلا كل كسيرٍ وأعور.

ذكر ولاية أبي العبَّاس صقلية

كان إبراهيم بن الأمير أحمد أمير أفريقية ، قد استعمل على صقلية ، أبا مالك

أحمد بن عمر بن عبدالله ، فاستضعفه فولى بعده ابنه أبا العباس بن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ، فوصل إليها غرة شعبان من هذه السنَة في مائة وعشرين مركباً وأربعين حربي ، وحَصَرَ طرابلسَ واتصل خبرُه بعسكر المسلمينَ بمدينة بَلَرَم وهم يقاتلون أهل جرجنت فعادوا إلى بلرم . وأرسلوا جماعة من شيوخهم إليه بطاعتهم ، واعتذروا من قصدهم جرجنت .

ووصل اليه جماعة من أهل جرجنت ، وشكوا منهم ، وأخبروه أنهم مخالفون

عليه ، وأنهم انما سير مشايخهم خديعة ومكراً ،وانهم لا إيمان لهم ولا عهدَ وان شئت ان تعلم مِصدَاق هذا ، فاطلبْ إليك منهم فلاناً وفلاناً ، فأرسل إليهم يطلبهم فامتنعوا من الحضور عنده ، وخالفوا عليه ، وأظهروا ذلك فاعتقل الشيوخ الواصلين اليه منهم .

واجتمع أهل بلرم وساروا إليه منتصف شعبان ، ومقدمهم مسعود الباجي ، وأمير السفهاء منهم ركمويه وصحبهم ، ثم أسطول في البحر نحو ثلاثين قطعة ، فهاجَ البحرُ على الأسطول ، فعطب أكثره ، وعاد الباقي إلى بلرم ، وأما العسكر الذين في البِّر فإنهم وصلوا إليه – وهو على طرابلس – ، فاقتتلوا أشذ القتالِ فقُتِلَ من الفريقين جماعة ، وافترقوا . ثم أعادوا القتال في الثاني والعشرين ، فانهزم أهل بلرم وقتَ العصر ، وتبِعَهُم أبو العباس إلى بلرم برّاً وبحراً . فأعادوا قتاله عاشر رمضان من بكرة إلى العصرِ ، فانهزم أهل البلد ، ووقع القتلُ فيهم ، إلى المغرب . واستعمل ابو العبًاس على أرباضها ، ونُهِبَتْ الأموال ، وهرب كثيرٌ من الرجالِ والنساء إلى طبرمين . وهرب رَكْمَوَيه وأمثالهُ من رجال الحرب إلى بلاد النصرانية ، كالقسطنطينية وغيرها. وملك أبو العباس المدينة ، ودخلها وأفن أهلها ، وأخذ جماعة من وجوه أهلها فوجهَّهم إلى أبيه بأفريقية ، ثم رحل إلى طبرمين ، فقطع كرومها ، وقاتلهم ، ثم رحل إلى قطانية ، فحصرها فلم ينل منها غرضاً ، فرجع إلى المدينة ، وأقام إلى أن دخلت سنة ثمان وثمانين فتجهز للغزو ، وطاب الزمان وعمر الأسطول وسيره أول ربيع الآخر . ونزل على دمشق ونصب عليها المجانيق ، وأقام أياماً ثم انصرف إلى مسيني . وجاز في الحربية إلى رَيُو(١) ، وقد اجتمع بها كثير من الرُّوم ، فقاتلهم على باب المدينة ، وهزمهم ، وملك المدينة بالسيف ، في رجب ، وغنم من الذَهب والفضةِ ما لا يُحدُّ ، وشحن المراكب بالدقيق والأمتعة – ورجع إلى مسيني (2) وهدم سورها ووجد بها مراكب قد وصلت من القسطنطينية، وأخذ منها ثلاثين مركباً ورجع إلى المدينة. وأقام إلى سنة تسع وثمانين . فأتاه كتاب أبيه إبراهيم يأمره بالعود إلى افريقية ، فرجع إليها جريدة في خمس قطع شوابي . وترك العسكر مع ولديه أبي مَضَر ، وأبي معد . فلما وصل إلى أفريقية استخلفه أبوه بها ، وسار هو إلى صقلية مجاهداً عازماً على الحَج بعد الجِهادِ ،

فوصلها في رجب سنة سبع وثمانين ومائتين ، وقد ذكرنا خبره سنة إحدى وستين ومائتين .

(1) رَيُو : بفتح أوله وضمْ ثانيه وواء ساكنة : مدينة للورم مقابل جزيرة صقلية من ناحية الشرق على بر القسطنطينية .

(2) مَسينى : بالفتح ثم السين المشددة مكسورة وياء ساكنة ونون مكسورة ، بليدة على ساحل جزيرة صقلية مما يلى الروم مقابل رَيو .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة جمعت طيء من قدرت عليه من الأعراب ، وخرجوا على قفل

الحاج ، فواقعوهم بالمعدن ، وقاتلوهم يومين بين الخميس والجمعة لثلاث بقينَ من ذي الحِّجة ، فانهزم العرب وقتل كثير وسلم الحاج .

وفيها مات اسحاق بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب العدوي ، عدي

ربيعة أمير ديار ربيعة من بلاد الجزيرة فولّى مكانه عبدالله بن الهيثم بات عبدالله بن المعتمر. وفيها تُوفِيَتْ قطر الندى ابنة خمارويه بن أحمد بن طولون ، صاحب مصر وهي امرأة المعتضد ، وحجَّ بالناس هذه السنة محمد بن عبدالله بن داود . وفيها استعمل المعتضد عيسى النوشري – وهو أمير اصبهان – على بلاد فارس ، وأمره بالمسير إليه . وفيها توفي فهد بن أحمد بن فهد الأزدي الموصلي وكان من الأعيان ، وعليّ بن عبد العزيز البغوي توفَي بمكة ، وهو صاحب أبي عبيد ، القاسم بن سلام بالتشديد .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين

في هذه السنة وقع الوباء بأذربيجان ، فمات منه خلق كثير إلى أن فقد الناس ما

يكفنون به الموتى ، وكانوا يتركونهم على الطرق غير مكفنين ، ولا مدفونين .

وفيها توفي محمد بن أبي السَّاج الملقب بأنشين بأذربيجان فى الوباء الكثير المذكور فاجتمع أصحابه فوتوا ابنه ديوداد، واعتزلهم عمَّه يوسف بن أبي السَّاج مخالفاً لهم ، فاجتمع إليه نفر يسير فأوقع بابن اخيه ديوداد ، وهو في عسكر أبيه فهزمه . وعرض عليه يوسف المقام معه فأبى وسَلَكَ طريقَ الموصل إلى بغداد ، وكان ذلك في رمضان. وفيها في صفر دخل طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث بلاد فارس في عسكره وأخرجوا عنها عامل الخليفة . فكتب الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني إلى طاهر يذكر له أن الخليفة المعتضد قد ولاه سجستان ،انه سائر إليها ، فعاد طاهر لذاك .

وفيها ولّى المعتضد مولاه بدراً فارس ، وأمره بالشخوص إليها ، لمَّا بلغه أن

طاهراً تغلب عليها ، فسار إليها في جيش عظيم في جمادى الآخرة . فلما قرب من فارس تنحى عنها من كان بها من أصحاب طاهر ، فدخلها بدر وجبى خراجها . وعاد طاهر إلى سجستان ، كما ذكرناه ،من مراسلة إسماعيل الساماني إليه بأنه يريد يقصد سجستان.

وفيها تغلّب بعض العلويين على صنعاء ، فقصده بنو يعفر في جمع كثير،

فقاتلوه فهزموه ، ونجا هارباً في نحو خمسين فارساً ، وأسروا ابناً له . ودخلها بنو يعفر وخطبوا فيها للمعتضد .

وفيها سير الحسين بن علىّ كوره ، صاحبه نزار محمد إلى صائفة الرُّوم ، فغزا،وفتح حصوناً كثيرة للروم ، وعاد ومعه الأسرى . ثم إن ساروا في البرِّ والبحر إلى ناحية كيسوم ، فأخذوا من المسلمين أكثر من خمسة عشر ألفاً وعادوا . وفيها قرب أصحاب ابي سعيد الجنابي من البصرة . فخاف أهلها وهموا بالهرب منهم ، فمنعهم من ذلك واليهم . وفيها في ذي الحجة قُتِلَ وصيف خادمُ ابن ابي السَّاج ، وصلبت جثته ببغداد . وقِيَل : إنه مات ولم يقتل . . وحج بالناس هذه السنَّة هارون بن محمد المكنى أبا بكر . وفيها توفي في ربيع الآخر توفي عبيدُ الله بن سُليمان الوزير ، فعظم موته على المعتضد ، وجعل ابنه ابا الحسين القاسم بن عبيدالله بعد أبيه في الوزارة . وفيها توفي إبراهيمُ الحربي ، وبشر بن موسى الأسدي ، وهو من الحفاظ للحديث . وفيها في صفر توفِّي ث بت بن قرة بن سِنَان الصابي الطبيب المشهور ومعاذ بن المثنى العنبري .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين

ذكر أخبار القرامطة بالشام

في هذه السَّنة ظهر بالشام رجل من القرامطة ، وجمع جموعاً من الأعراب ، وأتى دمشق وأميرها طغج بن جُف من قبل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ، وكانت بينهما وقعات .

وكان ابتداء حال هذا القرمطي أن ذكرويه (ا) بن مهروَيه الذي ذكرنا أنه داعية قرمط لما رأى أن الجيوش من المعتضد متتابعة إلى من بسواد الكوفة من القرامطة وأن القتل قد أبادهم سعى في استغواء من قرب منَ الكوفة من الأعراب أسد، وطيء وغيرهم ، فلم يجبه منهم أحد . فأرسل أولاده إلى كلب بن وبرة فاستغووهم ، فلم يجبهم منهم إلا الفخذ المعروف ببني القُلَيص (2) بن ضمضم بن عدي بن خباب (3)، ومواليهم خاصة فبايعوا في آخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، بناحية السماوة [ابن] ذكرويه المسمَى بيحيى المكنى أبا القاسم فلقّبوه الشيخ ، وزعم أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن علىّ بن أبي طالب ، وقيل : لم يكن لمحمد بن اسماعيل ولد اسمه عبد الله . وزعم أن له بالبلاد مائة ألف تابع وان ناقته التي يركبها مأمورة، فإذا تتبعوها في مسيرها نصروا ، وأظهر عضداً له ناقصة ، وذكر أنه ابنه (4) وأتاه جماعة من بني الأصبع (5) وسمّوا الفاطميين ، ودانوا بدينه . فقصدهم شبل (6) غلام المعتضد من ناحية الصافة فاغتروه ، فقتلوه ، وأحرقوا مسجد

(ا) في الطبري : " زكرويه " .

(2) في الطبري " ببنى العلَيص " .

(3) في الطبري "جناب " وأظنه الصواب .

(4) في الطبري " وذكر انها آية " . ولعله الصواب .

(5) في الطبري " من بني الأصيغ " .

(6) في الطبري "فتصدهم سبك " .

الرصافة ، واعترضوا كل قى–ية اجتازوا بها حتى بلغوا ولاية هارون بن خمارويه التي قُوطِعَ عليها طغج بن جف ، فأكثروا القتل بها ، والإِغارة ، فقاتلهم طغج فهزموه غير مرة.

ذكر أخبار القرامطة بالعراق

وفيها انتشر القرامطة بسواد الكوفة فوجّه المعتضد، إليهم شبلاً غلامُ أحمد بن

محمد الطائي ، وظفر بهم ، وأخذ رئيساً لهم يعرف بأبي الفوارس (1) فسيّره إلى المعتضد فأحضره بين يديه وقال له : " أخبرني هل تزعمون ، أن روح الله تعالى ، وأرواح أنبيائه تحلُ في أجسادكم ، فتعصمكم من الزلل ، وتوفقكم لصالح العمل ؟ " فقال له : " يا هذا أن حلت روحُ الله فينا فما يضرُّك ، وان حلت روح ابليس فما ينفعك ، فلا تسأل عما لا يعنيك وسل عما يخصك " فقال ؟: " ما تقول فيما يخصني " ؟ قال : اقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات وأبوكم العباس حي ، فهل طلب بالخلافة ، أم هل بايعه أحد لمن الصحابة غلى ذلك " ؟ ثم مات ابو بكر فاستخلف عمر ، وهو يرى موضع العباس ، ولم يوصِ إليه ، ثم مات عمر وجعلها شُورى في ستة أنفسِ ، ولم يوصِ إليه ، ولا ادخله فيهم . فبماذا تستحقون أنتم الخلافة ؟ وقد اتفق الصحَابة على دفع جدّك عنها ، فأمر به المعتضد ، فعذب وخلعت عظامه ثم قُطِعَتْ يداه ، ورجلاه ثم قتِلَ .

ذكر وفاة المعتضد

في هذه السنة في ربيع الآخر توفَي المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفِّق بن المتوكِّل ، ليلة الاثنين لثمانٍ بقين منه . وكان مولده في ذي الحجة من سنة اثنتين وأربعين ومائتين . ولما اشتدَ مرضه اجتمع القواد ، منهم يونس الخادم ، وموشكير ، وغيرهما . وقالوا للوزير القاسم بن عبيدالله : ليجدد البيعة للمكتفي . وقالوا : إنّا لا نأمن فتنة فقال : ان هذا المال لأمير المؤمنين ولولده من بعده

، وأخاف أن اطلق المال ، فيبرأ من علَّته ، فينكر عليّ ذلك . فقال :
أنا بريء من مرضه ، فنحن

(2)في الطبري : " يعرف بابن ابى فوارس ".

المحتجُون ، والمناظرون ،وان صار الأمر إلى ولده ، فلا يلومنا ، ونحن نطلب الأمر نه ، فأطلق المال وجددً عليه البيعة ، وأحضر عبد الواحد بن الموفق ، وأخذ عليه البيعة فوكًل به ، وأحضر ابن المعتز ، ومض ابن المؤيد ، وعبد العزيز بن المعتمد ووشَ بهم ، فلما توفي أحضر يوسف بن يعقوب ، وأبا حازم ، وأبا عمر بن يوسف بن يعقوب فتولى غسله محمد بن يوسف ، وصلّى عليه الوزير ، ودُفِنَ ليلاً في دار محمد بن طاهر وجلس الوزير في دار الخلافة للعزاء وجدَد البيعة للمكتفيِ . وكانت أم المعتضد– واسمها ضرار– قد توفِيتْ قبل خلافته . وكانت خلافته سبع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً . وخلف من الولد الذكور علياً – وهو المكتفي – وجعفراً – وهو المقتدر– وهارون ، ومن البنات إحدى عشرة بنتاً ، وقيل : سبع عشرة ، ولما حضرته الوفاة أنشد:

تمتَّع من الدنيا فإنكَ لا تبقى وخُذْ صفوَها ما إنْ صفت ودع الرنقا

ولا تأمَنَنً الدهر إني أمنتُهُ فلم يبقَ لي خلّا ولا يرعَ لي حقاً

قتلْتُ صناديدَ الرجالِ ولم أدعُ عدوّاً ولم أمهِلْ على طغيه خَلْقَا

وأخليْتُ دارَ الملكِ من كلً نازعٍ فشردْتُهُمُ غرباً ومزقْتهُمُ شَرْقا

فلمّا بلغْتُ النجمِ عزٍ ورفعةٍ وصارَتْ رقابُ الخلقِ أجمعُ لي رقَا

رماني الرَّدى سهماَ فأخمد جمرتي فها أنا ذا في حُفرتي عاجلاً ألقى

ولم يغنِ عني ما جمعْتُ ولم أجدْ لذي الملكِ والأحياء ِفي حُسنِها رُفقا

فيا ليتَ شعري بعد موتي ما ألقى إلى نعمِ الرحمن أم نمارهِ ألقى

ذكر صفته وسيرته

كان المعتضد أسمر نحيفُ الجسمِ معتدلُ الخلقِ ، قد وخطَه الشيب ، وكان

شهماً شجاعاً مِقدَاماً، وكان ذا عزمٍ وكان فيه شحٌ . بلغه خبرُ وصيف خادم ابن أبي السَّاج ، وعليه قباء أصفر، فسار من ساعته ، وظفر بوصيف ، وعاد.. فدخل أنطاكية، وعليه القِبَاء، فقال بعض أهلها : الخليفة بغير سواد، فقال بعض أصحابه : أنه سار فيه ، ولم ينزعه عنه إلى الآن ، وكان عفيفاً . حكى القاضي إسماعيل بن اسحاق قال : " دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحداث روم صباح الوجوه فأطلْتُ النظرَ إليهم ،فلما قمت أمرني بالقعود، فجسلتُ فلما تفرّق الناس قال : يا قاضي والله ما حللت سراويلي

على غير حلال قط ". وكان مهيباً عند أصحابه يتقون سطوته ويكفون عن الظلم خوفاً منه.

ذكر خلافة المكتفي بالله

ولما توفّي المعتضد كتب الوزيرُ إلى أبي محمد عليّ بن المعتضد –وهو المكتفي بالله –يعرفه بذلك ويأخذ البيعة له وكان بالرِّقة . فلما وصله الخبر أخذ البيعة على من عنده من الأجناد، ووضع لهم العطاء، وسار إلى بغدادَ . ووجَه إلى النواحى من ديار ربيعة . ومضر، ونواحي العرب من يحفظها، ودخل بغداد، لثمانٍ خلون من جمادى الأول ، فلما سار إلى منزله أمر بهدم المطامير، التي كان أبوه اتخذها لأهل الجرائم .

ذكر قتل عمرو بن الليث الصفار

وفي هذا اليوم الذي دخل فيه المكتفي بغدادَ قُتِلَ عمرو بن الليث الصفَار ودُفِنَ

من الغد . وكان المعتضد بعدما امتنع من الكلام أمر صافياً الخرمي بقتل عمرو بن الليث بالإيماء والاشارة، ووضع يده على رقبته وعلى عينه ، بأن اذبح الأعور. وكان عمرو أعور، فلم يفعل ذلك صافي لعلمه بقرب وفاة المعتضد وكره قتل عمرو. فلما وصل المكتفي بغدادَ سأل الوزير عنه فقال : هو حي فسرًّ بذلك وأراد الإِحسان إليه لأنه كان يكثر من الهدية إليه لما كان بالرقيَ فكره الوزير ذلك (ا)، فبعث إليه من قتله .

ذكر استيلاء محمد بن هارون على الريّ

وفي هذه السنة كاتب أهلُ الريّ محمد بن هارون ، الذي كان حارب محمد بن

زيد العلوي ، وتولى طبرستان لاسماعيل بن أحمد . وكان محمد بن هارون قد خلع طاعة إسماعيل فسأله أهل الرقي المسير إليهم ليسلموها إليه . وكان سبب ذلك أنّ الوالي عليهم كان قد أساء السيرة فيهم . فسار محمد بن هارون إليهم فحاربه واليها – وهو الدتمش (2) التركي – فقتله محمد، وقتل ابنين له وأخا كيغلغ –

وهو من قوَاد الخليفة – ودخل محمد بن هارون الريّ واستولى عليها في رجب .

(1) واسم الوزير القاسم بن عبد الله .

(2) في الطبري " اوكرتمش التركي " .

ذكر قتل بدر

وفيها قُتِلَ بدر غلام المعتضد . وكان سبب ذلك أنّ القاسم الوزير، كان قد هم

بنقلِ الخلافةِ عن ولدِ المعتضد بعده فقال لبدر، في ذلك في حياة المعتضد بعد ان استحلفه واستكتمه ، فقال بدر: ما كنت لأصرفها عن ولد مولاي وولي نعمتي ، فلم يمكنه مخالفة بدر إذ كأن صاحب الجيش والمستولي على أمره ، والمطاع في خَدَمِهِ وغلمانه وحقدِها على بدر. فلما مات المعتضد كان بدر بفارس ، فعقد القاسم البيعة للمكتفي – وهو بالرقة – وكان المكتفي أيضاً مباعداً لبدر في حياة أبيه . وعمل القاسم في هلاك بدر خوفاً على نفسه أن ينن كو هـ ا كان منه للمكتفي . فوجه المكتفي محمد بن كشتمر(ا) برسائل إلى القوّاد الذين مع بدر يأمرهم بالمسير إليه ومفارقة بدر، ففارقه جماعة، منهم العباس بن عمرو الغنوي ، ومحمد بن اسحاق بن كنداج ، وخاقان المفلحي ، وغيرهم ، فأحسن إليهم المكتفي .

وسار بدر إلى واسط فوشَ المكتفي بداره ، وقبض على أصحابه وقوّاده ، وحبسهم وأمر بمحوِ اسم بدر من التراس والاعلام . وسيَّر الحسين بن عليّ (2) كوره في جيش إلى واسط ، وأرسل إلى بدر يعرض عليه أي النواحي شاء ، فأبى ذلك وقال : "لا بد لي من المسير إلى باب مولاي " . فوجد القاسم مساغاً للقول وخوّف المكتفي غائلته . وبلغ بدراً ما فعل بأهله وأصحابه ، وأرسل من يأتيه بولده هلال سراً، فعلم الوزير بذلك فاحتاط عليه ودعا أبا حازم قاضي الشرقية، وأمره بالمسير إلى بدر، وتطييب نفسه عن المكتفي ، لاعطائه الأمان عنه لنفسه وولده وماله . فقال له أبو حازم : أحتاج إلى سماع ذلك من أمير المؤمنين . فصرفه ، ودعا أبا عمر القاضي وأمره بمثل ذلك فأجابه ، وسار ومعه كتاب الأمان . فسار بدر عن واسط نحو بغداد، فأرسل إليه الوزير من قتله . فلما أيقن بالقتل سأل أن يمهل حتى يصلِّي ركعتين ، فصلاهما ثم ضربت عنقه يوم الجمعة لستٍ خلون من شهر رمضان . ثم أخذ رأسه وتُرِكَتْ جثتُهُ هنالك . فوجه عياله من أخذها سراً وجعلوها

في تابوت . فلما كان وقت الحج حملوها إلى مكة فدفنوها بها وكان أوصى بذلك واعتق قبل ان يقتل كل مملوك كان له . ورجع أبو

(١) في الطبرى " محمد بن كمشجور".

(2) في الطبرى " الحسن بن على " .

عمر القاضي إلى داره كئيباً حزيناً بما كان منه في ذلك وقال الناس فيه أشعاراً وتكلموا فيه ، فيما قيل فيه .

ㄱ قُلْ لقاضي مدينةِ المنصورِ   بمَ أخللْتَ أخذَ رأسِ الأميرِ
ㄴ عند إعطائِه المواثيقَ والعهـ   ـدَ وعقد الايمان في مَنشورِ
ㄷ أين أيمانُكَ التي شهدَ اللـ   ـهُ على أنَّها يمينُ فَجُورِ
ㄹ إن كفَيْكَ لا تفارِقُ كفّيـ   ـه إلى أن ترى عليلُ (1) السريرِ
ㅁ يا قليلَ الحياءِ يا أكذبَ الأمةِ   يا شاهداً شهادةَ زُورِ
ㅂ ليسَ هذا فعلُ القضاةِ ولا يحسِنُ أمثالَه وُلاةُ الجسور
ㅅ أيّ أمرٍ رَكبْتَ في الجمعةِ الزهـراءِ   منه في خيرِ هذي الشهورِ(2)
ㅇ قد مضى مَنْ قتلْتَ في رمضان   صائماً بعد سجدةِ التعفيرِ
ㅈ يابني يوسفَ بن يعقوبَ أضحَى   أهلُ بغدادَ منكُم في غرورِ
ㅊ بدّد الله شملَكُم وأراني   ذُلكُم في حياةِ هذا الوزيرِ
ㅋ فأعدُّوا الجوابَ(3)للحكم العدلِ (4)   ومن بعدِ منكَرٍ ونكيرِ
ㅌ انتمْ كلكم فِداً لأبي حازِمِ   المستقيمِ كل الأمورِ(5)

ذكر ولاية ابي العبَّاس عبد الله بن ابراهيم افريقية

قد ذكرنا ، سنة إحدى وستين ومائتين ، أن إبراهيمَ بِنْ أحمد أميرَ أفريقية عَهَدَ إلى ولدِه أبي العباس عبد الله سنة تسع وثمانين ومائتين ، وتوفّي فيها . فلما توفّي والده قام بالملك بعده ، وكان أديباً لبيباً شجاعاً أحد الفرسان المذكورين مع علمه بالحرب وتصرفها . وكان عاقلاً عالماً له نظر حسن في الجدلِ . وفي أيامه عظم أمر أبي عبد الله الشيعي ، فأرسل أخاه الأحول – ولم يكن أحول وإنما لقَب بذلك لأنه كان إذا نظر دائماً

(1) في الطبري " ترى مليك " .

(2)في الطبري : " من شهر خير خير الشهور " .

(3) في الطبري " للحكم العادل من " .

(4) في الطبري : " فاعدوا الجواب " .

(5)في الطبري .

ربما كسر جفنه فلقب بالأحول –إلى قتال أبي عبد الله الشيعي .
فلما بلغه حركته خرج إليهم في جموع كثيرة والتقوا عند كموشة فقتل بينهم خلق عظيم ، وانهزم الأحولُ ، إلا أنه أقام في مقابلة أبي عبدالله .

وكان ابو العبًاس أيام أبيه على خوف شديد منه لسوء أخلاقه ، واستعمله أبوه على
صقلية ففتح فيها مواضع متعددة وقد تقدم ذكر ذلك أيام والده .
ولما ولّي أبو العباس أفريقية، كتب إلى العمال كتاباً يُقرأ على العامة يعدهم فيه الِإحسان والعدل والرفق والجهاد، ففعل ما وعد من نفسه ، وأحضر جماعة من العلماء ليعينوه على أمر الرعية . وله شعر، فمن ذلك قوله بصقلية وقد شرب دواء :

شربْتُ الدواءَ على غربةٍ بعيداً من الأهلِ والمنزلِ
وكنْتُ إذا ما شربْتُ الدوا أطيب بالمسكِ والمندلِ
وقد صار شُربي بحار الدما ونقعُ العجاجةِ والقسطلِ

واتَّصل بأبي . العباس عن ولده أبي مضر زيادة الله والي صقلية له اعتكافه على اللهو، وادمانه شرب الخمر فعزله ة وولى محمد بن السرقوسى ، وحبس ولده . فلما كان ليلة الأربعاء آخر شعبان من سنة تسعين ومائتين قتل أبو العباس قتله ثلاثة نفر من خدمه الصقالبة بوضع من ولده ، وحملوا رأسه إلى ولده أبي مضر– وهو في الحبس – فقتل الخدم ، وصلبهم ، وكان هو الذي وضعهم . فكانت إمارته سنة واثنتين وخمسين يوماً . وكان سكناه وقتله رحمه الله بمدينة تونس . وكان كثير العدل أحضر جماعة كثيرة عنده ، ليعينوه على العدل ويعرفوه من أحوال الناس ما يفعل فيه على سبيل الانصاف . وأمر الحاكم في بلده أن يقضي عليه وعلى جميع أهله وخواص أصحابه ففعل ذلك . ولما قتل ولّي ابنه أبو مضر. وكان من أمره ما نذكره سنة ست وتسعين ومائتين.

ذكر عدة حوادث

في هذه السَّنة منتصف رمضان قتل عبد الواحد بن الموفّق ، وكانت والدته إذا

سألت عنه قيا لها : إنه في دار المكتفي . فلما مات المكتفي أيسَتْ منه ، فأقامت عليه مأتما . وفيها كانت وقعة بين أصحاب إسماعيل بن أحمد وبين جستان الدَّيلمي بطبرستان ، فانهزم ابن جستان ، وفيها لحق إسحاق الفرغاني – وهو من أصحاب بدر – بالبادية وأظهر الخلاف على الخليفة المكتفي ، فحاربه أبو الأغر فهزمه اسحاق وقتل من

أصحابه جماعة، وفيها سيَّر خاقان المفلحيِ إلى الرقي في جيش كثيف ليتولاها . وفيها صلى الناس العصر بحمص ، وبغداد، في الصيف (1) ثم هبَّ هواءٌ من ناحية الشمال ، فبرد الوقت ، واشتد البردُ، حتى احتاج الناس إلى النار ولبسِ الجباب ، وجعل البرد يزداد حتى جمد الماء . وفيها كانت وقعة بين إسماعيل بن أحمد وبين محمد بن هارون بالريِّ فانهزم محمّد ، ولحق بالديلم مستجيراً بهم ، ودخل إسماعيل الريّ . وفيها زادت دجلة قدر خمسة عشر ذراعاً. وفيها خلِع المكتفي على هِلال بن بدر، وغيره من أصحاب أبيه في جَمادى الأولى . وفيها هبَتْ ريح عاصف بالبصرة، فقلعت كثيراً من نخلها، وخسف بموضع منها هلك فيه ستة آلاف نفس ، وزلزلت بغداد في رجب عدة مرات ، فتضرع أهلها في الجامع فكشف عنهم .[وفيها حجَّ بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله العباسي] . وفيها مات أبو حمزة بن محمد بن ابراهيم الصوفي وهو من اقران سري السقطي .

(1) عبارة الطبري " صلى الناس العصر في قمص الصيف ببغداد "

ثم دخلت سنة تسعين ومائتين

ذكر أخبار القرامطة

في هذه السنة في ربيع الآخر ، سير طغج ، بن جَف جيشاً من دمشق إلى القرمطي ، عليهم غلامٌ له اسمه في -، فهزمهم القرمطي ، وقتل بشيراً. وفيها حصر القرمطي دمشق ، وضيق تلى أهلها، وقتل أصحاب طغج ، ولم يبقَ منهم إلا القليل ، وأشرف أهلها على الهلكة . فاجتمع جماعة من أهل بغداد وأنهوا ذلك إلى الخليفة، فوعدهم النجدة،، وأمد المصريون أهل دمشق ، ببدر وغيره ، من القواد ، فقاتلوا الشيخَ مقذم القرامطة فقُتِل على باب دمشق رماه بعض المغاربة(ا) بمزراق وزرقه نفاط بالنار فاحترق وتتل منهم خلق كثير. وكان هذا القرمطي .يزعم أنه . إذا أشار بيده إلى جهة من التي فيها محاربوه انهزموا . ولما قُتِل يَحص المعروف بالشيخِ وقُتِلَ أصحابه اجتمع من بقي منهم على أخيه الحُسين ، وسمى نفسه أحمد ، وكناه 91با العباس ، ودعا الناس فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم ، فاشتدت شوكته ، وأظهر شامة في وجهه ، وزعم أنها آيته . فسار إلى دمشق ، فصالحه أهنها على خراج دفعوه إليه وانصرف عنهم .

ثم سار إلى أطراف حمص ، فغلب عليها وخطب له على منابرها وتسمى المهدي أمير المؤمنين . وأتاه ابن عمة عيسى بن المهدي المسمى عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل ، فلقّبه المدثر وعهد إليه ، وزعم أنه المدثر الذي في القران ، ولقَّب غلاماً من أهله المطوّق ، وقلَّد . قتل أسرى المسلمين . ولما أطاعه أهل حمص ، وفتحوا له بابها خوفاً منه بر أنفسهم سار إلى حماة، ومعرة النعمان ، وغيرهما، فقَتَلَ أهلها، وقَتَلَ النساء والصبيان . ثم سار إلى بعليك فقتل عامة ا أهلها، ولم يبقَ منهم إِلا اليسير. ثم سار

(1) في الطبري " بعض البرابرة " .

إلى سلمية فمنعه أهلها، ثم صالحهم ، وأعطاهم الأمان ففتحوا له بابها، فبدأ بمن فيها من بني هاشم – وكانوا جماعة – فقتلهم أجمعين ، ثم قتل البهائم ، والصبيان ، بالمكاتب . ثم خرج منها وليس بها عين تطرف فيما قيل وسار فيما حولها من القرى يسبي ويقتل ويخيف السبيل . فذكر عن متطبب بباب المحول يدعى أبا الحسين (1) قال : جاءتني امرأة بعد ما ادخل القرمطي صاحب الشامة ببغداد وقالت : أريد أن تعالج جرحاً في كتفي فقلت : ههنا امرأة تعالج النساء فانتظرتها، فقعدت وهي باكية مكروبة، فسألتها عن قصَتها قالت : كان لي ولد طالت غيبتُه عني ، فخرجت أطوف عليه البلاد، فلم أره ، فخرجت من الرقة في طلبه فوقعتُ في عسكر القرمطي أطلبه ، فرأيته ، فشكوت إليه حالي وحال أخواته فقال : دعيني من هذا، أخبريني ما دينك . فقلت : أما تعرف ما ديني ؟ فقال : ما كنا فيه باطل والدين ما نحن فيه اليوم ، فعجبت من ذلك ، وخرج وتركني ووجًه بخبز فلمِ أمسه ، حتى عاد فأصلحه . وأتاه رجل من أصحابه فسألني هل أحسن من أمر النساء شيئاَ؟ فقلت : نعم فأدخلني داراً فإذا امرأة تطلق ، فقعدت بين يديها، وجعلت أكلمها ولا تكلمني ، حتى ولدت غلاماً، فاصلحت من شأنه ، وتلطفْتُ بها حتى كلمتني ، فسألتها عن حالها فقالت : أنا امرأة هاشمية أخذنا هؤلاء الأقوام ، فذبحوا أبي وأهلي جميعاً ، وأخذني صاحبهم ، فأقمتُ عنده خمسةَ أيام ، ثم أمر بقتلي ، فطلبني منه أربعة أنفس من قوّاده ، فوهبني لهم ، وكنت معهم ، فوالله ما أدري ممن هذا الولد منهم قالت : فجاء رجل ، فقالت لي : هنيه ، فهنيته فأعطاني سبيكة فضة وجاء آخر. وآخر أهنىء كل واحد منهم ، ويعطيني سبيكة فضة، ثم جاء الرابع ومعه جماعة فهنيته ، فأعطاني ألف درهم ، وبتنا فلما أصبحنا قلت للمرأة : قد وجب حقي عليك فالله الله خلصيني قالت : ممن أخلصك ؟ فأخبرتها خبرُ ابني فقالت : عليك بالرجل الذي جاء آخر القوم ، فأقمت يومي . فلما أمسيت ، وجاء الرجل قمت له وقبّلْت يده ورجله ووعدته أنني أعود بعد أن أوصل ما معي إلى نيافي ، فدعا قوماً من غلمانه ، وأمرهم

بحملي إلى مكان ذكره وقال : اتركوها فيه وارجعوا ، فساروا بي عشرة فراسخ ، فلحِقَنا ابني ، فضربني بالسيف ، فجرحني ، ومنعه القوم ، وساروا بي إلى المكان الذي سماه لهم صاحبهم ، وتركوني ، وجئت إلى ههنا ، قالت : ولما قدِمَ الأميرُ بالقرامطة

(ا) في الطبري " يدعى أبا الحسن " .

وبالأسارى، رأيت ابني فيهم على جمل عليه برنس ، وهو يبكي فقلت : لأخفف الله عنك ، ولأخلصك . ثم أن كتب أهل الشام ، ومصر ، وصلت إلى المكتفي يشكون ما يلقون من القرمطي من القتل والسبي ، وتخريب البلاد . فأمر الجندَ بالتأهبِ وخرج من بغداد، في رمضان ، وسار إلى الشام وجعل طريقه على الموصل . وقدم بين يديه أبا الأغر في عشرة آلاف زجل ، فنزل قريباً من حلب ، فكبسهم القرمطي صاحب الشامة فقتل منهم خلقاً كثيراً، وسلم أبو الأغر، فدخل حلب في ألف رجل ، وكانت هذه الوقعة في رمضان . وسار القرمطي إلى باب حلب فحاربه أبو الأغر بمن بقي معه ، وأهل البلد ، فرجع عنهم . وسار المكتفي حتى نزل الرقة وسيَّر الجيوش إليه وجعل أمرهم إلى محمد بن سُليمان الكاتب .

وفيها في شوّال تحارب القرمطي صاحب الشامة ، وبدر مولى ابن طولون ، فانهزم القرمطي وقُتِل من أصحابه خلق كثير ومضى من سلم منهم نحو البادية . فوجّه المكتفي في أثرهم الحُسين بن حمدان ، وغيره من القوّاد. وفيها كبس ابن بانو أمير البحرين حصناً للقرامطة ، فظفر بمن فيه ، وواقع قرابة أبي سعيد الجنابي ، فهزمه ابن بانو. وكان مقام هذا القرمطي بالقطيف ، وهو ولي عهد أبي سعيد، ثم أنه وجد بعدما انهزم أصحابه قتيلاً؛ فأخذ رأسه ، وسار ابن بانو إلى القُطيف ، فافتتحها .

ذكر أسر محمد بن هارون

وفيها أخِذَ محمد بن هارون أسيراً . وكان سببُ ذلك ان المكتفي ، أنفذ عهداً إلى اسماعيل بن أحمد الساماني بولاية الريّ ، فسار إليها وبها محمد بن هارون ، فسار عنها محمد إلى قزوين ، وزنجان ، ثم عاد إلى طبرستان فاستعمل اسماعيل بن أحمد على جرجان بارس الكبير، وألزمه بإحضار محمد بن هارون قسراً أو صلحاً . وكاتبه بارس وضَمِنَ هارون له إصلاح حاله مع الامير إسماعيل فقَبِلَ محمد قوله وانصرف عن جستان الدّيلمي ، وقصد بُخارى . فلما بلغ مروَ قيّد بها وذلك في شعبان سنة تسعين ومائتين . ثم حُمِلَ إلى بُخارى، فادخلها على جمل

وحُبِسَ بها ، فمات بعد شهرين محبوساً، وكان ابتداء أمره أنه كان خياطاً، م م أنه جمع جمعاً من الرعاء، وأهل الفساد، فقطع الطريق بمفازة سرخس مدة . ثم استأمن إلى رافع بن هرثمة، وبقي معه إلى أن انهزم عمرو الصفَار. فاستأمن إلى اسماعيل بن أحمد الساماني صاحب ما وراء

النهر بعد قتل رافع ، فسيَّره اسماعيل إلى قتال محمد بن زيد، على ما تقدم ذكوه ، وقد ذكره الخوافي في شعره فقال :

كان ابن هارون خياطاً له ابن ورواية سامها عشر بقيراط

فانسلّ في الأرض يبغي المُلكَ في عصبٍ زطٍ ونوب واكراد وأنباطِ

أنَى ينالَ الثُريا كفُ ملتزق بالتُربِ عنً ذروة العلياءِ هباطِ

صبراً أميرُك إسماعيل منتقمٌ منه ومن كل غدارٍ وخياطِ

رأيْتَ عيراً سما جهلاً على أسد يا عينُ ويحكِ ما أشقاكِ من شاطىءِ

ذكر عدة حوادث

وفيها في ربيع الآخر خلع على أبي العشائر أحمد بن نصر، وولي طرسوس ،

وعزل عنها مظفر بن حاج لشكوى أهل الثغور منه . وفيها قُوطِعَ طاهرُ بن محمد بن عمرو بن الليث على مال يحمله عن بلاد فارس ، وعقد له المكتفي عليها. وفيها في

جَمادى الأولى ، هرب القائد أبو سعيد الخوارزمي الذي استأمن إلى الخليفة ، وأخِذَ نحو طريق الموصل . فكتب إلى عبد الله المعروف بغلام نون بتكريت –وهو يتولى تلك النواحي – فعارضه عبدُ الله واجتمع به ، فخدعه أبو سعيدٍ وقتله ، وسار نحو شَهْرَزَوْر واجتمع هو وابن الربيع الكردي وصاهره واجتمعا على عصيان الخليفة . وفيها أراد المكتفي البناء بسامراء وخرج إليها ومعه الصُناع ، فقدروا له ما يحتاج إليه من المال ، وكان مالاً جليلاً، وطوّلوا له مدة الفراغ ، فعظَم الوزيرُ ذلك عليه ، وصرفه إلى بغدادَ، وحجَ بالناس هذه السنة الفضلُ ابن عبدِ الملك بن عبد الواحد بين عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس . وفيها توفي محمد بن عليّ بن علوية بن

عبد الله الفقيه الشافعي الجرجاني ، وكان قد تفقه على المزني صاحب الشافعي ، وتوفّي عبد الله بن أحمد بن حنبل في جُمادى الآخرة ، وكان مولده سنة ثلاث عشرة ومائتين .

ثم دخلت سنة احدى وتسعين ومائتين

ذكر اخبار القرامطة وقتل صاحب الشامة

قد ذكرنا مسيرَ المكتفي إلى الرّقة ، وإرساله الجيوشَ إلى صاحب الشامة ، وتولية

حرب صاحب الشامة محمد بن سليمان الكاتب ، فلما كانت هذه السنة أمر محمد بن سليمان بمناهضة صاحب الشامة فسار إليه في عساكر الخليفة، حتى لقوه وأصحابه بمكان بينهم وبين حماة اثنا عشر ميلاً لستٍ خلون من المِحرم. فقدم القرمطي أصحابه إليهم وبقي في جماعة من أصحابه معه مال كان جمعه وسواد عسكره ، والتحمت الحرفي بين أصحاب الخليفة والقرامطة، واشتدُّتْ وانهزمت القرامطة وقتلوا كلّ قتلة، وأسِرَ من رجالهم بشركثير، وتفرقي الباقون في البوادي ، وتبعهم أصحاب الخليفة . فلما رأى صاحب الشامة ما نزل بأصحابه ، حقل أخاً لمه يكنى أبا الفضل مالاً وأمره أن يلحق بالبوادي إلى أن يظهر بمكان فيسير إليه ، وركب هو وابن عمه المسمى، بالمدثر، والمطوَّق صاحبه ، وغلامٌ له رومي واخِذَ دليلاً، وسار يريد الكوفة، عرضاً في البرية، فانتهى إلى الدالية من أعمال الفرات ، وقد نفذ ما معهم من الزاد والعلف . فوجه بعض أصحابه إلى الدالية المعروفة بابن طوق ، ليشتري لهم ما يحتاجون إليه ، فأنكروا رأيه (1) فسألوه عن حاله فكتَمَهُ ، فرفعوه إلى متولي تلك الناحية خليفة أحمد بن محمد بن كشمرد، فسأله عن خبره فأعلمه أن صاحب الشامة خلف رابية هناك مع ثلاث نفر، فمضى إليهم ، وأخذهم وأحضرهم عند ابن كشمرد. فوجه بهم إلى المكتفي بالرقة ورجعت الجيوش من الطلب بعد أن قتلوا وأسروا . وكان أكثر الناس أثراً في الحرب الحسين بن حمدان . وكتب محمد بن سليمان يُثني عليه وعلى ،بني شيبان فانهم اصطلوا الحرب ، وهزموا القرامطة ، وأكثروا القتل فيهم والأسر، حتى لم ينجُ منهم إلا ،

(1) في الطبري " فانكروا زيه" ولعله الصواب .

قليل . وفي يوم الاثنين لأربعٍ بقين من المحرم ، أدخِلَ صاحب الشامة الرقة ظاهراً للناس على فالج – وهو الجمل ذو السنامين – وبين يديه المدثر، والمطوق على جملين ، وسار المكتفي إلى بغداد ومعه صاحب الشامة ، وأصحابه ، وخلف العساكر مع محمد بن سليمان ، وأدخل القرمطي بغداد على فيلٍ وأصحابه على الجمل ، ثم أمر المكتفي بحبسهم إلى أن تقدم محمد بن سليمان ، فقدِمَ بغداد، وقد استقصى في طلب القرامطة ، فظفر بجماعة من أعيانهم ورؤوسهم . فأمر المكتفي بقطع أيديهم وأرجلِهم ، وضرب أعناقِهم ، بعد ذلك ، وأخرجوا من الحبس وفعل بهم ذلك . وضرِبَ صاحب الشامة مائتي سوط ، وقطعت يداه وكويَ ، فغشي عليه ، وأخذوا خشباً وجعلوا فيه ناراً ، ووضعوه على خواصره ، فجعل يفتح عينه ، ويغمضها. فلما خافوا موته ضربوا عنقه ، ورفعوا رأسه على خشبة ، فكبّر الناس لذلك ، ونُصِبَ على الجسر.

وفيها قَدِمَ رجلٌ من بني العليص من وجوه القرامطة – يسمى إسماعيل بن النعمان – وكان نجا في جماعة لم ينج من رؤسائهم غيره ، فكاتبه المكتفي وبذل له الأمان فحضر في الأمان هو ونيف مائة وستين نفساً فأمِّنوا وأحسِنَ إليهم ووصِلوا بمال . وصاروا إلى رحبة مالك بن طوق مع القاسم بن سيما، وهي من عمله فأقاموا معه مدة . ثم أرادوا الغدر بالقاسم وعزموا على أن يثبوا بالرحبة يوم الفِطرِ عند اشتغال الناسِ بالصلاةِ، وكان قد صار معهم جماعةٌ كثيرةٌ ، فعلم بذلك فقتلهم فارتدعَ من كان بقي من موالي بني العليص وذلوا . وألزموا السماوة حتى جاءهم كتاب من الخبيث زكروَيهِ ، يعلمهم أنه مما أوحي إليه ، أن صاحب الشامة وأخاه المعروف بالشيخ يقتلان ، وأنْ إمامَهُ الذي هو حيّ يظهر بعدهما ويظفر.

ذكر غدة حوادث

وفيها جاءت أخبار أن حَوى(ا) وما يليها جاءها سيل ، فنرق نحو من ثلاثين فرسخاً وغرق في ذلك خلق كثير ، وغرقت المواشي

والغلاّت وخُربَتْ القرى وأخرِجَ من الغرقى ألف ومائتا نفسٍ سوى من لم يلحق منهم .

(1) في الطبري جبى وهو الصواب ، وقد جاء في معجم البلدان : جبى : بالضم ثم التشديد ، بلد او كورة من عمل خوزستان .

وفيها خلع المكتفي على محمد بن سليمان ، كاتب الجيش وعلى جماعةٍ من القوّاد ، وأمرهم بالمسير إلى الشام ، ومصر لأخذ الأعمال من هارون بن خمارويه لتا ظهر من عجزِهِ وذهاب رجاله بقتل من قتل منهم القرمطي ، فسار عن بغداد في رجب وهو في عشرة آلاف رجل وجدَ في المسير. وفيها خرجت الترك في خلقٍ كثيرٍ لا يحصون إلى ما وراء النهر، وكان في عسكرهم سبعمائة قبة تركية، ولا تكون إلا للرؤساء منهم ؛ فوجه إليهم إسماعيل بن أحمد جيشاً كثيراً وتبعهم من المتطوعة خلق كثير ، فساروا نحو الترك ، فوصلوا إليهم وهم غارون ، فكبسهم المسلمون مع الصَّبح ، فقتلوا منهم خلقاً عظيماً لا يحصَون ، وانهزم الباقون واستبِيحَ عسكرهم ، وعاد المسلمون سالمين غانمين . وفيها خَرَجَ من الروم عشرة صُلبان مع كلّ صليب عشرة آلاف إلن الثغور فقصد جماعة منهم إلى الحدث ، فأغاروا وسبوا، وأحرقوا . وفيها سار المعروف بغلام زرافة من طرسوسٍ نحو بلاد الروم ، ففتح مدينة انطاكية – وهي تعادل القسطنطينية – فتحها بالسيف عنوة ، فقتل خمسة آلاف رجل ، وأسر مثلهم ،– واستنقذ من الأسارى خمسة آلاف ، وأخذ لهم ستين مركباً ، فحمل فيها ما غنم لهم من الأموال ، والمتاع ، والرقيق . وقُدِرَ نصيبُ كلِّ رجلٍ ألف دينار، وهذه المدينة على ساحل البحر. فاستبشر المسلمون بذلك . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس .

وفيها توفّي القاسم بن عبد الله وزير الخليفة في ذي القعدة . وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً . ولما مات قال ابن سيَّار:

أماتَ ليحيا فما أنّ حيى   وأفنى ليبقى فما ان بقى
ومازال في كل يوم يرى إمارة حتفٍ وشيك وحى
وما زال يسلّح من دبره   إلى أنْ خرى النفس فيما خرى

وفيها مات أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن سعيد بن عبد الرحمن الماستواي الفقيه بنيسابور، ومحمد بن محمد الجزوعي قاضي

الموصل ببغداد . وفيها توفّي أبو العباس أحمد بن يحمى الشيباني النحوي ، وكان عالماً بنحو الكوفيين وكان موته ببغداد .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائتين

ذكر استيلاء المكتفي على الشام ، ومصر وانقراض ملك الطولونية

وفي المحرم منها سار محمد بن سُليمان إِلى حدود مصر لحرب هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ، وسبب ذلك أن محمد بن سليمان لما" تخلّف عن المكتفي ، وعاد عن محاربة القرامطة ، واستقص محمد في طلبهم . فلما بلغ ما أراد عزم على العود إلى العراق فاتاه كتاب بدر الحمامي غلام ابن طولون ، وكتاب فائوّ، وهما بدمشقَ يدعوانه إلى قصد البلاد بالعساكر ،ويساعدانه علن أخذها . فلما عاد إلى بغداد أنهى ذلك إلى المكتفي فأمره بالعود وسير معه ئ الجنودَ والاموال . ووجه المكتفي دميانة غلام بازمار . وأمر بركوب البحر إلى مصر ودخول النيل وقطع المواد عن مصر، ففعل ذلك وضيق عليهم . وزحف إليهم محمد بن سُليمان في الجيوش في البرِّ حتى دنا من مصر، وكاتب من بها من القوّاد. وكان أوّل ،من خرج إليه بدر الحمامي وكان رئيسهم ، فكسرهم ذلك ، وتتابع المستأمنة من قواد المصريين . فلما رأى ذلك هارون خرج فيمن معه لقتال محمد بن سُليمان فكانت بينهم وقعات .

ثم وقع بين أصحاب هارون فيَ بعض الأيام عصبية،فاقتتلوا فخرج هارون يسكنهم فرماه بعض المغاربة بمزراق معه فقتله . فلما قُتِل قام عمه شيبان بالأمر من بعده ، وبذل المال للجند، فأطاعوه وقاتلوا معه . فأتتهم كتب بدر يدعوهم إلى الأمان ، فأجابوه إلى ذلك . فلما علم محمد بن سليمان الخبر سار إلى مصر، فأرسل إِليه شيبان يطلب الأمان ، فأجابه ، فخرج إليه ، ليلاً ولم يعلم به أحد من الجند، فلما أصبحوا قصدوا داره ، ولم يجدوه فبقوا حيارى، ولما وصل محمد مصر دخلها واستولى على دور آل طولون وأموالهم ، وأخذهم جميعاً، وهم بضعة عشر رجلاً فقيَّدهم ، وحبسهم ، واستقصى أموالهم ، وكان ذِلك في صفر.

وكتب بالفتح إلى المكتفي فأمره بإشخاص آل طولون وأسبابهم من مصر، والشام إلى بغداد، ولا يترك منهم أحداً . ففعل ذلك وعاد إلى بغداد، وولى معونة مصر عيسى النوشري . ثم ظهر بمصر إنسان يعرف بالخلنجي ، وهو من توَّادهم وكان تخلَّف عن محمد بن سليمان فاستمال جماعة ، وخالف على السلطان ، وكثر جمعه ، وعجز النوشري عنه ، فسار إلى الاسكندرية ، ودخل إبراهيم الخلنجي مصر . وكتب النوشري إلى المكتفي بالخبر ، فسير إِليه الجنود مع فاتك مولى المعتضد ، وبدر الحمامي ، فساروا في شوّال نحو مصر .

ذكر عدة حوادث

وفيها أخِذَ بالبصرة رجل ، ذكروا انه أراد الخروج ، –وأخذ معه ولده ، وتسعة وثلاثون رجلاً وحملوا إلى بغداد، فكانوا يبكون ويستغيثون ، ويحلفون أنهم براء . فأمر بهم المكتفي فحبسوا . وفيها أغار انذرونقس الرومي على مرعش ونواحيها، فنفر أهل المصيصة . وأهل طرسوس . فأصيب أبو الرجال ابن أبي بكّار في جماعة من المسلمين فعزل الخليفة أبا العشائر عن الثغور، وأستعمل عليهم رستم بن بردو. وفيها كان الفداء على يد رستم ، فكان جملة من فُودِيَ به من المسلمين ألف نفس ومائتي نفس . وحجً بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن عباس بن محمد . وفيها زادت دجلة زيادة مفرطة، حتى تهدمت الدُور التي على شاطئها بالعراق . وفيها في العشرين من أيار طلع .كوكب له ذَنبٌ عظيم جداً في برج الجوزاء. وفيها وقع الحريق ببغداد بباب الطلق من الجانب الشرفي إلى طرق الصفارين ، فاحترق ألف دكان مملوءة متاعاً للتجار. ، وفِيها توفيِ أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكجي ويقال الكشي (١). وفيها توفّي القاضي عبد الحميد بن عبد العزيز أبو حازم قاضي المعتضد بالله ببغداد، وكان من أفاضل القضاة .

(1) الكجى – بفتح الكاف وَالجيم المشددة – نسبة إلى الكج وهى لفظة فارسية معناها الجص وسمى بذلك لأنه كان يبنى دارا بالبصرة فكان يقول : هاتوا الكج وأكثروا من ذلك فلقب بالكجى ، والكشى

باثين المعجمة نسبة إلى جده كش ، قدم بغداد وكان يملى برحبة غسان وكان يملى على سبعة كل واحد منهم يبلغ الذى يليه وكتب الناس عنه قياماً بأيديهم المحابر ومسح المكان الذى كانوا قياماً فيه فحزروا نيفا واربعين الف محبرة .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين

ذكر أول امارة بني حمدان بالموصل وما فعلوه بالأكراد

في هذه السّنة ولّى المكتفي بالله الموصل وأعمالها أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي العدوي . فسار إليها فقدمها أول المحرم ، فأقام بها يومه ، وخرج من الغد لعرض الرِّجال الذي قدِمُوا معه والذين بالموصل . فاتاهُ الصريخُ من نينوى، بأن الأكراد الهذبانية ،ومقدمهم محمَد بِنْ بلال ، قد أغاروا على البلد ، وغنموا كثيراً منه ، فسار من وقته وعبرَ الجسرَ إلى الجانبِ الشرفيّ ، فلحقَ الأكرادُ بالمعروبة على الخازر ، فقاتلوه ، فقُتِلَ رجل من أصحابه ، اسمه سِيما الحمداني فعاد عنهم . وكَتَبَ إلى الخليفة يستدعي النجدة، فأتته النجدة بعد شهور كثيرة .

وقد انقضت سنة ثلاث وتسعين ، ودخلت سنة أربع وتسعين ، ففي ربيع الأول

منها سار فيمن معه إلى الهذبانية ، وكانوا قد اجتمعوا في خمسة آلاف بيت ، فلما رأوا جذه في طلبهم ، ساروا إلى البابة التى في جبل السّلق وهو مضيق في جبل عال مشرف على شهر زور فامتنعوا . وغار مقدمِهم محمد بن بلال وقرُبَ من ابن حمدان وراسله في أن يطيعَهُ وبحضر هو وأولاده ، ويجعلهم عنده يكونون رهنية ، ويتركون الفساد . فقَبِلَ ابن حمدان ذلك . فرجع محمد ليأتي بمن ذُكِرَ، فحث أصحابَه على المسير نحو اذربيجان ، وإنما أراد في الذي فعله مع ابن حمدان أن يترك الجد في الطلب ، ليأخذَ أصحابه أهبتَهُم ،ويسيرون آمنين . فلما تأخر عودُ محمد عن ابن حمدان عَلِمَ مرادَهُ فجردَ معه جماعة من جملتهم اخوته ، سليمان ، وداود ، وسعيد ، وغيرهم مس يثق به وبشجاعته ، وأمر النجدةَ التي جاءته من الخليفة أن يسيروا معه ، فتثبطوا، فتركَهم ، وسار يقفو أثرهم ، فلحقهم ، وقد تعلقوا بالجبل المعروف بالقنديل ، فقتل منهم جماعة وصعدوا ذروة الجبل ، وانصرف ابن حمدان عنهم ولحقَ الأكواد باذربيجان . وأش ابن حمدان

ما كان من حالهم إلى الخليفة والوزير ، فأنجدوه بجماعةٍ صالحةٍ .

وعاد إلى الموصل ، فجمع رجاله وسار إلى جبل السّلق ، وفيه محمد بن بلال ومعه الأكراد فدخله ابن حمدان والجواسيس بين يديه خوفاً من كمين يكون فيه ، وتقدَمَ من بين يدي أصحابه ، وهم يتبعونه فلم يتخلف منهم أحد، وجاوزوا الجبل وقاربوا الأكراد، وسقط عليهم الثلج ، واشتدَ البردُ وقلتْ الميرةُ والعلفُ عندهم ، وأقام على ذلك عشرة أيام ، وبلغ الحمل التبن ثلاثين درهماً ، ثم عدم عندهم وهو صابر، فلما رأى الأكواد صبرَهم وأنهم لا حيلة لهم في دفعهم ، لجأ محمد بن بلال وأولاده ، ومن لحق به ، واستولى ابن حمدان على بيوتهم ، وسوادهم ، وأهلهم ، وأموالهم . وطلبوا الأمان فأمّنهم وأبقى عليهم وردَهم إلى بلدٍ حرة . وردَّ عليهم أموالهم ، وأهليهم ، ولم يقتل منهم غير رجل واحد، وهو الذي قتل صاحبه سيما الحمداني . وأمّنَتْ البلاد معه وأحْسَنَ السيرةَ في أهلها ثم أن محمد بن بلال طلب الأمان من ابن حمدان ، فأقمنه ، وحضر عنده وأقام بالموصل . وتتابع الأكواد الحميدية وأهل جبل داسن إليه بالأمان ، فأمنت البلاد واستقامت .

ذكر الظفر بالخلنجي

في هذه السَّنة في صفر، وصل عسكر المكتفي إلن نواحي مصر. وتقدَّم أحمد

ابن كيغلغِ في جماعة من القوّاد، فلقيهم الخلنجي بالقرب من العريش ، فهزمهم أقبح هزيمة . فندَبَ جماعة من القوّاد إليهم ببغدادَ، وفيهم إبراهيم بن كيغلغ ، فخرجوا في ربيع الأول ، وساروا نحو مصر، واتصلت الأخبار بقوة الخلنجي (1) ، فبرز المكتفي إلى باب الشماسية ليسيرَ إلى مصر في رجب ، فوصل إليه كتابُ فاتك في شعبان ، يذكر أنه والقوّاد رجعوا إلى الخلنجي وكانت بينهم حروب كثيرة قُتِلَ بينهم فيها خلق كثير . فإن آخر حرب كانت بينهم قُتِلَ فيها معظم أصحاب الخلنجي ، وأنهزم الباقون ، وظفروا بهم ، وغنموا عسكرهم. وهرب الخلنجي ، فدخل فسطاط مصر فأستتر بها عند رجل من أهل البلد فدخلنا المدينة فدلونا عليه ، فأخذناه ، ومن استتر عنده ،

وهم في الحبس . فكتب المكتفي إلى فاتك في حمل الخلنجي ، ومن معه إلى بغداد. وعاد المكتفي ،

(1) في الطبري " الخليجي " . وفي البداية والنهاية " الخليجي " وفي ابن خلدون " الخلجي " .

فدخل بغداد وأمر برد خزائنه ، وكانت قد بلغت تكريت . فوجه فاتك الخلنجي إلى بغداد ، فدخلها هو ومن معه في شهر رمضان ،فأمر المكتفي بحبسهم .

ذكر أمر القرامطة

فيها أنفذ زكرويه بن مهرويه ،بعد قتل صاحب الشامة رجلاً كان يعلمٍ الصبيان بالزابُوقَة(1) من الفلوجة يسقى عبد الله بن سعيد، ويكنى أبا غانم فسقي نصرا، وقيل : كان المنفذ ابن زكرويه فدار على أحياء العرب من كلب وغيرهم ، يدعوهم إلى رأيه فلم يقبله منهم أحد الأرجل بن بني زياد يسمى مقدام بن الكيال ، واستغوى طوائف من الاصبغيين المنتمين إلى الفواطم وغيرهم من العليصيين ، وصعاليك من سائر بطون كلب . وقصد ناحية الشام والعامل بدمشقَ ، والاردن أحمد بن كيغلغ – وهو بمصر يحارب الخلنجي – فاغتنم ذلك عبد الله بن سعيد، وسار إلى بصرى، واذرعات ، والبثنية ، فحارب أهلها ثم أمنهم ، فلما استسلموا إليه قتل مقاتلهم ، وسبى ذراريهم ، وأخذ أموالهم . ثم قصد دمشق ، فخرج إليهم نائب ابن كيغلغ وهو صالح بن الفضل ، فهزمه القرامطة واثخنوا فيهم ، ثم أمنوهم ، وغدروهم بالأمان ، وقتلوا صالحاً وفضُّوا عسكره . وساروا إلى دمشقَ فمنعهم أهلها فقصدوا طبرية ، وانضاف إليه جماعة من جند دمشق اقتتلوا به ، فواقعهم يوسف بن إبراهيم بن بغامردي –وهو خليفة أحمد بن كيغلغ – بالأردن – فهزموه ، وبذلوا له الأمان ، وغدروا به ، وقتلوه ، ونهبوا طبرية وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها، وسبوا النساء . فأنفذ الخليفة الحسين بن حمدان وجماعة من القوّاد في طلبهم ، فوردَ دمشق ، فلما علم بهم القرامطة رجعوا نحو السماوة وتبعهم الحسين في السماوة ، وهم ينتقلون في المياه ويغورونها حتى لجؤوا إلى ماءين يعرف أحدهما بالدمعانة والآخر بالحبالة(2) وانقطع ابن حمدان عنهم لعدم الماء ، وعاد إلى الرَّحبة ، واسرى القرامطة مع نصر إلى هيت وأهلها غافلون فنهبوا ربضها ، وامتنع أهل المدينة بسورهم ، ونهبوا السفن ، وقتلوا من

أهل المدينة مائتي نفس ، ونهبوا الأموال ، والمتاع ، وأوقروا ثلاثة آلاف راحلة من الحنطة . وبلغ الخبر إلى المكتفي فسير محمد بن

(1) الزْابوقة : موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل أول النهار .

(2) في الطبرى : " بالدمعانة والحالة " . والدمعانة : ماء لبنى بحر من بنى زهير بن جناب الكلبيين بالشام . والحالة : موضع فى ديار بلقين بن تجسْر عند حره الرجلاء بين المدينة والشام .

إسحاق بن كِندَاج (ا)فلتم يقيموا لمحمّد، ورجعوا إلى الماءين . فنهض محمد خلفهم فوجدهم قد غوروا المياه ، فأنفذ إليه من بغداد الازواد والدواب . بى كتب إلى ابن حمدان بالمسير إليهم من جهة الرحبة ليجتمع هو ومحمد على الايقاع بهم ففعل ذلك . فلما أحسَ الكلبيون بإقبال الجيش إليهم وثبوا بنصر فقتلوه . قتله رجل منهم يقال له : الذئب بن القائم ، وسار برأسه إلى المكتفي متقرباً بذلك مستأمناً، فأجيب إلى ذلك ، وأجيزَ بجائزة سنية ، وأمر بالكفَ عن قومه ، واقتتلت القرامطة بعد نصر، حتى صارت بينهم الدماء ، وسارت فرقة كرهت أمورهم إلى بني أسد بنواحي عين التمر ، واعتذروا إلى الخليفة فقبل عذرهم . وبقي على الماءين بقيتهم ممن له بصيرة في دينه ، فكتب الخليفة إلى ابن حمدان يأمره بمعاودتهم واجتثاث أصلهم . فأرسل إليهم زكرويه بن مهرويه داعية له يسمى القاسم بن أحمد وُيعرفُ بأبي محمد، وأعلمهم إن فعل الذئب قد نفره منهم وأنهم قد ارتدّوا عن الدين ، وانّ وقت ظهورهم قد حضر، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفاً وان يوم موعدهم الذي ذكره . الله في شأن موسى صلى الله عليه وسلم وعدوه فرعون إذ يقول . { إن موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى }(2) ويأمرهم أن يخفوا أمرهم وان يسيروا ، حتى يصبحوا الكوفة يوم النخر سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، فأنهم لا يمنعون منها، وأنه يظهر لهم وينجز لهم وعده الذي يعدهم إيا 5 ، وأن يحملوا إليه القاسم بن أحمد . فامتثلوا رأيه ووافوا باب الكوفة ، وقد انصرف الناس عن مصلاهم ، وعاملهم اسحاق بن عمران ، ووصلوا في ثمانمائة ،فارس عليهم الدروع والجواشن ، والآلات الحسنة وقد ضربوا على القاسم بن أحمد قبة وقالوا : هذا اثر رسول الله ودعوا يالثارات الحسين - يعنَون الحُسين بن زكرويه المصلوب ببغدادَ - وشعارهم يا أحمد يا محمد - يعنون ابني زكرويه المقتولين - فأظهروا الأعلامَ البيضَ ، وأرادوا استمالة رعاع الناس بالكوفة بذلك ، فلم يملْ إليهم أحد. فأوقع القرامطة بمن لحقوه من أهل الكوفة ، وقتلوا نحواً من عشرين نفساً . وبادر الناس الكوفة ،

وأخذوا السلاح ، ونهض بهم اسحاق . ودخل مدينة الكوفة من القرامطة مائة فارس ، فقُتِل منهم عشرين نفساً وأخرجوا عنها . وظهر إسحاق وحاربهم إلى .العصر، ثم انصرفوا نحو القادسية ، وكان فيمن يقاتلهم مع اسحاق جماعة من الطالبية. وكتب إسحاق إلى الخليفة يستمده فأمده

(1) ابن كنداحيق " تقدم .

(2) سورة طه 59.

بجماعة من قوّاده ، منهم وصيف بن صوارتكين التركي ، والفضل بن موسى بن بغا،وبشر الخادم الأفشيني ، ورائق الخزري مولى امير المؤمنين . وغيرهم من الغلمان

الحجرية .

فساروا منتصف ذي الحجَّة ، حتى قاربوا القادسية فنزلوا بالصَوان ، فلقيهم

زكرويه. وأما القرامطة فإنهم أنقذوا واستخرجوا زكرويه من جبٍّ في الأرض ، كان منقطعاً فيه سنين كثيرة بقرية الدُّرية، وكان على الجبَ بابُ حديد محكم العمل . وكان زكرويه إذا خاف الطلب جعل تنوراً هنالك على باب الجبِّ ، وقامت امرأة تسجره ، فلا يفطن إليه . وكان ربما أخفي في بيتٍ خلفَ باب الدار التي كان بها ساكناً، فإذا انفتح باب الدار انطبق على باب البيت ، فيدخل الداخل الدار فلا يرى شيئاً . فلما استخرجوه حملوه على أيديهم وسموه ولف الله . ولما رأوه سجدوا له ، وحضر معه جماعة من دُعاته وخاصته .

وأعلمهم أن القاسم بن أحمد من أعظم الناس عليهم ذمّةً ومنة، وأنه ردهم إلى

الدين بعد خروجهم عنه . وإنهم ان امتثلوا أوامره أنجز موعدهم وبلغوا آمالهم . ورمز لهم رموزاً ذكر فيها آيات من القرآن نقلها عن الوجه الذي أنزِلَتْ فيه ، فأعترف له من رسخ حمثُ الكُفرِ في قلبه ، أنه رئيسهم وكهفهم ، وأيقنوا بالنصر وبلوغ الأمل . وسار بهم وهو محجوب منهم يدعونه السيد، ولا يبرزونه والقاسم يتولى الأمور.

وأعلمهم أن أهل السواد قاطبة خارجون إليه ، فأقام بسقي الفرات عدة أيام ، فلم

يصل إليه منهم إلا خمسمائة رجل ، ثم وافته الجنود المذكورة من عند الخليفة ، فلقيهم زكرويه بالصَّوان وقاتلهم واشتدّت الحرب بينهم ، وكانت الهزيمة أوّل النهار على القرامطة، وكان زكرويه قد كمن لهم كميناً من خلفِهِم ، فلم يشعر أصحابُ الخليفة إلا والسَّيفُ فيهم من ورائهم ، فانهزموا أقبح هزيمة . ووضع القرامطة السيف فيهم

فقتلوهم كيف شاؤوا وغنموا سوادهم . ولم يسلم من أصحاب الخليفة إلا منْ دابته قوية أو من أثخنَ بالجراح ، فوضع نفسه بين القتلى ، فتحاملوا بعد ذلك . وأخذ للخليفة في هذا العسكر أكثر من ثلاثمائة جمازة عليها المال والسلاح وخمسمائة بغل . وقتل من أصحاب الخليفة سوى الغلمان ألف وخمسمائة رجل ، وقوّي القرامطة بما غنموا .

ولما وَرَدَ خبر هذه الوقعة إلى بغدادَ أعظمها الخليفة والناس . ونَدَبَ إِلى القرامطة

محمد بن اسحاق بن كنداج ، وضم إليه من الأعراب بني شيبان وغيرهم أكثر من ألفي رجل ، وأعطاهم الأرزاق . ورحل زكرويه من مكانه إلى نهر المثنية لنتن القتلى.

ذكر عدة حوادث

وفيها في ربيع الآخر قَدِمَ إلى بغدادَ قائد من أصحاب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث مستأمناً يُعرَفُ بأبي قابوس . وسبب ذلك أن طاهراً تشاغل باللهو والصَّيد . ومضى إلى سجستان للصيد والتنزه ، فغلب على الأمر بفارس الليث بن علي بن الليث وسبكري مولى عمرو بن الليث ، فوقع بينهما وبين هذا القائد تباعد ففارقهم ، ووصل إلى بغداد، فخلع عليه الخليفة واحسن إليه . فكتب طاهر بن محمد يسأل رد أبي قابوس ، ويذكر أنه جبى المال وأخذه ويقول له : إما أن تردَ إليه أو تحتسب له بما ذهب معه من المال . من جملة القرار الذي عليه ، فلم يجبه الخليفة إلى ذلك . وفيها صارت الداعية التي للقرامطة باليمن إلى مدينة صنعاء، فحاربه أهلها فظفر بهم وقتلهم ، فلم يفلت إلّا اليسير، وتغلب على سائر مدن اليمن ، ثم اجتمع أهل صنعاء وغيرها فحاربوا الداعية فهزموه فانحاز إلى موضع من نواحي اليمن . وبلغ الخبر الخليفة، فخلع على المظفر بن حاج في شوّال وسيّره إلى عمله باليمن ، وأقام بها إلىِ أن مات . وفيها أغارت الروم على قورس من أعمال حلب فقاتلهم أهلها قتالاً شديداَ ، ثم انهزموا وقتلوا أكثرهم ، وقتلوا رؤساء بني تميم . ودخل الروم قورس فأحرقوا جامعها وساقوا من بقي من أهلها . وفيها افتتح اسماعيلِ بن أحمد السّاماني ملك ما وراء النهر مواضع من بلاد الترك ، ومن بلاد الديلم . وحجَ بالناس محمد بن عبد الملك الهاشمي . وفيها توفي نصر بن أحمد الحافظ في رمضان وأبو العباس عبد الله بن محمد الشاشي الشاعر الكاتب الأنباري (1) .

(١) وكان فاضلاً بارعاً وله تصانيف رد فيها على الشعراء وأهل المنطق

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائتين

ذكر أخبار القرامطة وأخذهم الحاج

في هذه السنة في المحرم ، ارتحل زكرويه . من نهر المثنية، يريد الحاج فبلغ السّلمان ، وأقام ينتظرهم . فبلغَتْ القافلةّ الأولى ، واقصة سابع المحرَم . فأنذرهم أهلها وأخبروهم بقرب القرامطة ، فارتحلوا لساعتهم . وسار القرامطة إلى واقصة فسألوا أهلها عن الحاج فاخبروهم أنهم ساروا فاتهمهم زكرويه فقتل العلافة وأحرق العلف ، وتحصَّن أهل واقصة في حصنهم فحصروهم أياماً ،ثم ارتحل عنهم نحو زُبالة وأغار في طريقه على جماعة من بني أسد . ووصلت العساكر المنفذة من بغدادَ إلى عيون الطف ، فبلغهم مسير زكرويه من السلمان ، فانصرفوا . وسار عِلان ابن كشمرد جريدَة، فنزل واقصة بعد أن جازت القافلة الأولى . ولقيَ زكرويه القرمطي قافلة الخراسانية بعقبة الشيطان راجعين من مكة ، فحاربهم حرباً شديداً . فلما رأى شدة حربهم سألهم : هل فيكم نائبٌ للسلطان ؟ فقالوا : ما معنا أحد . قال : فلسْت أريدكم ، فاطمأنوا وساروا، فلما ساروا أوقع بهم وقتلهم عن آخرهم ، ولم ينجُ إلا الشريد، وسبوا من النساء ما أرادوا ، وقتلوا منهن . ولقي بعض المنهزمين علان بن كشمرد فأخبروه خبرهم وقالوا له : ما بينك وبينهم إلا القليل ، ولو رأوك . لقويت نفوسهم ،فالله لله فيهم ، فقال : لا أعرض أصحاب السلطان للقتل ، ورجع هو وأصحابه .

وكتب من نجا من الحجاج من هذه القافلة الثانية إلى رؤساء القافلة الثالثة من الحجاج يعلمونهم ما جرى من القرامطة ، ويأمرونهم بالتحذر والعدول عن الجادة نحو واسط والبصرة أو الرجوع إلى فَيْد(ا) والمدينة إلى أن تأتيهم جيوش السلطان ، فلم

(ا)فيد : بالفتح ثم السكون : منزل بطريق مكة .

يسمعوا ولم يقيموا . وسارت القرامطة من العقبة بعد أخذ الحاج ، وقد طموا الآبار والبرك بالجيف ، والتراب والحجارة بواقصة، والثعلبية والعقبة وغيرها من المناهلِ في جميع طريقهم . وأقام بالهَبِير(١) ينتظر القافلة الثالثة ، فساروا ، فصادفوه ، هناك فقاتلهم زكرويه ثلاثة أيام – وهم على غير ماء – فاستسلموا لشدة العطش ، فوضع فيهم السَّيفَ ، وقتلهم عن آخرهم ، وجمع القتلى كالتَّل . وأرسل خلف المنهزمينَ من يبذل لهم الأمان ، فلما رجعوا قتلهم . وكان في القتلى مبارك القمّي وولده أبو العشائر بن حمدان. وكان نساء القرامطة يطفن بالماء بين القتلى يعرضن عليهم الماء فمن كلمهن قتلنه ، فقيل : إن عدة القتلى بلغت عشرين ألفاً ، ولم ينجُ إلا من كان بين القتلى ، فلم يفطن له ، فنجا بعد ذلك ومن هرب عند اشتغال القرامطة بالقتل والنهب ، فكان من مات من هؤلاء أكثر ممن سلم ومن استعبدوه . وكان مبلغ ما أخذوه من هذه القافلة ألفي ألف دينار، وكان في جملة ما أخذوا فيها أموال الطولونية وأنشابهم . –فانهم لما عزموا على الانتقال من مصر إلى بغداد، خافوا أن يستصحبوها فتؤخذ منهم فعملوا الذهب والنقرة سبائك وجعلوها في حدائج وجميع ما لهم من الحُلي والجوهر. وسيّروا الجميع إلى مكة سراً ، وسار من مكة في هذه القافلة فأخِذَتْ. وبث زكرويه الطلائع خوفاً من عسكر الخليفة الذي كان بالقادسية، وأقام ينتظر وصول من كان في الحجَ من عسكر الخليفة وأصحابه . فكانوا بفَيْد ينتظرون ، هل تعرَّض القرامطة للحاج أم لا؟ فكان معهم جماعة من التجَّار أرباب الأموال ، فلما بلغهم ما صنع القرامطة أقاموا ينتظرون وصول عسكر من عند الخليفة، فسار زكرويه إليهم وغوّر الآبار . والمصانع ، والمياه إلى فَيْد، فاحتمى أهل فيد ومن بها من الحجاج بالحصنين اللذين بفيد . وحصرهم فيهما القرامطة وأرسل زكرويه إلى أهل فَيْد يأمر بهم بإخراجهم أو بتسليم الحصنين إليه ، وبذل لهم الأمان على ذلك ، فلم يجيبوه فتهددهم بالنهب والقتل فازداد امتناعهم . وأقام عليهم عدَّة أيام ، ثم سار إلى السَّاج (2) ثم إلى جعفر أبي موسى .

ذكر قتل زكرويه لعنه الله

لما فعل زكرويه بالحجاج ،ما ذكرناه ، عظَّم ذلك على الخليفة خاصة وعلى كافة

(1) الهبير : رمل زورد في طريق مكة .

(2)في الطبري : " إلى النباج " .

المسلمين عامة ، فجهز المكتفي الجيوش . فلما كان أول ربيع الأول سير وصيف بن صوارتكين مع جماعة من القوّاد والعساكر إلى القرامطة، فساروا على طريق خفان ، فلقيهم زكرويه ومن معه من القرامطة ثامن ربيع الأول ، فاقتتلوا يومهم ، ثم حجز بينهم الليل ، وباتوا يتحارسون . ثم بكروا إلى القتال فاقتتلوا قتالا شديداً ، ففتِلَ من القرامطة مقتلة عظيمة . ووصل عسكر الخليفة إلى عدو الله زكرويه ، فضربه بعض الجند وهو مول بالسيف على رأسه ، فبلغت الضربة دماغه ، وأخذَهُ أسيراً وأخذ خليفته ، وجماعة من خواصه ، وأقربائه ، وفيهم ابنه وكاتبه وزوجته ، واحتوى الجند على ما في العسكر . وعاش زكرويه خمسة أيام ومات .فَسُيرَتْ جيفتُهُ والأسرى إلى بغداد . وانهزم جماعة من أصحابه إلى الشام ، فأوقع بهم الحسين بن حمدان فقتلوهم جميعاً ، وأخذوا جماعة من النساء والصبيان ، وحُمِلَ رأسُ زكرويه إلى خراسان ، لئلا ينقطع الحجاج ، وأخذ الأعراب رجلين من أصحاب زكرويه ، يُعرَفُ أحدَهما بالحداد والآخر بالمنتقم – وهو أخو إمرأة زكرويه –كانا قد سارا إليهم يدعوانهم إلى الخروج معهم . فلما أخذوهما سيروهما إلى بغداد. وتتبع الخليفة القرامطة بالعراق ، فقتل بعضهم ، وحبس بعضهم ، ومات بعضهم في الحبس .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا ابن كيغلغ الروم من طرسوس ، فأصاب من الروم أربعة آلاف

رأس سبي ودواب ومتاعاً . ودخل بطريق من بطارقة الروم في الأمان ، وأسلم . وفيها غزا ابن كيغلغ الروم ، فبلغ شكند وافتتح الله عليه ، وسار إلى الليس فغنموا نحواً من خمسين ألف رأس ، وقتلوا مقتلةً عظيمة من الروم ، وانصرفوا سالمين . وكاتب اندرونقس البطريق المكتفي بالله يطلب منه الأمان ، وكان على حرب أهل الثغور من قبل ملك الروم ، فأعطاه المكتفي ما طلب ، فخرج ومعه مائتا أسير من المسلمين كانوا في حصنه . وكان ملك الروم قد أرسل للقبض عليه فاعطى المسلمين سلاحاً وخرجوا معه فقبضوا على الذي

أرسله ملك للروم ليقبضَ عليه ليلاً ، فقتلوا ممن معه خلقاً كثيراً ، وغنموا ما في عسكرهم . فاجتمعت الروم على اندرونقس ، ليحاربوه ، فسار إليهم جمع من المسلمين ليخلِّصُوهُ ومن معه من أسرى المسلمين . فبلغوا قونية، فبلغ الخبر إلى الروم ، فانصرفوا عنه . وسار جماعةٌ من ذلك العسكر إلى اندرونقس وهو

بحصنه ، فخرج ومعه أهله وماله إليهم ، وسار معهم إلى بغداد، وأخرب المسلمون قونية، فأرسل ملك الروم إلى الخليفة المكتفي فطلب الفداء . وفيها ظهر بالشام رجل يَدعي أنه السفياني ، فأخِذَ وحُمِلَ إِلى بغداد، فقيل : إنه موسوس . وفيها كانت وقعة بين الحسين بن حمدان وبين أعراب من بني كلب وطيىء واليمن ، وأسد وغيرهم . وفيها حاصر أعراب طيىء وصيف بن صوارتكين بفيد، وقد سيَّره المكتفي أميراً على الموسم ، فحصروه ثلاثةَ أيام ، ثم خرج فواقعهم ، فقتل منهم قتلى . ثم انهزمت الأعراب ورحل وصِيف بمن معه ، وحجَّ بالناس هذه السنة الفضل بن عبد الله (1) الهاشمي . وفيها توفي صالح بن محمد الحافظ الملقب بجزرة البغدادي (2) وأبو عبيد الله محمد بن نصر المروزي الفقيه الشافعي ، وكان موته بسمرقند وله تصانيف كثيرة . وفيها قتل محمد بن اسحاق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه بطريق مكة ، تتله القرامطة حين أخذوا الحاج .

(ا) في الطبرى " الفضل بن عبد الملك " .

(2) ولد جزره سنة خمس ومائتين ببغداد ، قال أبو سعيد الادريسى الحافظ : صالح بن جزرة ما أعلم في عصره بالعراق وخراسان في الحفظ مثله . ولقب جزرة لأنه جاء في حديث عبد الله بن بشر أنه كانت عند . خرزة يرقى بها المرض وكانت لأبي أمامة الباهلي فصحفها جزرة بجيم وزاي معجمتين - وله في هذا النحو أشياء إلا أنها لا تنقص من حفظه أو ثقته.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين

ذكر وفاة اسماعيل بن أحمد السّاماني وولاية ابنه أحمد(1)

في هذه السنة منتصف صفر ، توفي اسماعيل بن أحمد أمير خراسان وما وراء النهر ببُخَارى ، وكان يلقب بعد موته بالماضي ، وولى بعده ابنه أبو نصر أحمد ، وأرسل إليه المكتفي عهده بالولاية، وعقد لواء بيده. وكان اسماعيل عاقلاً عادلاً حسن السِّيرة في رعيته حليماً جُكِيَ عنه ، أنه كان لولده أحمد مؤدب يؤّدبه ، فمر به الأمير اسماعيل يوماً والمؤدب لا يعلم به ، فسمعه وهو يسب ابنه ويقول له : "لا باركَ الله فيك ولا فيمن ولدَكَ " . فدخل إليه وقال له : يا هذا نحن لم نذنب ذنباً لتسبنا، فهل ترى أن تعفينا من سبك، وتخص المذنب بشتمك وذمك ؟ فارتاب المؤدب ، فخرج اسماعيل عنه وأمر له بصلة جزاء لخوفه منه . وقيل : جرى بين يديه ذكر الأنساب والأحساب ، فقال لبعض جلسائِه :كُنْ عِصَامياً ولا تَكُنْ عظامياً. فلم يفهم مراده ، فذكر له معنى ذلك ، وسال يوماً يحيي بن زكريا النيسابوري ، فقال له : ما السبب في أن آل معاذ لما زالت دولتهم بقيت عليهم نعمتهم بخراسان مع سوء سيرتهم وظلمهم وأن آل طاهر لما زالت دولتهم عن خراسان زالت معها نعمتهم ،مع عدلهم ، وحسن سيرتهم ونظرهم لرعيتهم . فقال له يحيى : السبب في ذلك أن آل معاذ لما تغير أمرهم كان الذي ولي البلاد بعدهم آل طاهر في عدلهم وانصافهم واستعفافهم عن أموال الناس ، ورغبتهم في اصطناع أهل البيوتات ، فقدّموا آل معاذ وأكرموهم ، وأنّ آل طاهر لما زالت عنهم ، كان سلطان بلادهم آل الصّفار

(1) وهو أحد ملوك السامانية وهم أرباب الولايات بالشاش وسمرقند وفرغانة وما وراء النهر وفي امرة خراسان بعد عمرو بن الليث الصفار وكان ملكاً شجاعاً صالحاً بني الربط في المفاوز وأوقف عليها الأوقات وكل رباط يسع الف فارس وهو الذى كسر الترك . ولما توفي تمثل بقول أبي نواس :. لم يخلق الدهر مثله أبداً هيهات هيهات شأنه عجب

في ظلمهم ، وغشمهم ومعاداتهم لأهل البيوتات ، ومناصبتهم لأهل الشرف والنعم فأتوا عليهم وأزالوا نعمتهم . فقال اسماعيل : لله درك يا يحيى فقّد شفيت صدري ، وأمر له بصلة . ولما ولي بعد أخيه كان يكاتب أصحابه وأصدقائه بما كان يكاتبهم أولاً، فقيل له في ذلك فقال : يجب علينا إذا زادنا الله رفعة ان لا ننقص أخواننا، بل نزيدهم رفعة وعلاء وجاهاً ليزيدوا لنا أخلاصاً وشكراً. ولما ولّى بعده ابنه أبو نصر أحمد واستوثق أمره لم رِاد الخروج إلى الزي ، فأشار عليه إبراهيم بن زيدويه بالخروج إلى سمرقند، والقبض على عمه اسحاق بن أحمد لئلا يخرج علمِه ويشغله ، ففعل ذلك . واستدعى عمة إلى بخارى، فحضر، فأعتقله بها ثم عبر إلى خراسان .

فلما ورد نيسابور هرب بارس الكبر من جرجان إلى بغداد خوفاً منه . وكان سبب

خوفه ان الأمير اسماعيل كان قد استعمل ابنه أحمد على جرجان لما أخذها من محمد بن زيد . ثم عزله عنها، واستعمل عليها بارس الكبير على ما ذكرناه ، فاجتمع عند بارس أموال جمّة من خراج الرّي وطبرستان وجرجان ، فبلغت ثمانين وقراً فحملها إلى اسماعيل فلما سارت عنه بلغه خبر موت اسماعيل فردّها إليه وأخذها، فلما سار إليه أحمد خافه وكتب إلى المكتفيِ يستأذنه في المسمِر إليه ، فأذن له في ذلك . فسار إليه في أربعة آلاف فارس ، فأرسل أحمد خلفه عسكراً فلم يدركوه . واجتاز الرّي ، فتحصّن بها نائب أحمد بن اسماعيل . فسعار إلى بغداد فوصلها، وقد مات المكتفي وولي المقتدر بعده فأعجبه المقتدر. وكان وصوله بعد حادثة ابن المعتز فسيره المقتدر في عسكره إلى بني حمدان وولاه ديار ربيعة . فخافه أصحاب الخليفة أنْ يتقدم عليهم ، فوضعوا عليِه غلاماً له فسمه ، فمات . واستولى غلامه على ماله ، وتزوّج امرأته ، وكان موته بالموصل .

ذكر وفاة المكتفي

في هذه السنة في ذي القعدة توفّي أمير المؤمنين ، المكتفي بالله أبو محمد عليّ بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق بن

المتوكل . وكانتَ خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً ، وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة ، وقيل : اثنتين وثلاثين سنة . وكان ربعة جميلاً رقيق البشرة حسنَ الشعر وافرَ اللحيةِ ، وكُنيَتُهُ أبو محمد، وأمّه

أم ولد تركية ، اسمها جيجك . وطال عليه مرضه عدة شهور ، ولما مات دُفِنَ بدارِ محمد بن طاهر ، –رحمه الله –

ذكر خلافة المقتدر بالله

وكان السبب في ولاية المقتدر بالله الخلافة –وهو أبو الفضل جعفر بن المعتضد –

أن المكتفي لما ثقل في مرضه فكَّر الوزير حينئذ –وهو العبَّاس بني الحسن – فيمن يصلِحُ للخلافة . وكان عادته أن يسايره إذا ركب إلى دار الخلافةِ، واخَذَ من هؤلاء الأربعة الذين يتولون الدواوين ، وهم أبو عبد الله بن محمد بن الجراح وأبو الحسن محمد بن عبدان وأبو الحسن عليّ بن محمد بن الفرات . وأبو الحسن عليّ بن عيسى . فاستشار الوزير يوماً ، محمد بن داود بن الجراح في ذلك ، فأشار بعبد الله بن المعتز، ووصفه بالعقل والأدب والرأيِ . واستشار بعده أبا الحسن بن الفرات فقال : هذا شيء ما جرت به عادتي أشير فيه ، وإنما أشاور في العمال لا في الخلفاء . فغَضبَ الوزيرُ وقال : هذه مقاطعة باردة، وليس يخفى عليه الصحيحُ ، وألحّ عليه فقال : إن كان رأي الوزير قد استقر على أحد بعينه ، فليفعل ، فعلم أنه عني ابن المعتز لاشتهار خبره ، فقال الوزير :لا اقنع إلا أن تمحضني النصيحة، فقال ابن الفرات : فليتق الله الوزيرَ، ولا ينصب إلا من عرفه واطلع على جميع أحواله ، ولا ينصب بخيلاً،فيضيق على الناس ، ويقطع أرزاقهم ، ولا طماعاً فيشره فى أموالهم ، فيصادرهم ، ويأخذ أموالهم وأملاكهم ، ولا قليل الدين ، فلا يخاف العقوبة والأثام ، ويرجو التَّواب فيما يفعله ، ولا يولّي من عرف نعمة هذا ، وبستان هذا، وضيعة هذا ، وفرس هذا ، ومن قد لقي الناس ، ولقوه ، وعاملهم وعاملوه ، ويتخيل ويحسب حساب نعم الناس ، وعرف وجوه دخلهم وخرجهم . فقال الوزير : صدقت ونصحت فيمن تشير؟ قال : أصلح الموجود جعفر بن المعتضد، قال : ويحَك هو صبي ، قال ابن الفرات : إلا أنه ابن المعتضد ولم نأتِ برجل كامل يباشر الأمور بنفسه غير محتاج إلينا . ثم إن الوزير استشار عليّ بن عيسى فلم يسم أحداً وقال : لكن ينبغي أن

يتقي الله ، وينظر من يصلح الدين والدنيا . فمالت نفس الوزير إلى ما أشار به ابن الفرات وإنصاف إلى ذلك وصية المكتفي . فانه أوصى ، لمّا اشتد مرضه بتقليد أخيه جعفر الخلافة .

فلما مات المكتفي نصب الوزير جعفراً للخلافة، وعينه لها، وأرسل صافياً

الحرمي إليه ليحذره من دور آل طاهر بالجانب الغربي ، وكان يسكنها . فلما حظه في الحراقة وحدره ، وصارت الحراقة مقابل دار الوزير صاح غلمان الوزير بالملاح ليدخل إلى دار الوزير فظنِّ صافي الحرمي أن الوزير يريد القبضَ على جعفر ، وينصب في الخلافة غيره ، فمنع الملاح من ذلك ، وسار إلى دار الخلافة . وأخذ له صافي البيعة على الخدم ، وحاشية الدار، ولقَّب نفسه المقتدر بالله . ولحق الوزير به وجماعة الكتاب ، فبايعوه . ثم جهزوا المكتفي ، ودفنوه بدارِ محمد بن طاهر . ولما بويعَ المقتدر كان في بيت المال حين بويع خمسة عشر ألف ألف دينار، فأطلق يد الوزير في بيت المال ، فاخرج منه حق البيعة . وكان مولد المقتدر، ثامن رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين . وأمه أم ولد يقال لها : شغب . فلما بويع استصغره الوزير وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة، . وكَثُرَ كلام الناس فيه فعزم على خلعه وتقليد الخلافة أبا عبد الله محمد نجن المعتمد على الله ، وكان حسن السيرة جميل الوجه ، والفعل . فراسله في ذلك واستقر الحالُ وانتظر الوزير قدوم بارس ، حاجب اسماعيل صاحب خراسان ، وكان قد أذن له في القدوم ، كما ذكرناه . وأراد الوزير أن يستعين به س ذلك ويتقوّى به على غلمان المعتضد، فتأخر بارس وأتفق أنه وقع بين أبي عبد الله بن المعتضد، وبين ابن عمرويه صاحب الشرطة منازعة في ضيعة مشتركة بينهما فاغلظ له ابن عمرويه ، فغضب ابن المعتمد غضباً شديداً، وأغمِيَ عليه ، وفُلِجَ في المجلس فحُمِد إلى بيته في محفة، فمات في اليوم الثاني . فأراد الوزير البيعة لأبي الحسين بن المتوكل ، فمات أيضاً بعد خمسة أيام ، وتتم أمر المقتدِرَ .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كانت وقعة بين نجح بن جاخ ، وبين الأجناد بمُنَى ، ثاني عشر ذي الحجة . فقتل منهم جماعة، لأنهم طلبوا جائزة بيعة المقتدر بالله ، وهرب الناس إلى بستان ابن عامر . وأصاب الحجاج في عودهم عطشٌ عظيم ، فمات منهم جماعة. وحُكِيَ أن أحدُهم كان يبوّلُ في كفه ثم يشربه . وفيها خرج عبدُ الله بن إبراهيم المسمعي

عن اصبهان إلى قرية من قُراها مخالفاً للخليفة، واجتمع اليه نحو من عشرة آلاف من الأكراد وغيرهم . فأمر بدر الحمامي بالمسير إِليه ، فسار في خمسة آلاف من الجند . وأرسل إليه منصور بن عبد الله بن منصور الكاتب يخوّفهُ عاقبة الخلاف ، فسار

إليه وأدى إليه الرسالة ، فرجع إلى الطاعة ، وسار إلى بغداد، واستخلف على عمله باصبهان ، فرضي عنه المكتفي بالله .

وفيها كانت وقعةٌ للحسين بن موسى على أعراب طيء الذين كانوا حصروا وصيفاً على غرة منهم ، فقتل فيهم كثيراً وأسِرَ. وفيها أوقع الحسن بن أحمد بالأكراد الذين تغلَّبوا على نواحي الموصل فظفر بهم واستباحهم ، ونهب أموالهم ، وهرب رئيسهم إلى رؤوس الجبال فلم يَدرُك . وفيها فَتَحَ المظفر بن حاج بعض ما كان غلب عليه الخارجي باليمن ، وأخذ رئيساً من رؤساء أصحابه ، وُيعرَفُ بالحكيمي . وفيها تم

الفداء بين المسلمين والروم في ذي القعدة؛ وكان عدة من فودِيَ به من الرجال والنساء ثلاثة آلاف نفس . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي . وفيها توفي أبو بكر محمد بن اسماعيل بن مهرَان الجرجاني الاسماعيلي الفقيه الشافعي المحدّث ،

ومحمد بلن أحمد بن نصر أبو جعفر الترمذي الفقيه الشافعي توفي ببغداد، وأبو الحسين أحمد بن محمد النوري شيخ الصوفية(1) . وتوفّي الحسين بن عبد الله بن أحمد أبو عليّ الخرقي الفقيه الحنبلي يوم الفطر(2). (الخرقي) بالخاء المعجمة والقاف . وعبدُ الله بن أبي دارة .

(1) أصله من خراسان من قرية بين هراة ومرر الروز وسمى النوري لأنه كان اذا حضر في مكان ينور وكان أعظم مشايخ الصوفية في وقته .

(2) هو والد الامام عهر مصنف كتاب مختصر الخرقي في مذهب الامام أحمد بن حنبل وطبع شرحه المغني لابن قدامة ومعه الشرح الكبير والخرقي بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء آخر قاف - وهذه النسبة إلى بيع الخرق والثياب .

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين

ذكر خلع المقتدر وولاية ابن المعتز

وفي هذه السنة اجتمع القوَّاد والقُضاة ، والكتابُ مع الوزير العبَّاَس بن الحسن على خلع المقتدر ، والبيعة لابن المعتز ، وأرسلوا إلى ابن المعتز في ذلك ، فأجابهم على ان لا يكون فيه سفك دمٍ ولا حرب ، فأخبروه باجتماعهم عليه وأنهم ليس لهم منازع ولا محارب . وكان الرأسُ في ذلك الًعبّاس بن الحسن ، ومحمد بن داود بن الجراح ، وأبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضي؛ ومن القوّاد الحسين بن حمدان ، وبدر الأعجمي ، ووصيف بن صوارتكين ، ثم أنّ الوزيرَ رأى أمره صالحاً مع المقتدر وأنه على ما يحب ، فبدا له في ذلك فوثب به الآخرون فقتلوه . وكان الذي تولى قتله منهم الحسين بن حمدان ، وبدر الأعجمي ، ووصيف ، ولحقوه وهو سائر إلى بستان له فقتلوه في طريقه ، وقتلوا معه فاتكاً المعتضدي ، وذلك في العشرين من ربيع الأول ، وخَلَعَ المقتدر من الغد وبايعَ الناس لابن المعتز ، وركض الحسين بن حمدان إلى الحلبة ظناً منه ان المقتدر يلعب هناك بالكرة ، فيقتله فلم يصادفه ، لأنه كان هناك ، فبلغه قتل الوزير ، وفاتك ، فركض دابته فدخل الدار وغلقت الأبواب فندم الحسين حيث لم يبدأ بالمقتدر .

وأحضروا ابن المعتز وبايعوه بالخلافة ، وكان الذي يتولى أخذ البيعة له محمد بن سعيد الأزرق ، وحضر الناس والقوَّاد وأصحاب الدواوين سوى أبي الحسن بن الفرات ، وخواص المقتدر ، فانهم لم يحضروا ، ولقب ،ابن المعتز المرتضى بالله ، واستوزر محمد بن داود بن الجراح ، وقلَّد عليّ بن عيسى الدواوين . وكتب الكتب إلى البلاد من أمير المؤمنين المرتَضىَ بالله أبي العباس عبد الله بن المعتز بالله ، ووجه إلى المقتدر يأمره بالانتقال إلى دار ابن طاهر التي كان مقيماً فيها

لينتقل هو إلى دار الخلافة ، فأجابه بالسَّمع والطاعة ، وسأل الإمهال إلى الليل ، وعاد الحسين بن حمدان بكرة غد إلى دار الخلافة فقاتله الخدم ، والغلمان لم بم والرجالة ، من وراء الستور عامة النهار ، فأنصرف عنهم آخر النهار ، فلما جنه الليل سار عن بغداد بأهله . وكل ماله إلى الموصل لا يدري لم معل ذلك ، ولم يكن بقي مع المقتدر من القوّاد غير مؤنس الخادم ، ومؤنس الخازن ، وغريب الخال ، وحاشية الدار ، فلما هَم المقتدر بالانتقال عن الدار قال بعضهم لبعض : لا نسلِّم الخلافة من غير ان نبلى عذراً ، ونجتهد في دفع ما أصابنا ، فاجمع رأيهم على أن يصعدوا في الماء إلى الدار التي فيها ابن المعتز بالحرم يقاتلونه ، فأخرج لهم المقتدر السلاح والزرديات وغير ذلك ، وركبوا في السميريات ، وأصعدوا في الماء ، فلما رآهم من عند ابن المعتز هالهُم كثرتهم واضطربوا ، وهربوا على وجوههم من قبل ان يصلوا إليهم ، وقال بعضهم لبعض : إن الحسين بن حمدان ، عرف ما يريد أن يجري فهرب من الليل ، وهذه مواطأة بينه وبين المقتدر . وهذا كان سبب هربه ، ولما رأى ابن المعتز ذلك ركب ، ومعه وزيره محمد بن داود وهربا وغلام له ينادي بين يديه ، يا معشر العامة ادعوا لخليفتكم السني البربهاري . وإنما نسب هذه النسبة ، لأن الحسين بن القاسم بن عبيد الله البربهاري كان مقدم الحنابلة والسنة من العامة ، ولهم فيه اعتقاد عظيم ، فأراد استمالتهم بهذا القول . ثم إن ابن المعتز ومن معه ساروا نحو الصحراء ظناً منهم أن من بايعه من الجند يتبعونه ، فلم يلحقه منهم أحد ، فكانوا عزموا أن يسيروا إلى سُر مَنْ رأى بمن يتبعهم من الجند فيشتدُ سلطانهم . فلما رأوا أنهم لم يأتِهم أحدٌ رجعوا عن ذلك الرأي ، واختفى محمد بن داود في دارِهِ ،ونزل ابن المعتز عن دابته ومعه غلامه يمن ، وانحدر إلى دار أبي عبد الله بن الجصاص فاستجار به ، واستتر اكثر من بايع ابن المعتز، ووقعت الفتنة ، والنهب والقتل ببغدادَ ، وثار العيَّارون والسفل ينهبون الدُورَ . وكان ابن عمرويه صاحب الشرطة مس بايع ابن المعتز ، فلما هرب جمع ابن عمرويه أصحابه ونادى بشعارِ المقتدر ، يدلس بذلك فناداه العامة يا مرائي ، يا

كذاب ، فهرب ، واستتر وتفرُّق أصحابه ، فهجاه يحمى بن علىّ بأبيات منها :

بايعوه فلم يكنْ عند الأزوك ... إلا التغييرِ والتخبيطِ
رافضيون بايعوا أنصبَ الأمة ... هذا لعمري التخليطِ
ثم ولى من زعقة ومحاموه ... ومن خلفهم لهم تضريطِ

وقلَّد المقتدرُ تلك الساعة الشرطة مؤنساً الخازن – وهو غير مؤنس الخادم –وخرج بالعسكر وقبضَ على وصيف بن صوارتكين وغيره فقتلهم . وتبضَ على القاضي أبي عمر وعلي بن عيسى . والقاضي محمد بن خلف وكيع ثم أطلقهم . وقبضَ على القاضي المثنى أحمد بن يعقوب ، فقتله لأنه قيل له بايع المقتدر فقال: لا ابايع صبئاً فذُبح . وأرسل المقتدر بر أبي الحسن بن الفرات ، وكان مختفياً ، فأحضره ، واستوزره وخلع عليه . وكان في هذه الحادثة عجائب . منها ان الناس كلهم أجمعوا على خلع المقتدر ، والبيعة لابن المعتز فلم يتم ذلك ، بل كان على العكس من إرادتهم ، وكان أمر الله مفعولا ، ومنها أق ابن حمدان على شدَّة تشيعه ، وميله إلى علىّ عليه السلام ، وأهل بيته يسعى في البيعة لابن المعتز ، على انحرافه عن علىّ ، وغلوّه في النصب إلى غير ذلك . ثم أنٌ خادماً لابن الجصاص ، يعرَفُ بسوسن ، أخبرَ صافياً الحرمي ، بأن ابن المعتز عند مولاه ، ومعه جماعة ، فكُبِسَتْ دارُ ابن الجصاص ، وأخِذَ ابن المعتز منها ،وحُبِسَ إلى الليل ، وعُصِرَتْ خصيتاه حتى مات . ولفّ في زلي وسلَم إلى أهله؛ وصُودِرَ ابن الجصاص على مال كثير . وأخذ محمد بن داود وزير ابن المعتز ، وكان مستتراً فقُتِلَ .

ونفي عليّ بن عيسى إلى واسط ، فأرسل إلى الوزير ابن الفرات يطلب منه ان

يأذن له في المسير إلى مكة ، فأذِنَ له في ذلك . فسار إليها على طريق البصرة ، وأقام بها . وصودر القاضي أبو عمر على مائة ألف دينار . وسُيِّرَت العساكرُ من بغداد ، في طلب الحسين بن حمدان ، فتبعوه إلى الموصل ثم إلى بلد فلم يظفروا به ، فعادوا إلى بغداد .

فكتب الوزير إلى أخيه أبي الهيجاء بن حمدان –وهو الأمير على الموصل –يأمره

بطلبه ، فسار إِليه إلى بلد ، ففارقها الحسين إلى سنجار وأخوه في أثره ، فدخل البرّية فتبعه أخوه عشرة ايام ، فأدركه فاقتتلوا ، فظفر أبو الهيجاء ، واسرَ بعض أصحابه ، واخذَ منه عشرة آلاف دينار ،

وعاد عنه إلى الموصل ثم انحدر إلى بغداد . فلما كان فوق تكريت أدركه أخوه الحسين فبيّته ، فقُتل منهم قتلى . وانحدر ابو الهيجاء إلى بغداد وأرسل الحسين إلى ابن الفرات وزير المقتدر يسأله الرضا عنه . فشفع فيه إلى المقتدر بالله ليرض عنه وعن ابراهيم بن كيغلغ ، وابن عمرويه صاحب الشرطة

وغيرهم فرضي عنهم . ودخل الحسين بغداد فرد عليه أخوه ما أخذ منه . واقام الحسين ببغدادَ إلى أن ولي قُم فسار إليها ، وأخذ الجرائد التي فيها أساء من أعان علن المقتدر فغرقها في دجلة ، لم وبَسَطَ ابن الفرات العدلَ والاحسان وأخرج الادرارات للعباسيين ، والطالبيين وأرضى القواد بالأموال ، ففرق معظم ما كان في بيوت الأموال .

ذكر حادثة ينبغي أنْ يحتاط من مثلها ويفعل فيها . مثل فعل صاحبها

كان سليمان بن الحسن بن مخلد متصلاً بابن الفرات ، وبينهما مودَة وصداقة ،

فوجد الوزير كتب البيعة لابن المعتز بخط سُليمان ،لاتصالٍ كان لمحمد بن داود بن الجراح وقرابة بينهما ، فلم يظهر عليها المقتدر ، وأخفاها عنه . وأحَسَنَ ابن الفرات إلى سُليمان ، وقلَّدَهُ الأعمال فسعى سليمان بابن الفرات إلى المقتدر ، وكتب بخطه مطالعة، تتضمن ذكر املاك الوزير ، وضياعه ، ومستغلاته ،وما يتعلق بأسبابه . وأخذ الرقعة ليوصلها إلى المقتدر ، فلم يتهيأ له ذلك ، وحضر دار الوزير وهي معه ، وسقطت من كمه فظفر بها بعض الكتاب فأوصلها إلى الوزير فلما قرأها قبض على سُليمان ، وجعله في زوق وأحدره إلى واسط ووُكل به هناك وصادره ، ثم أراد العفو. عنه . فكتب إِليه : " نظرتُ أعزك الله في حقكَ علف ، وجرمِكَ إليّ فرأيت الحق مُوفى على الجرم ، وتذكرتُ من سالف خدمتك ما عطفني عليك وثناني إِليك ، وأعادني لك إلى أفضل ما عهدت ، وأجمل ما ألفْتُ ، . وأطلق له عشرة آلاف درهم وعفا عنه واستعمله وأكومه .

ذكر ولاية أبي مضر افريقية
وهربه إلى العراق وما كان من أمره

في هذه السنة مستهل شهر رمضان ولّى أبو مضر زيادة الله بن أبي العباس بن عبدالله افريقية بعد قتل أبيه ، فانعكف على اللذات والشهوات وملازمة الندماء ، والمضحكين وأهمل أمور المملكة وأحوال الرعية . وأرسل كتاباً يوم ولّى إلى عمه الأحول على لسان أبيه يستعجله في القدوم عليه ، ويحثه على السرعةِ فسار مجداً ، ولم يعلم بقتل أبي العباس ،فلما وصل قتله ، وقتَل من قدر عليه من أعمامه

وأخوته ، واشتدتْ شوكةُ أبي عبدالله الشيعي في أيامه وقوي أمره ، وكان الأحول

قبالته ، فلما قُتِلَ صفتْ له البلاد ، ودانت له الأمصار ، والعباد .
فسيّر إليه زيادة الله جيشاً مع لم ابراهيمَ بن أبي الأغلب – وهو من بني عمه – بلغت عدَّتُهم أربعين ألفاً سوى من انضاف إليه ، فهزمه أبو. عبدالله الشيعي ح ، على ما نذكره آنفاً ، فلما اتصَل بزيادة الله خَبرَ الهزيمة، علم أنه لا مقام له لأن هذا الجمع هو آخر ما انتهت قدرته إليه ، فجمع ما عز عليه من أهل ومال وغير ذلك ، وعزم على الهرب إلى بلاد الشرق ، وأظهر للناس أنه قد جاء خبر هزيمة أبي عبدالله الشيعي . وأمر بإخراج رجال من الحبس فقتلهم . وأعلم خاصَّتَهُ حقيقة الحال ، وأمرَهم بالخروج معه ، فأشار عليه بعضِ أهل دولته بان لا لِفعل ولا يترك مًلكَهُ وقال له : "إنْ أبا عبد الله لا يجسر عليك ".
فشتمَه ورد عليه رأيه وقال : أحب الأشياء إليك أن يأخذني بيدي .
وانصرف كل واحد من خاصته ، وأهله يتجهز للمسير معه ، وأخذ ما أمكنه حمله . وكانت دولة آل الأغلب بإفريقية قد طالت . مدَّتُها وكَثُرَتْ عبيدُها وقوى سلطانها . وسارعن افريقية إلى مصرفي سنة ست وتسعين ومائتين ، واجتمع معه خلق عظيم فلم يزل سائراً حتى وصك طرابلس فدخلها فأقام بها تسعة عشر يوماً ورأى بها أبا العباس أخا أبي عبد الله الشيعي وكان محبوساً بالقيروان حبسه زيادة الله ، فهرب إلى طرابلس . فلما رآه احضرَهُ ، وقرَره ، هل هو أخو أبي عبد الله ؟ فأنكر وقال : أنا وسجل تاجر. قيل عني ، إنني أخو أبي عبد الله فحبستني ، .فقال له زيادة الله : أنا أطلقُكَ ، فإنْ كنت صادقاً في أنك تاجر ، فلا نأثم فيك وان كنت كاذباً وأنت أخو ابي عبدالله ، فليكن للصنيعة عبدك موضع . وتحفظنا فيمن خلفنا ، وأطلقه. وكان من كبار أهله وأَصحابه إبراهيم بن أبي الأغلب ، فأراد قتله ، وقتل رجل آخر كانا قد عرضا أنفسهما على .ولاية القيروان ، فَعَلِما ذلك وهربا إلى مصر ، وقَدِمَا على العامل بها – وهو عيسى النوَّشري – فتحدثا معه وسعيا بزيادة الله وقالا له؛ إنه يفني نفسه بولاية مصر ، فوقع ذلك في نفسه ، وأراد منعه من دخول مصر إلا بأمر الخليفة من بغدادَ ، فوصل زيادة الله ليلاً ، وعبر الجسر إلى الجيزة قهراً ، فلما رأى ذلك النوشري لم

يمكنه منعه ، فأنزله بدار ابن الجصاص ونزل اصحابه في مواضع كثيرة ، فأقام ثمانية أيام ورحل يريد بغداداً ، فهربَ عنه بعضُ أصحابه ، وفيهم غلام له ، وأخذ منه مائة الف دينار فأقام عند النوشري ، فأرسل النوشري إلى الخليفة – وهو المقتدر بالله – يعرفه حال زيادة الله ، وحاذ من تخلَّفَ عنه بمصر ، فأمره برد مَنْ تخنَف عنه إليه مع المال ، ففعل . وسار زيادة الله حتى بلغ الرقة وكتب إلى الوزير– وهو ابن الفرات – يسأله في

الاذن له لدخولِ بغداد ، فأمره بالتوقف ، فبقي على ذلك سنة فتفرقَ عنه أصحابه وهو مع هذا مدمن الخمر واستماع الملاهي . وسعى به إلى المقتدر . وقيل له : يردَهُ إلى المغرب يطلب بثأره . فكتب إليه بذلك ، وكتب إلى النوشري بانجاده بالرجال ، والعدد والأموال من مصر ليعود إلى المغرب ، فعاد إلى مصر فأمره النوشري بالخروج إلى ذات الحمام ليكون هناك إلى أن يجتمع إليه ما يحتاج إليه من الرجال والمال ، ففعل ، ومطله ، فطال مقامه وتتابعت به الأمراض . وقيل؛ بل سمه بعض غلمانه ، فسقط شعر لحيته ، فعاد إلى مصر ، وقصد البيت المقدس ، فتوفَي بالرملة ، ودُفِنَ بها ، فسبحان الحي الذي لا يموت ولا يزول ملكه . ولم يبقَ بالمغرب من بني الأغلب أحد . وكانت مدة مُلكِهِم مائة سنة واثنتي عشرة سنة . وكانوا يقولون : إننا نخرج إلى مصر ، والشام ، ونربط خيلنا في زيتون فلسطين فكان زيادة الله هو الخارج إلى فلسطين على هذه الحال لا على ما ظنُّوه .

ذكر ابتداء الدولة العلوية بإفريقية

هذه دولة اتسعت أكناف مملكتها وطالت مدتُها ، فإنها ملكت إفريقية هذه

السنَة ، وانقرضَتْ دولتهم بمصر سنة سبع وستين وخمسمائة ، فنحتاج أنْ نستقصي ذكرها فنقول : أول مَنْ وَليَ منهم أبو محمد عبيدالله ، فقيل : هو محمد بن عبدالله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم . ومن ينسب هذا النسب يجعله عبدالله بن ميمون القداح الذي ينسب اليه القداحية ،وقيل : هو عبدُ الله بن أحمد بن إسماعيل الثاني محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم . وقد اختلف العلماء في صحة نَسَبِهِ فقال هو وأصحابه القائلون بإمامَتِهِ : إنَ نسبَهُ صحيح على ما ذكرناه ، ولم يرتابوا فيه . وذهب كثير من العلويين العالمين بالأنساب إلى موافقتهم أيضاً ، ويشهد بصحة هذا القول ما قاله الشَّريف الرِّضي :

ما مُقامي على الهوانِ وعندي   مقولٌ صارم وانف حمي

ألبسَ الذلَ في بلاد الأعادي   وبمصرَ الخليفة العلوي

منَ أبوه أبي ، ومولاه مولاي   إذا ضامني البعيدُ القصي

لف عرقي بعرقه سيدُ الناسِ   جميعاً محمد وعلف

إنّ ذلي بذلك الجد عز   وأوامي بذلك الربع ري

وإنما لم يودعها في بعض ديوانه خوفاً ، ولا حجة بما كتبه في المحضر المتضمن القدح في أنسابهم ، فإن الخوف يحمل على أكثر من هذا ، على أنه قد وَرَدَ ما يصدق ما ذكرته ، وهو أنّ القادر بالله ، لما بلغته هذه الأبيات أحضر القاضي أبا بكر بن الباقلاني ، فأرسله إلى الشِّريف أبي أحمد الموسوي والد الشريف الرِّضي يقول له : تد عرفْتُ منزلتك منا ومالاً نزال عليه من الاعتداد بك بصدق الموالاة منك وما تقدَّم لك في الدولة من مواقف محمودة ، ولا يجوز أن تكون أنت على خليفة ترضاه ، ويكون ولدك على ما يضادها ، وقد بلغنا أنه قال شعراً وهو كذا وكذا . فياليت شعري على أي مقام ذل أقام ، وهو ناظر في النقابة والحجّ وهما من أشرف الأعمال ولو كان بمصر لكان كبعض الرعايا ، وأطال القول فحلف أبو أحمد أنه ما علم بذلك ، وأحضر ولده وقال له في المعنى فأنكر الشعر فقال له : أكتُبْ خَطَّكَ إلى الخليفة بالاعتذار ، واذَكرْ فيه ، أنّ نسبَ المصري مدخول وأنه مدع في نسبِهِ ، فقال : لا أفعل فقال أبوه : 3 تُكذِّبني في قولي ؟ فقال : ما أكذُبكَ ، ولكنَيً أخاف من الدَّيلم ، وأخاف من المصري من الدعاة في البلاد فقال أبوه : أتخاف ممن هو بعيد عنك ، وتراقبه ، وتسخط من هو قريب ، وانت بمرأى منه وٍ مسمع ، وهو قادر عليك وعلى أهل بيتك ؟ وتردّد القول بينهما ، ولم يكتب الرضى خطه فجَرِدَ عليه أبوه وغضب وحلف أنه لا يقيم معه في بلد . فآل الأمر إلى ان حلف الرضى أنه ما قال هذا الشعر ، واندرجت القصة على هذا.

ففي امتناع الرضي من الأعتذار ومن ان يكتب طعناً في نسبهم مع الخوف دليل قوي على صحة نسبهم ، وسألت أنا جماعة من أعيان العلويين في نسبه فلم يرتابوا في صحته ، وذهب غيرهم إلى أن نسبه مدخول ليس بصحيح . وعدا طائفة منهم إلى أن جعلوا نسبه يهودياً .

وقد كتب في الأيام القادرية محضر ، يتضمن القدح في نسبه ونسب أولاده ، وكتب فيه جماعة من العلويين وغيرهم ، أن نسبه إلى أمير المؤمنين علي غيرُ صحيحٍ ، فمن كَتب فيه من العلويين المرتضى ،

وأخوه الرضي ، وابن البطحاوي وابن الأزرق العلويين ، ومن غيرهم ابن الأكفاني وابن الخرزي ، وأبو العباس الأبيوردي ، وأبو حامد ، والكشفلي ، والقدُوري ، والصيمري ، وأبو الفضل النسوي ، وأبو جعفر

النسفي ، وأبو عبدالله بن النعمان فقيه الشيعة . وزعم القائلون بصحة نسبه ، ان العلماء ممن كتب في المحضر ، إنما كتبوا خوفاً وتقية ومن لا علم عنده بالأنساب ، فلا – احتجاج بقوله ، وزعم الأمير عبد العزيز صاحب تاريخ إفريقية والمغرب ، إن نسبه معروف في اليهودية ، ونقل فيه عن جماعة من العلماء .

وقد استقصى ذكر إبتداء دولتهم وبالغ ، وأنا اذكر معنى ما قاله مع البراءة من

عهدة طعنة في نسبه وما عداه فقد أحسن فيما ذكر قال : لما بعث الله تعالى سيد الأولين والآخرين محمداً صلى الله عليه وسلم عظم ذلك على اليهود ، والنصارى ، والروم ، والفرص ، وقريش ، وسائر العرب لأنه سفَه أحلامهم ، وعاب أديانهم وآلهتهم ، وفرّق جمعهم ، فاجتمعوا يداً واحدة عليه ، فكفاه الله كَيدَهُم ، ونصره عليهم ، فأسلم منهم من هداه الله تعالى . فلما قبض صلى الله عليه وسلم نجم النِّفاق ، وارتدَت العربُ وظنُّوا أنّ الصحابة يضفون بعده . فجاهد أبو بكر رضي الله عنه في سبيل الله فقتل مسيلمة . وردّ الردة ، وأذل الكفرَ ، ووطأ جزيرةَ العرب وغزا فارس ، والروم ، فلما حضرته الوفاة ظنوا أن بوفاته ينتقصُ الاسلام . فاستخلف عمر بن الخطاب فأذلّ فارسَ ، والروم ، وغلب على ممالكها ، فدسَّ عليه المنافقون أبا لؤلؤة فقتله ، ظنّاً منهم أن بقتله ينطفىء نور الاسلام ، فولي بعده عثمان ، فزاد في الفتوح ، واتَّسعت مملكة الاسلام ، فلما قتل وولي بعده أمير المؤمنين عليّ قام بالأمر أحسن قيام . فلما يئِسَ أعداء الإِسلام من استئصاله بالقوَّة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة ، وتشكيك ضعفة العقول في دينهم بأمور ، قد ضبطها المحدثون ، وأفسدوا الصحيح بالتأويل ، والطعن عليه ، فكان أول من فعل ذلك أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد. وأبو شاكر ميمون بن ديصان ، صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة . وغيرهما . فالقوا إلى من وثقوا به . ان لكل شيء من العبادات باطناً ، وان الله تعالى لم يوجب على أوليائِهِ ، ومن عرف من الأئمة ، والأبواب صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ولا

حرم عليهم شيئاً ، وأباحوا لهم نكاح الأمهات ، والأخوات . وإنما هذه لم قيود للعامة ساقطة عن الخاصة ، وكانوا يظهرون التشيع لأل النبي صلى الله عليه وسلم ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة . وتفرَّق أصحابهم في البلاد ، وأظهروا الزهدَ والعبادةَ يغرون الناس بذلك ، وهم على خلافه . فقتِلَ أبو الخطاب وجماعة من أصحابه بالكوفة . وكان اصحابه قالوا له : إنا نخاف الجند ، فقال لهم : إن أسلحتهم لا تعمل فيكم ، فلما ابتدأوا في ضرب اعناقهم ، قال له اصحابه : ألم

تقل : إن سيوفَهم لا تعمل فينا؟ فقال : إذا كان قد أراد الله فما حيلتي ، وتفرقت هذه الطائفة في البلاد وتعلموا الشعبذة . والنار نجيات ، والزور ، والنجوم ، والكيمياء فهم يحتالون على كل قوم بما ينفق عليهم وعلى العامة باظهار الزهد .

ونشأ لابن ديصان ابنٌ يقال له : عبدالله القداح ، علمه الحِيَل ، وأطلعه على أسرار هذه النحلة فحذق وتقدم . وكان بنواحي كَرَخ ، واصبهان رجل يُعرَف بمحمد بن الحسين ، ويلقب بدندان ، يتولى تلك المواضع ، وله نيابة عظيمة ، وكان يبغض العرب ويجمع مساويهم ، فسار إليه القداح ، وعرفه من ذلك . ما زاد به محله ، واشار عليه أن لا يظهر ما في نفسه ، إنما يكتمه ، ويظهر التشيع والطَّعْنَ على الصحابة ، فإن الطعن فيهم طعن في الشريعة ، فإن بطريقهم وصلت إلي من بعدهم ، فاستحسن قوله وأعطاه مالاً عظيماً ينفقه على الدُّعاة إلى هذا المذهب ، فسيرهُ إلى كور الأهواز والبصرة والكوفة وطالقان وخراسان وسلمية من ارض حمص ، وفرقه في دعاته وتوفى القداح ، ودندان ، وإنما لقب القداح لأنه كان يعالج العيون ويقدحها . فلما توفّي القدّاح قام بعده ابنه أحمد مقامه ، وصحبه إنسان يقال له : رستم بن الحسين بن حوشب بن دادان النجار من أهل الكوفة، فكانا يقصدان المشاهد .

وكان باليمن رجل اسمه محمد بن الفضل كثير المال والعشيرة من أهل الجند يتشيع فجاء إلى مشهد الحسين بن علىّ يزوره فراه أحمد ، ورستم يبكي كثيراً . فلما خرج اجتمع به احمد وطَمِعَ فيه ، لما رأى من بكائه ، وألقى إليه مذهبه فقَبِلَه ، وسير معه النَّجار إلى اليمن ، وأمره بلزوم العبادة والزهد ودعاء الناس إلى المهدي ، وأنه خارج في هذا الزمان باليمن ، فسار النَّجار إلى اليمن ونزل بِعَدَنَ بقرب قوم من الشيعة يُعرَفُون ببني موسى ، وأخذ في بيع ما معه . وأتاه بنو موسى ، وقالوا له : فيمَ جئْتَ ؟ فقال : للتجارة قالوا : لسْتَ بتاجر ، وإنما أنتَ رسول المهدي ، وقد بلغنا خبرك ، ونحنُ بنو موسى ، ولعلك قد سمعت بنا ، فانبسطْ ولا تحتشم ، فإنا أخوانك ، فاظهر أمره وقوى عزائمهم

وقرب أمر المهدي ، فامرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح ، وأخبرهم أن هذا أوان ظهور المهدي ومن عندهم . يظهر. واتصلَتْ أخبارُه بالشيعة الذين بالعراق ، فساروا اليه فكثر جمعهم ، وعَظُمَ بأسُهُم ، وأغاروا علق من جاورهم وسبوا وجبرا الأموال ، وأرسل إلى من بالكوفة.من ولد عبدالله القداح هدايا عظيمة .

وكانوا أنفذوا إلى المغرب رجلين أحدهما يعرف بالحلواني والآخر يعَرفُ بأبي سفيان ، وقالوا لهما : إن المغرب ارض بور فاذهبا فاحرصا حتى يجيء صاحب البذر.

فسارا فنزل أحدهما بأرض كُتامة ببلد يسمَّى مرمجنة(١) والآخر بسوق حمار . فمالت قلوب أهل تلك النواحي إليهما ، وحملوا إليهما الأموال والتُّحفِ ، فأقاما سنين كثيرة ، وماتا وكان أحدهما قريب الوفاة من الآخر .

ذكر ارسال ابي عبدالله الشيعي إلى المغرب

كان أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي من أهل صنعاء . وقد سار إلى ابن حوشب النجار وصَحبِهِ بِعَدَن ، وصار من كبار أصحابه ، وكان له علمٌ وفهم ودهاء ومكر. فلما أتى خبر وفاة الحلواني وأبي صفيان إلى ابن حوشب قال
لأبي عبدالله الشيعي : " إن ارضَ كُتامةَ من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان ،
قد ماتا وليس لها غيرك ، فبادرْ فإنها موطأة ممهدةٌ لك ، ، فخرج أبو عبدالله إلى مكة
وأعطاه ابن حوشب مالاً ، وسيّر معه عبث الله بن أبي ملاحف . فلما قَدِمَ ابو عبدالله مكة سأل عن حجاج كتامة فأرشدَ إليهم ، فاجتمع بهم ، ولم يعرفَهم قصدَه ، وجلس قريباً منهم . فسمعهم يتحدثون بفضائل أهل البيت ، فأظهر استحسان ذلك ، وحدَّثهم بما
لم يعلموه. فلما أراد القيام سألوه أن يأذن لهم في زيارته والانبساط معه فأذِنَ لهم في
ذلك ، فسألوه : أين مقصدَك ؟ فقال : أريدُ مصر ففرحوا بصحبته . وكان من رؤساء الكتاميين بمكة رجل اسمه حُرَيث الجميلي ، وآخر اسمه موسى بن مكاد، فرحلوا وهولا يخبرهم بغرضِهِ ، وأظهر لهم العبادة والزهد ، فازدادوا فيه رغبة وخدموه ، وكان يسألهم عن بلادِهم وقبائلهم وعن طاعتهم لسلطان افريقية فقالوا : ماله علينا طاعة وبيننا وبينه عشرة أيام . قال : أفتحملون السلاح ؟ قالوا : هو شغلنا . ولم

يزل يتعرَّفُ أحوالهم حتى وصلوا إلى مصر ، فلما أراد وداعهم قالوا له : أي شيء تطلب بمصرَ؟ قال : اطلب التعليم بها . قالوا : اذا كنت تقصد هذا ، فبلادنا أنفع لك ، ونحن أعرف

بحقك ، ولم يزالوا به حتى أجابهم إلى المسير معهم بعد الخضوع والسؤال فسار

معهم . فلما قاربوا بلادهم لقِيَهُم رجال من الشيعة فأخبروهم بخبره فرغبوا في نزوله

(1) في معجم البلدان "مَرماجَنْة : قرية بافريقية لهوارة قبيلة من البربر.

عندهم ، واقترعوا فيمن يضيفه منهم ، ثم رحلوا حتى وصلوا إلى أرض كتامة منتصف شهر ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين ، فسأله قوم منهم أن ينزل عندهم حتى يقاتلوا دونه . فقال لهم : أين يكون فخ الأخيار ؟ فتعجبوا من ذلك ولم يكونوا ذكروه له. فقالوا : عند بني سِليان فقال : إليه نقصد ثم نأتي كل قوم منكم في ديارهم ونزورهم في بيوتهم ، فأرضى بذلك الجميع . وسار إلى جبل يقال له : انكجان وفيه فجُّ الأخيار فقال : هذا فجُّ الأخيار وما سمي إلا بكُم ، ولقد جاء في الآثار . أن للمهدي هجرة تنبو عن الأوطان ينصره فيها الأخيار من أهَل ذلك الزمان ، قوم مشتق اسمهم من الكتمان ، فإنهم كُتامة وبخروجكم من هذا الفجِّ يسمى فجّ الأخيار . فتسامعت القبائلَ وصنع من الحيل والمكيدات والنارنجيات ما أذهل عقولهم . وأتاه البربر من كل مكان وعَظمَ أمره إلى أن تقَاتلت كتامةُ عليه مع قبائل البربر ، وسَلِمَ من القتل مراراً وهو في كل ذلك لا يذكو اسم المهدي ، فاجتمع أهل العلم على مناظرته ، وقتَله فلم يتركه الكتاميون يناظرهم . وكان اسمه عندهم أبا عبدالله المشرقي . وبلغ خبره إلى ابراهيمَ بن أحمد بن الأغلب أمير افريقية ، فأرسل إلى عامله على مدينة ميلة يسأله عن أمره فصغره وذكر له أنه يلبس الخشن ، ويأمر بالخير والعبادة فسكت عنه . ثم انه قال للكُتاميين : أنا صاحب البدر الذي ذكر لكم أبو سفيان ، والحلواني فازدادت محبتهم له وتعظيمهم لأمره . وتفرقت كلمة البربر ، وكتامة بسببه فأراد بعضهم قتله فاختفى ووقع بينهم قتال شديد ، واتصل الخبر بإنسان اسمه الحسن بن هارون – وهو من أكابر كتامة – فأخذ أبا عبدالله إليه ودافع عنه . ومضيا إلى مدينة ناصرون فأتته القبائل من كل مكان وعظم شأنه ، وصارت الرياسة للحسن بن هارون وسلم إليه أبو عبدالله أعنة الخيل ، وظهر من الاستتار وشهر الحروب فكان الظفر له فيها وغنم الأموال . وانتقل إلى مدينة ناصرون وخندق عليها فزحفت قبائل البربر ، إليها فاقتتلوا ، ثم اصطلحوا ، ثم اعادوا القتال . وكان بينهم وقائع كثيرة ظفر بهم وصارتَ إليه أموالهم ، فاستقامَ له أمر البربر وعامة كُتامة .

ذكر ملكه مدينة ميلة وانهزامه

فلما تمَّ لأبي عبدالله ذلك زحف إلى مدينة ميلة فجاءه منها رجل اسمه الحسن بن أحمد ، فأطلعه على غرة البلد فقاتل أهله قتالاً شديداً ، وأخذ الأرباض ، فطلبوا منه

الأمان ، ودخل مدينة ميلة ، وبلغ الخبر أمير أفريقية – وهو حينئذ إبراهيم بن أحمد – فنفذ ولده الأحول في اثني عشر الفاً ، وتبعه مثلهم ، فالتقيا فاقتتل العسكران ، فانهزم أبو عبدالله ، وكثر القتل في أصحابه وتبعه الأحول ،وسقط ثلج عظيم حال بينهم .

وسار أبو عبدالله إلى جبل إنكجان ، فوصل الأحوال إلى مدينة ناصرون ،

فاحرقها وأحرق مدينة ميلة ولم يجد بها أحداً . وبنى أبو عبدالله بانكجان دار هجرة ، فقصده أصحابه . وعاد الأحول إلى أفريقية ، فسار أبو عبدالله بعد رحيلهم فغَنِمَ ما رأى مما تخلَّف عنهم ، وأتاه خبر وفاة ابراهيم فسرّ به . ثم أتاه خبر قتل أبي العبّاس وولده وولاية زيادة الله ، واشتغاله باللهو واللّعب ، فاشتد سروره . وكان الأحول قد جمعٍ جيشاً كثيراً أيام أخيه أبي العباس ولقي أبا عبدالله ، فانهزم الأحول ، وبقي الأحول قريبا منه يقاتله ويمنعه من التقدم .

فلما ولي أبو مضر زيادةَ الله أفريقية ، أحضر الأحول وقَتَلَهُ كما ذكرناه ، ولم يكن

أحولاً وإنما كان يكسر عينه ، إذا أدام النظرَ فلقبَ به ، فلما قتِلَ انتشرت حينئذ جيوش أبي عبدالله في البلاد ، وصار أبو عبدالله يقول : المهدي يخرجُ في هذه الأيام ويملك الأرض . فيا طوبى لمن هاجر إلف وأطاعني . ويغري الناس بأي مضر ويعيبه . وكان كل من عند زيادة الله من الوزراء فلا يسوءهم أن يظفر أبو عبدالله لاسيّما مع ما كان يذكرُ لهم من الكرامات التي للمهدي من احياء الموتى ، ورد الشمس من مغربها ، وملكهِ الأرض ، بأسرها . وأبو عبدالله يرسل اليهم ويسحرهم ، ويعدهم .

ذكر سبب اتّصال المهدي عبيد الله بابي عبدالله الشيعي ، ومسيره إلى سِجِلْماسة(1)

لما توفق عبدالله بن ميمون القداح ،ادعى ولده انهم من ولد عقيل بن أبي

طالب ، وهم مع هذا يسترون ويسرون أمرهم ويخفون اشخاصهم . وكان ولدُه أحمد هو المشارُ إليه منهم ، فتوفي وخلَفَ ولده محمداً . وكان هو الذي يكاتبه الدعاةُ في البلاد. وتوفيً محمد وخلَّفَ احمد والحسين . فسار الحسين إلى سلمية من ارض

(ا) مدينة في جنوب المغرب

حمص وله بها ودائع وأموال من ودائع جذه عبدالله القداح ، ووكلاء وغلمان ، وبقي ببغداد من أولاد القداح أبو الشلغلغ .

وكان الحسين يدعي أنه الوصي ، وصاحب الأمر والدعاة باليمن . والمغرب ، يكاتبونه ويراسلونه ، واتفق أنه جرى بحضرته حديث النساء بسلمية، فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد مات عنها زوجها – وير في غاية الحسن – فتزوجها ولها ولد من الحداد ، يماثلها في الجمال ، فأحبها وحسَّن موقعها معه ، وأحمتَ ولدها وأدبه ، وعلَّمه ، فتعلم العلم وصارت له نفس عظيمة ، وهمة كبيرة . فمن العلماء من اهل هذه الدعوة من يقول : إن الامام الذي كان بسلمية –وهو الحسين – مات ولم يكن له ولد فعَهِدَ إلى ابن اليهودي الحداد – وهو عبيدالله – وعرفَهُ اسرارَ الدعوة من قولٍ وفعلٍ ، وأين الدعاة ، وأعطاه الأموال بى العلامات . وتقدُّم إلى أصحابه بطاعته ، وخدمته ، وأنه الامام والوصي . وزوجه ابنة عمه أبي الشلغلغ ، وهذا قول أبي القاسم الأبيض العلوي وغيره . وجعل لنفسه نسباً وهو عبيدُ الله بن الحسين بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن علىّ بن أبي طالب ، وبعض الناس يقولون –وهم قليل – أن عبيدَ الله هذا من ولد القداح . وهذه الأقوال فيها ما فيها . فياليت شعري ما الذي حمل أبا عبدالله الشيعي وغيره ممن قام في إظهار هذه الدعوة ، حتى يخرجوا هذا الأمر من أنفسهم ، ويسلَّموه إلى ولد يهودي ؟ وهل يسامح نفسه بهذا الأمر من يعتقده ديناً يثابُ عليه ؟ قال : فلقَا عَهِدِ الحسين إلى عبيدالله قال له : إنك ستهاجر بعدي هجرة بعيدة ، وتلقى محناً شديدة . فتوفّي الحُسين ، وقام بعده عبيدَ الله ، وانتشرت دعوته وبذلَ الأموال خلاف ما تقدم . وأرسل إِليه أبو عبدِ الله رجالاً من كُتامة من المغرب ، ليخبروه بما فتح الله عليه ، وأنهم ينتظرونه . وشاع خبره عند الناس أيامَ المكتفي ، فطلب ، فهرب هو وولده أبو القاسم نزار ، الذي وُلي بعده ، وتلقب بالقائم – وهو يومئذ غلام – وخرج معه خاصته ، ومواليه يريد المغرب ، وذلك أيام زيادة الله . فلما انتهى إلى مصر ، أقام مستتراً بزيِّ التجارِ .

كان عامل مصر حينئذ عيسى النوشري فأتته الكتب من الخليفة بصفته وحليته وأمر بالقبض عليه ، وعلى كلٍ من يشبهه . وكان بعضُ خاصةِ عيسى متشيعاً بالانصراف ، فخرج من مصر مع اصحابه ، ومعه أموال ،كثيرة فأوسع النفقة على صحبه فأخبر المهديِّ وأشار

عليه فلما وصل الكتابُ إلى النوشري ، فرًق الرُّسُلَ في طلب المهدي ، وخرج بنفسه ، فلحِقَهُ فلما رآه لم يشكّ فيه ، فقبض عليه ، ونزل ببستان ووكل به فلما حضر الطعامِ دعاه ليأكلَ ، فأعلمه أنه صائم فرَّق له وقال له : أعلمني بحقيقة حالِكَ حتى أطلقك ، فخوّفهُ بالله تعالى ، وانكر حالَهُ ولم يزلْ يخوّفَهُ ويتلطفُه ، فأطلقَهُ ، وخلى سبيله . وأراد أن يرسل معه من يوصله إلى رفقته فقال : لا حاجة لي في ذلك ، ودعا له ، وقيل : أنه أعطاه في الباطن مالاً حتى أطلقه ، فرجع بعض أصحاب النوشري عليه باللوم ، فنَدِمَ على إطلاقه ، وأراد إرسال الجيش وراءه ليردوه .

وكان المهدي لما لَحِقَ أصحابه رأى ابنه أبا القاسم ، قد ضيًع كلباً كان له يصيد به – وهو يبكي عليه – فعرّفه عبيده انهم تركوه في البستان الذي كانوا فيه . فرجع المهدي بسبب الكلب حتى دخل البستان ومعه عبيده ، فرآهم النوشري ، فسأل عنها فقيل : إنه فلان . وقد عاد بسبب كذا وكذا . فقال النوشري لاصحابه : قبحكُم الله اردتم أن تحملوني على قتل هذا حتى آخذه ، فلو كان يطلب ما يقال أو كان مريباً لكان يطوي المراحل ، ويخفي نفسه ، ولا كان رجع في طلب كلب ، وتركه .

وجدَّ المهديُّ في الهرب ، فلحِقَه لصوصٌ بموضع – يقال له : الطاحونة – فأخذوا في متاعه. وكانت عنده كتب وملاحم لآبائه ، فأخِذَت ، فعظم أمرها عليه فيُقالُ : إنه لما خرج ابنه أبو القاسم في المرة الأولى إلى الديار المصرية ، أخذها من ذلك المكان وانتهى المهديُّ وولده إلى مدينة طرابلس . وتفرَّقَ مِنْ صحبه من التجار . وكان في صحبتِهِ أبو العبّاس ، أخو أبي عبد الله الشيعي ، فقدمه المهدي إلى القيروان ببعض ما معه ، وأمره أن يلحق بكتامة . فلما وصل أبو العباس إلى القيروان ، وجد الخبر قد سبقه إلى زيادة الله بخبر المهدي فسأل عنه رفقته ، فأخبروا أنه تخلف بطرابلس ، وأن صاحبه أبا العباس بالقيروان ، فأخذ أبو العباس ، وقرر، فأنكر وقال : "

إنما أنا رجل تاجر صحبْت رجلاً في القفل فحبسه " وسمع المهديّ ، فسار إلى قسطيلة .

ووصل كتاب زيادة الله إلى عامل طرابلس بأخذه ، وكان المهدي قد أهدى له واجتمع به ، فكتب العامل يخبره أنه قد سار ولم يدركْهُ . فلما وصل المهديُّ إِلى قسطيلة، ترك قصد أبي عبد الله الشيعي ، لأن أخاه أبا العباس كان قد اخذَ. فعلم أنه إذا قصد أخاه تحققوا الأمر ، وقتلوه ، فتركه وسار إلى سَجِلْماسة . ولما سار من قسطيلة

وصل الرُّسلُ في طلبه ، فلم يوجدْ ووصل إلى سِجِلْماسة ، فأقام بها، وفي كل ذلك عليه العيون في طريقه .

وكان صاحب سُجلماسة ، رجلاً يسقى اليسع بن مدرار، فأهدى له المهدي وواصله ، فقرّبهُ اليسعُ وأحبه – فأتاه كتاب زيادة الله يعرفَهُ أنه الرجل الذي يدعو إليه أبو عبد الله الشيعي ، فقبض عليه وحبسه . فلم يزلْ محبوساً حتى أخرجه أبو عبد الله الشيعي ، على ما نذكره .

ذكر استيلاء أبي عبد الله على أفريقية ، وهَرَبْ زيادة الله أميرها

قد ذكرنا من حال أبي عبد الله ما تقدم . ثم ان زيادة الله لما رأى استيلاء أبي

عبد الله على البلاد، وأنه قد فتح مدينة ميلة . ومدينة سطيف وغيرهما . أخذ في جمع العساكر ، وبذل الأموال . فاجتمعت إليه عساكر عظيمة . فقدِمَ عليهم إبراهيم بن خنيش –وهو من أقاربه –وكان لا يعرفُ الحربَ فبلغت عدَّة جيشه أربعين ألفاً وسَلم إليه الأموال والعدد . ولم يترك بأفريقية شجاعاً إلّا أخرجه معه . وسار إليه فانضاف إليه مثل جيشه .

فلما وصل قسطينة الهواء –وهي مدينة قديمة حصينة –نَزِلَ بها وأتاه كثير من كتامة الذين لم يطيعوا أبا عبد الله ، فَقَتَل في طريقه كثيراً من أصحاب أبي عبد الله . وخاف أبو عبد الله منه وجميع كُتامة . وأقام بقسطينة ستة أشهر، وأبو عبد الله متحصن في الجبل . فلما رأى إبراهيمُ أبا عبد الله لا يتقدم إليه ، بادر وزحف بالعساكر المجتمعة إلى بلدٍ اسمه كومة ، فأخرج إليه أبو عبد الله خيلاً اختارها ليختبرَ نزوله ، فوافاها بالموضع المذكور . فلما رأى إبراهيم الخيل قصد إليها بنفسه ولم يصحبه إليها احد من جيشه . وكانت اثقال العسكر على ظهور الدواب لم تحط ، ونشبت الحرب ، واقتتلوا قتالا شديداً ، واتصل الخبر بأبي عبد الله ، فزحف بالعساكر، فوقعت الهزيمة على إبراهيم ومن معه ، فجرح وعقر فرسه ، وتمت الهزيمة على الجيش جميعه ، وأسلموا الأثقال بأسرِها ، فغنمها أبو عبد الله وقتل منهم خلقاً كثيراً .

وتم أمر ابراهيم إلى القيروان ، فشاشت بلاد أفريقية وعظم أمر أبي عبد الله ،

واستقرتْ دولته ، وكتب أبو عبد الله كتاباً إلى المهدئ – وهو في سجن سُجلماسة – يبَشرهُ ، وسير الكتَاب مع بعض ثقاته ، فدخل السجن في زفي قصَّاب يبيع اللحمَ ، فاجتمع به وعرفَهُ ذلك ً.

وسار أبو عبد الله إلى مدينة طبنة فحصرها، ونصب عليها الدبابات ، ونقب برجاً

وبدنة فسقط السور بعد قتال شديد، ومَلَكَ البلد . فاحتمى المقدمون بحصن البلد، فحصرهم فطلبوا الأمان فأمّنَهُم وأمًنَ أهل البلد .

وسار إلى مدينة بلزمة ، وكان قد حصرها مراراً كثيرة فلم يظفرْ بها، فلما حصرها الآن ضيق عليها ، وجدَ في القتال ، ونصب عليها الدبابات، ورماها بالنار، فأحرقها وفتحتها بالسيف ، وقتل الرجال وهدم الاسوار . واتصلت الأخبار بزيادة الله فعظَم عليه ، وأخذ في الجمع والحشد . فجمع عسكراً عدتهم اثنا عشر ألفاً ، وأمر عليها هارون بن الطبني . فسار واجتمع معه خلق كثير وقصد مدينة دار ملوك ، وكان اهلها قد اطاعوا أبا عبد الله ، فقتل هارون أهلها وهدم الحصن . ولقيه في طريقه خيل لأبي عبد الله كان قد أرسلها ليختبروا عسكره ، فلما رآها العسكر اضطربوا ، وصاحوا صيحة عظيمة ، وهربوا من غير قتالٍ فظنّ أصحاب أبي عبد الله أنها مكيدة. فلما ظهر أنها هزيمة استدركوا الأمر، ووضعوا السَّيفَ فما يحصى من قتلوا. وقتل هارون أمير العسكر . وفتح ،أبو عبد الله مدينة تيجس صلحاً ، فأشتدَّ الأمر حينئذ على زيادة الله وأخرج الأموال وجيش الجيوش ، وخرج بنفسه إلى محاربة أبي عبد الله ، فوصل إلى الأربس (1) في سنة خمس وتسعين ومائتين . فقال له وجوه دولته ، إنك تغرِّرُ بنفسك فإن يكن عليك لا يبقى لنا ملجأ، والرأي أن ترجع إلى مستقر مُلكِكَ ، وترسلَ الجيش مع من تثق إلية، فإن كان الفتح لنا فنصل إليك ، وان كان غير ذلك فتكون ملجأ لنا ، ورجع ففعل ذلك وسيَّر الجيش ، وقدم عليه رجلاً من بني عمه يقال له: إبراهيم بن أبي الأغلب ، وكان شجاعاً، وبلغ أبا عبد الله الخبر، وكان أهل باغاية(2) قد كاتبوه بالطاعة ، فسار إليهم ، فلما قَرُب منها هرب

عاملها إلى الأربس ، فدخلها أبو عبد الله ، وترك بها جنداً وعاد إلى إنْكِجَان (3) . ووصل الخبر

(1) الأربس : بالضم ثم السكون والضم : مدينة وكورة بإفريقية .

(2)بَاغاية : مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجانة وقسنطينية .

(3) انكجان : ناحية بالمغرب من بلاد البربر.

إلى زيادة الله فزاده غماً وحزناً فقال له انسان كان يضحكه : " يا مولانا لقد عملت شعراً ، فعسى تجعل من يلحنه ، وتشرب عليه ، وأتركْ هذا الحزن ". فقال : ما هو؟ فقال المضحك للمغنين : غنوا شعر كذا وقولوا بعد فراغ كل بيت :

اشربْ واسقينا   من القرنِ يكفينا

فلما غنؤا، طَرِبَ زيادة الله وشَرِبَ وانهمك في الأكل والشُّربِ والشهوات . فلما

رأى ذلك أصحابه ساعدوه على مرادِهِ . ثم إنّ أبا عبد الله أخرج خيلاً إلى مدينة مجانة فافتتحها عنوةً وقتل عاملها وسيَّر عسكراً آخر إلى مدينة تيفاش ، فملكها وأمًن اهلها. وقصد جماعة من رؤساء القبائل أبا عبد الله يطلبون منه الأمان فأمَّنهم ، وسار بنفسه إلى مسكيانة ثم إلى تَبِسَّة(١) ثم إلى مدبرةٍ ، فوجد فيها أهل قصر الأفريقي ، ومدينة مرمجنة ، ومدينة مجانة واخلاطاً من الناس قد التجؤوا إليها وتحصنوا فيها – وهي حصينة – فنزل عليها وقاتلها ، فأصابه علة الحصى، وكانت تعتاده ، فشغل بنفسه ، وطلب أهلها الأمان فأفَنهم بعض أهل العسكر ، ففتحوا الحصن ، فدخلها العسكر ووضعوا السيف وانتهبوا.

وبلغ ذلك أبا عبد الله فعظم عليه . ورحل ، فنزل على القصرين من قمودة وطلب

أهلها الأمان فأفنهم . وبلغ ابراهيم بن أبي الأغلب أمير الجيش الذي سيّره زيادة الله ، أن أبا عبد الله يريدُ أن يقصِدَ زيادة الله برقادة، ولم يكن مع زيادة الله كبير عسكر، فخرج من الأربس ونزل دردمين . وسير أبو عبد الله سريةً إلى دردمين ، فجرى بينهما وبين اصحاب زيادة الله قتال فقتل من أصحاب أبي عبد الله جماعة وانهزم الباقون . واستبطأ أبو عبد الله خبرهم فسار في جميع عساكره ، فلقي أصحابه منهزمين ، فلما رأوه قوَيت قلوبُهم ، ورجعوا وكروا على أصحاب إبراهيم ، وقتلوا منهم جماعة ، وحجز الليل بينهم . ثم سار أبو عبد الله إلى قسطيلة، فحصرها فقاتله أهلها ثم طلبوا الأمان فأفنهم ، وأخذ ما

كان لزيادة الله فيها من الأموال والعدد، ورحل إلى قفصة فطلب أهلها الأمان فأضنهم . ورجع إلى باغاية، فترك بها جيشاً وعاد إلى جبل إنكجان . فسار إبراهيم بن أبي الأغلب في جيشه إلى باغاية، وحصرها . فبلغ الخبر أبا عبد الله ، فجمع

(ا)تَبسة : بالفتح ثم الكسر وتشديد السين ، بلد مشهور من أرض افريقية ، بينه وبين قفصة ست مراحل .

عسكره ،وسار مجدُّا إليها ووجَه اثني عشر الف فارس ، وأمر مقدمهم أن يسير إلى باغاية، فإن كان ابراهيم قد رحل عنها فلا يجاوز فج العرعار . فمضى الجيشُ ، وكان أصحاب أبي عبد الله الذين في باغاية قد قاتلوا عسكر إبراهيم قتالاً شديدأ، فلما رأى صبرهم عَجِبَ ، هو وأصحابه منهم فأرعب ذلك قلوبهم . ثم بلغهم قرب العسكر منهم فعاد ابراهيم بعساكره ، فوصل عسكر أبي عبد الله فلم يَرَوا أحداً فنهبوا ما وجدوا وعادوا ، ورجع ابراهيم إِلى الأربس .

ولما دخل فصل الربيع وطاب الزمان جمع أبو عبد الله عساكره فبلغت مائتي ألف فارس وراجل واجتمع من عساكر زيادة الله بالأربس ، مع إبراهيم ما لا يحصى ، وسار أبو عبد الله أول جمادى الآخرة سنة ست ولسعين ومائتين فالتقوا ، واقتتلوا أشدً قتال ، وطال زمانه وظهر أصحاب زيادة الله . فلما رأى ذلك أبو عبد الله ، اختار من أصحابه ستمائة رجل ، وأمر أصحابه ان يأتوا عسكر زيادة الله من خلفهم ، فمضوا لما أمرهم في الطريق الذي أمرهم بسلوكه . واتُفِقَ أنَّ إبراهيم فعل مثل ذلك ، فالتقى الطائفتان فاقتتلوا في مضيق هناك . فانهزم أصحاب إبراهيم ووقع الصَّوت في عسكره بكمين أبي عبد الله ، وانهزموا وتفرقوا وهرب كل قوم إلى جهة بلادهم . وهرب إبراهيم وبعض من معه إلى القيروان وتبعهم اصحاب أبي عبد الله يقتلون ويأسرون ، وغنموا الأموال والخيل والعدد، ودخل أصحابه مدينة الأربس فقتلوا بها خلقاً عظيماً . ودخل كثيرٌ من أهلها الجامع ، فقتل فيه أكثر من ثلاثة آلاف ، ونهبوا البلد وكانت الوقعة أواخر جمادى الآخرة ، وانصرف أبو عبد الله إلى قمودة فلما وصل خبر الهزيمة إلى زيادة الله ، هربَ إلى الديار المصرية، وكان من أمره ، ما تقدّم ذكره . ولما هرب زيادة الله هرب أهل مدينة رقادة على وجوههم في الليل إلى القصر القديم وإلى القيروان . وسوسة ودخل أهل القيروان رقادة ونهبوا فيها ، وأخذَ القويّ الضعيفَ ، ونهبت قصور بني الأغلب وبقي النهب ستة أيام ووصل إبراهيم بن أبي الأغلب إلى القيروان ، فقصد قصر الامارة ، واجتمع إليه أهل القيروان ، ونادى مناديه بالأمان

وتسكين الناس . وذكر لهم أحوال زيادة الله وما كان عليه حتى أفسد ملكه ، وصَغُرَ أمر أبي عبد الله الشيعي ، ووعدهم أن يقاتل عنهم ويحمي حريمهم وبلدهم ، وطلب منهم المساعدة بالسمع والطاعة والأموال فقالوا : "إنما نْحن فقهاء وعامة وتجار وما في أموالنا ما يبلغ غرضك

وليس لنا بالقتال طاقة " . فأمرهم بالانصراف . فلما خرجوا من عنده وأعلموا الناس بما قاله صاحوا به أخرُجْ عنا فما لَكَ عندنا سمعٌ ولا طاعةٌ ، وشتموه فخرج عنهم وهم يرجمونَهُ .

ولما بلغ أبا عبد الله هرب زيادة الله كان بناحية سبيبة ورحل فنزل بوادي النمل ،

وقَدِمَ بين يديه عروبة بن يوسف . وحسن بن أبي خنزير في ألف فارس إلى رقادة، فوجدوا الناس ينهبون ما بقي من الأمتعة والأثاث ، فأمَّنوهم ولم يتعرضوا لأحد . وتركوا لكل واحد ما حمله ، فأتى الناس إلى القيروان ، فأخبروه الخبر ففرح أهلها . وخرج الفقهاء ووجوه البلد إلى لقاء أبي عبد الله فلقوه وسلَّموا عليه وهنأوه بالفتح فرد عليهم رداً حسناً . وحدثهم وأعطاهم الأمان ، فأعجبهم ذلك وسرهم . وذموا زيادة الله ، وذكروا مساويه ، فقال لهم : " ما كان إلّا قوياً وله منعة ودولة شامخة وما قصَّر في مدافعته ، ولكن أمر الله لا يعاند ولا يدافع لم فأمسكوا عن الكلام ورجعوا إلى القيروان .

ودخل رقادة(أ) يوم السبت مستهل رجب من سنة ست وتسعين ومائتين ، فنزل

بعض قصورها وفرق دُورَها على كتامة ولم يكن بقي أحدٌ من أهلها فيها ، وأمر فنوديَ بالأمان فرجع الناس إلى أوطانهم ، وأخرج العمال إلى البلاد، وطلب أهل الشرَّ فقتلهم . وأمر أن يجمع ما كان لزيادة الله من الأموال والسِّلاح وغير ذلك . فاجتمعَ كثير منه وفيه كثير من الجواري لهنَّ مقدارٌ وحظ من الجمال ، فسأل عمن كان يكفلهن ، فذكر له إمرأة صالحة كانت لزيادة الله . فأحضرها وأحسن إليها وأمرها بحفظهنَّ ، وأمر لهن بما يصلحهن ولم ينظرْ إلى واحدة منهن ، ولما حضرت الجمعة أمر الخطباء بالقيروان ورقادة ، فخطبوا ولم يذكروا أحداً ، وأمر بضرب السكة وأن لا ينقش عليها اسم ، ولكنَه جعل مكان الاسم من وجه بلغت حجة الله ومن الوجه الآخر تفرق أعداءُ الله ونقش على السلاح عدة في سبيل الله ، ووسَمَ الخيل على أفخاذها .

الملك لله . وأقام على ما كان عليه من لبس الدون الخشن والقليل من الطعام الغليظ .

(1) رقادة – بفتح أوله وتشديد ثانيه – بلدة بينها وبين القيروان أربعة أميال .

ذكر مسير أبي عبد الله إلى سجلماسة(١) وظهور المهدي

لما استقرَّتْ الأمور لأبي عبد الله في رقادة وسائر بلاد أفريقية أتاه أخوه أبو العباس محمد، ففرح به وكان هو الكبير . فسار أبو عبد الله في رمضان من السنة من رقادة، واستخلف على أفريقية أخاه أبا العباس . وأبا زاكي ، وسار في جيوش عظيمة فاهتز المغرب لخروجه ، وخافته زناتة وزالت القبائل عن طريقه وجاءته رسلهم ، ودخلوا في طاعته : فلما قَرُبَ من سُجلماسة ، وانتهى خبره إلى اليُسِعِ بن مدرار ، أمير سجلماسة أرسل إلى المهدي – وهو حبسه على ما ذكرناه – يسأله عن نسبه وحاله ، وهل إليه قصد أبو عبد الله ، فحلف له المهدى أنه ما رأى أبا عبد الله ولا عَرَفَهُ ، وانما أنا رجل تاجر . فاعتقله في دار وحده ، وكذلك فعل بولده أبو القاسم وجعل عليهما الحرس . وقرّرَ ولده أيضاً ، فما حالَ عن كلام أبيه ، وقرر رجالاً كانوا معه ، وضربهم ،فلم يُقروا بشيء ، وسمع أبو عبد الله ذلك فشق عليه ، فأرسل إلى اليُسعَ يتلطفه ، وأنه لم يقصد الحرب وإنما له حاجة مهمة عنده ، ووعده الجميل فرمى الكتاب ، وقتل الرُّسلَ . فعاوده بالملاطفة خوفاً على المهديّ ولم يذكره له فقتل الرسل ايضاً ، فأسرع أبو عبد الله في السَّيرِ، ونزل عليه فخرج إليه اليُسعَ وقاتله يومه ذلك ، وافترقوا فلما جنهم الليل ، هرب اليُسغ وأصحابه من أهله وبنى عمه ، وبات أبو عبد الله ومن معه في غمٍ عظيم لا يعلمون ما صنع بالمهديّ وولده . فلما أصبح خرج إليه أهل البلاد وأعلموه بهرب اليُسع ، فدخل هو وأصحابه البلد وأتوا المكان الذي فيه المهدي فاستخرجه واستخرج ولده فكانت في الناس مسرةٌ عظيمة كادت تذهب بعقولهم ، فأركبهما ، ومشى هو ورؤساء القبائل بين أيديهما، وأبو عبد الله يقولُ للناس : هذا مولاكم وهو يبكي من شدةِ الفرح ، حتى وصل إلى فسطاط قد ضرب له فنزل فيه . وأمر بطلب اليُسع فطلب ، فأدرك ، فأخِذَ وضُرِبَ بالسياط ثم قتل .

فلما ظهر المهدي أقام بسُجلماسة أربعين يوماً ، وسار إلى أفريقية ، وأحضر

الأموال من إنكجان فجعلها أحمالاً وأخذها معه . ووصل إلى رُقادة العشر الأخير من

(1) بسين مهملة مكسورة في أوله وبعدها جيم مكسورة وسكون اللام وبعد الالف سين مهملة مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان .

ربيع الآخر.من سنة سبع وتسعين ومائتين . وزال مُلكُ بني الأغلب ، ومُلكُ بني مدرار الذين منهم اليُسع ، وكان لها ثلاثون ومائة سنة منفردين بسجلماسة . وزال مُلكُ بني رستم من تاهرت ولهم ستون ومائة سنة تفردوا بتاهرت ، ومَلك المهدي جميع ذلك . فلما قرب من رقادة تلقاهُ أهلها وأهل القيروان وأبو عبد الله ، ورؤساء كتامة مشاة بين يديه ، وولده خلفه ، فسلَّموا عليه ، فرد جميلاً وأمرهم بالانصراف ونزل بقصر من قصور رقادة . وأمر يوم الجمعة بذكر اسمه في الخطبةِ في البلاد، وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين . وجلس بعد الجمعة رجلٌ يُعرف بالشريف ، ومعه الدعاة ، وأحضروا الناس بالعنف والشدة ، ردعوهم إلى مذهبهم ، فمن أجاب أحسنَ إليه ، ومن أبى حُبِسَ ، فلم يدخل في مذهبهم إلا بعض الناس – وهم قليلُ – وقَتَلَ كثير ممن لم يوافقهم على قولهم . وعرض عليه أبو عبد الله جواري زيادة الله ، فاختار منهن كثيراً لنفسه ، ولولده أيضاً وفرَّق ما بقي على وجوهِ كُتامة . وقسم عليهم أعمال أفريقية، ودونَ الدواوين وجبى الأموال ، واستقرتْ قدمه ودانت له أهل البلاد، واستعمل العمال عليها جميعها ، فاستعمل على جزيرة صقلية الحسن بن أحمد بن أبي خنزير، فوصل إلى مازر عاشر ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومائتين . فوك أخاه على جرجنت ، وجَعَلَ قاضياً بصقلية اسحاق بن المنهال – وهو أول قاضٍ تولى بها للمهدي العلوي – وبقي ابن أبي خنزير إلى سنة ثمان وتسعين . فسار في عسكره إلى دمنش فغَنِمَ وسبى ، وأحرق ، وعاد، فبقي مدة يسيرة ، وأساء السيرة في أهلها، فثاروا به وأخذوه وحبسُوه ، وكتبوا إلى المهدي بذلك واعتذروا فقبل عذرهم واستعمل عليهم عليّ بن عمر العلوي ، فوصل آخر ذي الحجَّة سنة سمع ولَسعين ومائتين .

ذكر قتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس

في سنة ثمان وتسعين ومائتين ، قُتِلَ م بو عبد الله الشٌيعي ، قتله المهدي عبيدَ

الله . وسبب ذلك أنّ المهدي لما استقامت له البلاد ودانت له العِبادَ وباشر الأمور بنفسه ، وكفّ يد ابي عبدُ الله ويدُ اخيه أبي العبّاس

داخل أبا العباس الحسد، وعظم عليه الفِطَام عن الأمر والنهي ، والأخذ والعطاء . فأقبل يزري على المهدي في مجلس أخيه ، ويتكلَّم فيه وأخوه ينهاه ، ولا يرض فعله فلا يزيده ذلك إلا لجاجاً . ثم أنه أظهر أبا عبد الله على ما في نفسه وتال له : ملكت أمراً فجئت بمن أزالك عنه ، وكان الواجب

عليه أن لا يسقط ، حقك ولم يزل حتى أثر في قلب أخيه ، فقال يوماً للمهدي : " لو كنت تجلس في قصرك وتتركني مع كُتامة امرهم ، وأنهاهم لأني عارف بعاداتهم ، لكان أهيب لك في أعين الناس ".

وكان المهدي سمع شيئاً مما يجري بين أبي عبد الله وأخيه ، فتحقق ذلك غير أنه

ردّ رداً لطيفاً . فصار أبو العباس يشير إلى المقدمين بشيء من ذلك فمن رأى منه قبولاً كشف له ما في نفسه ، وقال : ما جازاكم على ما فعلتم . وذكر لهم الأموال التي أخذها المهديّ من إنكجان ، وقال : هلّا قسمها فيكم وكل ذلك يتصل بالمهدي وهو يتغافلُ ، وأبو عبد الله يداري ، ثم صار أبو العباس يقول : إن هذا ليس الذي كنا نعتقد طاعته ، وندعو إليه لأن المهتدي يختم بالحخة، وياتي بالآيات الباهرة . فأخِذَ قوله بقلوب كثير من الناس منهم انسان حمن كُتامة ، يقال له : شيخ المشايخ . فواجه المهدئ بذلك وقال : إنْ كنْتَ المهديَّ ، فأظهرْ لنا اية فقد شككنا فيك ، فقتله المهدي . فخافه أبو عبد الله وعَلِمَ أنّ المهديَّ قد تغير عليه ، فاتفق هو وأخوه ومن معهما على الاجتماع عند أبي زاكي ، وعزموا على قتل المهديَ ، واجتمع معهم قبائل كُتامة إلّا قليلاً منهم . وكان معهم رجلٌ ، يظهر أنه منهم وينقل ما يجري إلى المهديِّ ، ودخلوا عليه مراراً، فلم يجسروا على قتله . فاتفق أنهم اجتمعوا ليلةً عند أبي زاكي ، فلما أصبحوا لبِسَ أبو عبد الله ثوبه مقلوباً، ودخل على المهديِ فرأى ثوبه فلم يعرفه به . ثم دخل عليه ثلاثة أيام والقميصُ بحاله فقال له المهديُ : " ما هذا الأمر الذي أذهلك عن إصلاح ثوبك ، فهو مقلوب منه ثلاثة أيام فعلمت أنك ما نزعته " . ؟ فقال : ما علمت بذلك إلا ساعتي هذه . قال : أين كنت البارحة ، والليالي قبلها ؟ فسكت أبو عبد الله فقال : أليس بتَّ في دار أبي زاكي ؟ قال : بلى قال : وما الذي أخرجَك من دارِكَ ؟قال :خفْتُ ، قال : وهل يخاف الإنسانَ إلا من عدوهِ ؟ فعلم أن أمرَهُ ظهر للمهديِّ فخرج وأخبر أصحابه ، وخافوا وتختّفوا عن الحضور . فذكر ذلك للمهديِّ وعنده رجل يقال له : ابن القديم ، كان مز جملة القوم ، وعنده أموالٌ

كثيرة من أموال زيادةَ الله فقال : يا مولاي إن شئت أتيتكَ بهم . ومض فجاء بهم . فعَلِمَ المهدي صحةَ ما قِيلَ عنه ، فلاطفهم وفرَّقهم في البلاد.

وجُعِلَ أبا زاكي والياً على طرابلس ، وكتب إلى عاملها أن يقتله عند وصوله . فلما وصَلَها قتلَهُ عاملها ، وأرسل رأسه ،إلى المهديِّ فهرب ابن القديم ، فأخذ فأمر المهديُّ

بقتله فقُتِل ، وأمر المهديُ عروبةً ورجالاً معه أن يرصدوا أبا عبد الله وأخاه أبا العباس ، ويقتلوهما . فلما وصلا إلى قُرب القصرِ حمل عروبةَ على أبي عبد الله فقال :لا تفعلْ يا بني فقال : الذي أمرتنا بطاعته أمرَنا بقتلك ، فقُتِلَ هو وأخوه وكان قتلهُما في اليوم الذي قُتِلَ فيه أبو زاكي ، فقيل : إن المهديِّ صلى على أبي عبد الله وقال : " رحمك الله أبا عبد الله وجزاك خيراً بجميل سعيك ". وثارت فتنة بسبب قتلهما وج#د أصحابهما السيوف ، فركب المهديّ وأمن الناس ، فسكنوا ثم تتبعهم حتى قتلهم. وثارت فتنة ثانية بين كُتامة وأهل القيروان قُتِلَ فيها خَلْقٌ كثير ، فخرج المهديُ وسكن الفتنة ، وكفَّ الدعاةُ عن طلب التشيّع من العامة . ولما استقامت الدولةُ للمهدي عهِدَ إلى ولدِهِ ابي القاسم نزار بالخلافة .

ورجعت كتامة إلى بلادهم فأقاموا طفلاً وقالوا : " هذا هو المهديُ " ثم زعموا أنه

نبي يوحى إليه ، وزعموا أن أبا عبد الله لم يمتْ . وزحفوا إلى مدينة(ا)مِيلة فبلغ ذلك المهديُ ، فأخرج ابنه أبا القاسم ، فحصرهم ، فقاتلوهم فهزمهم واتبعهم حتى أجلاهم إلى البحر، وقَتَل منهم خلقاً عظيماً ، وقتل الطفل الذي أقاموه ، وخالفَ عليه أهل صقلية مع ابن وهب ، فانفذ إليهم اسطولاً ففتحها ، وأتى بابن وهب فقتله . وخالف عليه أهل تاهرت ، فغزاها ففتحها وقتل أهل الخلاف . وقتل جماعة من بنى الأغلب برقادة، كانوا قد رجعوا إليها بعد وفاة زيادة الله.

ذكر عدة حوادث

فيها سيّر القاسم بن سِيما وجماعةٌ من القوادِ في طلب الحُسين بن حمدان ،

فساروا حتى بلغوا قرقيسيا والرَّحبة، فلم يظفروا به . فكتب المقتدرُ إلى أبي الهيجاء عبدُ الله بن حمدان ، وهو الأمير بالموصل يأمره بطلب أخيه الحسين ، فسار هو والقاسم بن سِيما، فالتقوا عند تكريت ، فأنهزم الحسينُ فأرسل أخاه إبراهيم بن حمدان يطلب الأمان فأجِيبَ إلى ذلك ، ودخل بغداد وخلع عليه ، وعقد له قم وقاشان . فسار

إليها وصرف عنها العبّاس بن عمرو. وفيها وصل بارس غلام اسماعيل السَّاماني ،وقُلدَ ديار ربيعة . وقد تقدم ذكره .

(ا) ميلة : بالكسر ثم السكون ولام مفتوحة : مدينة صغيرة بأقصى إفريقية .

وفيها كانت رقعة بين طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ، وبين سبكري ، غلام

عمر فأسِر طاهراً ووجه وأخاه يعقوب بن محمد بن عمرو إلى المقتدر مع كاتبه عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي ، فأدخِلا بغدادَ أسيرين فحُبِسَا . وكان سبكري قد تغلب على فارس بغير أمر الخليفة ؛ فلما وصل كاتبه قرَّر أمره على مال يحمله ،وكان وصوله إلى بغداد سنة سبع وتسعين . وفيها خلع على مؤنس المظفر الخادم ، وأمر بالمسير إلى غزو الروم ، فسار في جمع كثيف فغزا من ناحية ملطية ومعه أبو الأغر السلمي ، فظفر وغنم وأسر منهم جماعة وعاد. وفيها قلدَ يِوسف بن أبي السَّاج أعمال أرمينية واذربيجان وضئنها بمائة ألف وعشرين ألف دينار، فسار إليها من الدينور. وفيها سقط ببغداد ثلج كثير من بكرة إلى العصر فصار على الأرض أربع أصابع ، وكان معه برد شديد وجمد الماء والخل والبيضُ والأدهانُ ، وهلكَ النخلُ وكثير من الشجر. وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

وفيها توفي محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر . وفيها قُتِلَ سوسن حاجب المقتدر . وسبب ذلك أنه كان له أثر في أمر ابن المعتز، فلما بويعَ ابن المعتز واستحجب غيره لزم المقتدر، فلما استوزر ابن الفرات تفرَّد بالأمور فعاداه سوسن ، وسعى في فساد حاله ، فاعلم ابنُ الفرات المقتدرَ بالله بحال سوسن ، وأنه كان مس أعان ابنَ المعتز فقبض عليه وقتله . وفيها توفي محمد بن داود بن الجرّاح عم عليّ بن عيسى الوزير ، وكان عالماً بالكتابة . وفيها توفي عبد الله بن جعفر بن خافان ، وأبو عبد الرحمن الدهكاني .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائتين

ذكر استيلاء الليث على فارس وقتله

في هذه السنة سار الليث بن عليّ بن الليث من سجستان إلى فارس في [جيشٍ]، وأخذها واستولى عليها وهرب سبكري عنها إلى أرجان . فلما بلغ الخبر المقتدر جهز مؤنساً الخادم ، وسيَّرهُ إلى فارسَ معونة لسبكري . فاجتمعا بأرجان . وبلغ خبر اجتماعهما الليث ، فسار إليهما ، فأتاه الخبر بمسير الحسين بن حمدان من قم إلى البيضاء معونة لموّنس ، فسيَّر أخاه في بعض جيشِهِ إلى شيراز ليحفظها .

ثم سار في بعض جنده في طريق مختصر ليواقعَ الحسين بن حمدان ، فأخذَ به الدليل في طريق الرجالة فهلِكَ أكثرُ دوابه . ولقيَ هو وأصحابه مشقة عظيمة ، فقتلَ الدليل وعدل عن ذلك الطريق ، فأشرف على عسكر مؤنس ، فظنّهُ هو وأصحابه أنه عسكره الذي سُيِّر مج أخيه إلى شيراز، فكبروا ، فثار إليهم مؤنس . وسبكري في جندهما ، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عسكر الليث وأخِذَ هو أسيراً فلما أسره مؤنس قال له أصحابه : إن المصلحةَ أنْ نقبض على سبكري ، ونستولي على بلاد فارس ، ونكتب إلى الخليفة ليقرها عليك فقال : سأفعل غداً إذا صار إلينا على عادته ، فلما جاء الليل أرسل مؤنس إلى سبكري سرّاً يعرفه ما أشار به أصحابه ،وأمره بالمسير من ليلتِهِ إلى شيراز ففعل . فلما أصبح مؤنس قال لأصحابه ، أرى سبكري قد تأخَّر عنا ، فتعرفوا خبره ، فسار إليه بعضهم وعاد فأخبره أن سبكري سار من ليلته إلى شيراز، فلام أصحابه وقال : من جهتكم بلغه الخبر حتى استوحش . وعاد مؤنس ومعه الليث إلى بغداد، وعاد الحسين بن حمدان إلى قم .

ذكر أخذ فارس من سبكرى

لما عاد مؤنس عن سبكري استولى كاتبه عبد الرحمن بن جعفر على الأمور، فحسد . أصحاب سبكري ، فنقلوا عنه أنه كاتب الخليفة وأنه قد خلف أكثر القوّاد له . فقبض عليه وقيده وحبسه ، واستكتب مكانه إسماعيل بن إبراهيم اليمني فحمَلَه على العصيان ، ومنع ما كان يحمله إلى الخليفة، ففعل ذلك فكتب عبد الرحمن بن جعفر إلى ابن الفرات وزير الخليفة يعزفه ذلك ، وأنه لما نهى سبكري عن العصيان قبض عليه ، فكتب ابن الفرات إلى مؤنس – وهو بواسط – يأمره بالعود إلى فارس ، وجزه حيث لم يقبضْ على سبكري ، وشمله مع الليث إلى بغداد. فعاد مؤنس إلى الأهواز، وأرسل سبكري مؤنساً وهاداه وسأله ان يتوسط حاله مع الخليفة، فكتب في أمره وبذل عنه مالاً فلم يستقرْ بينهم شيء . وعلم ابن الفرات ان مؤنساً يميل إلى سبكري فأنفذ وصيف كاتبه وجماعةً من القوّاد ومحمد بن جعفر الفريابي ، وعول عليه في فتح فارس ، وكتب إلى مؤنس يأمره باستصحاب الليث معه إلى بغداد، فعاد مؤنس ، وسار محمد بن جعفر إلى فارس وواقع سبكري على باب شيراز، فانهزم سبكري إلى بمٌ(1) وتحصن بها وتبعه محمد بن جعفر وحصره بها ، فخرج إليه سبكري وحاربه مرة ثانية فهزمه محمد ونهب ماله ، ودخل سبكري مفازة خراسان فظفر به صاحب خراسان على ما نذكره ، واستولى محمد بن جعفر على فارس ، فاستعمل عليها قنبجا خادم الأفشين ، والصحيح أن فتح فارس كان سنة ثمان وتسعين .

ذكر عده حوادث

فيها وجهَ المقتدرُ القاسم بن سيما لغزو الصائفةَ . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي . وفمِها توفي عيسى النوشري في شعبان بمصرَ بعد موت ابي العبّاس بن بسطام بعشرة أيام ، ودُفِنَ بالبيت المقدس . واستعملَ المقتدر مكانه تكين الخادم ، وخلع عليه منتصف شهر رمضان . وفيها توفي أبو عبد الله محمد بن سالم ،

صاحب سهل بن عبد الله التستري . وفيها توفي الفيض بن الخضر ، وقيل : ابن محمد

(١) بفتح الباء الموحدة وتشديد الميم مدينة جليلة من أعيان مدن كرمان .

أبو الفيض الأولاشي (1) الطرسوس ، وأبو بكر محمد بن داود بن عليّ الأصفهاني الفقيه الظاهري (2)، وموسى بن اسحاق القاضي ، والقاضي أبو محمد يوسف بن يعقوب بن حمَّاد، وله تسع وثمانون سنة .

(l) في النجوم الزاهر . : الأولاسي بالسين ، نسبة إلى اولاس حصن على ساحل بحر الشام من نواحي طرسوس ويسمى حصن الزهاد.

(2) محمد بن داود بن على الظاهري الفقيه ابو بكر أحد أذكياء زمانه ، وصاحب كتاب الزهرة . له شعر رائق وهو ممن قتله الهوى . شذرات الذهب 2 / 226 .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين

ذكر استيلاء أحمد بن اسماعيل على سجستان

في هذه السنة في رجب استولى ابو نصر أحمد بن إسماعيل السَّاماني على سُجستان . وسبب ذلك أنه لما استقل أمره وثبتَ ملكهُ خرج في سنة سبع وتسعين ومائتين إلى الرّي . وكان يسكن بُخارى، ثم سار إلى هُراة ، فسير منها جيشاً في المحرّم سنة ثمان وتسعين إلى سجستان . وسير جماعة من أعيان قوّاده وأمرائه ، منهم أحمد بن سهل ومحمد بن المظفر وسيمجور الدواتي – وهو والد آل سيمجور ولاة خراسان للسامانية وسيرِدُ ذكرهم – واستعمل أحمدُ على هذا الجيش الحسينَ بن علي المروروذي ، فساروا حتى أتوا سجستان ، وبها المعدَل بن عليّ بن الليث الصفار – وهو صاحبها– فلما بلغ المعدل خبرهم سيَّر أخاه أبا عليّ محمد بن عليّ بن الليث إلى بست والرخج ليحمي أموالها ويرسل منها الميرةَ إلى سجستان ، فسار الأميرُ أحمد بن اسماعيل إلى أبي عليّ ببست ، وجاذبه وأخذه أسيراً وعاد به إلى هراة ، وأما الجيش الذي بسجستان فانهم حصروا المعدل وضايقوه ، فلما بلغه أن أخاه أبا عليّ محمداً قد أخِذَ أسيراً صالح الحسين بن عليّ ، واستأمن إليه ، فاستولى الحسين على سجستان ، فاستعمل عليها الأمير أحمد أبا صالح منصور بن اسحاق – وهو ابن عمه – وانصرف الحسين عنها ومعه المعدل إلى بخارى ثم إنّ سجستان خالف أهلها سنة ثلاثمائة على ما نذكره . ولما استولى السامانية على سجستان ، بلغهم خبر مسير سبكري في المفازة من فارش إلى سجستان– . فسيروا إليه جيشاً فلقوه هو وعسكره قد أهلكهم التعب ، فأخذوه أسيراً واستولوا على عسكره . وكتب الأمير أحمد إلى المقتدر بذلك وبالفتح . فكتب ابيه يشكره على ذلك ويأمره بحمل سبكري . ومحمد بن علف ،بن الليث إلى بغداد، فسيَّرهما ، وأدخلا بغداد

مشهورين على فيلين . وأعاد المقتدر رسل أحمد صاحب خراسان ومعهم الهدايا والخلع .

ذكر عدة حوادث

فيها أطلقَ الأمير أحمد بن اسماعيل عمه اسحاق بن أحمد من محبسه ، وأعاده

إلى سمرقند، وفرغانة . وفيها توفي محمد بن جعفر الفريابي وقنبج الخادم أمير فارس ، فاستعمل عليها عبد الله بن ابراهيم المسمعي ، وأضاف إليه كرمان . وفيها جعلت أم موسى الهاشمية قهرمانة دار المقتدر بالله ، فكانت تؤدي الرسائلَ من المقتدر وأمه إلى الوزير . وإنما ذكرناها لأن لها فيما بعد من الحكم في الدولة ما أوجب ذكوها ، والا كان الإضرابُ عنها أولى . وفيها غزا القاسم بن سيما الصائفة . وفيها في رجب توفي المظفر بن حاج أمير اليمن ، وحُملَ إلى مكة ، ودُفِنَ بها ، واستعمل الخليفة على اليمن بعده ملاحظاً .

وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي . وفيها في شعبان ،

أخذ جماعة ببغداد، قيل : إِنهم أصحابُ رجلٍ يدعى الربوبية ، يعرَفُ بمحمد بي بِشْرَ . وفيها بَّت ريحٌ شديدةٌ حارةٌ صفراءُ بحديثة الموصل ، فمات لشدة حرها جماعة كثيرة . وفيها توفي أبو القاسم الجنيد بن محمد الصوفي (1) وكان أمام الدنيا في زمانه وأخذ الفقه عن أبي ثور صاحب الشافعي ، والتصوف عن سري السقطي ، وفيها توفي أبو برزة الحساب ، واسمه الفضل بن محمد . وفيها توفّي القاسم بن العباس أبو محمد المعشري . وإنما قيل له : المعشري ، لأنه ابن بنت أبي معشر نجيح المدني وكان زاهداً فقيهاً . وفيها توفي أحمد بن سعيد بن مسعود بن عصام أبو العباس ، ومحمد بن إياس والد أبي زكريا صاحب تاريخ الموصل ، وكان خيراً فاضلاً وهو أزدي .

(1) الجنيد بن محمد القواريري الخزاز شيخ الصوفية تاج العارفين، صحب خاله السري والمحاسبي شذرات الذهب 2 / 228 .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائتين

ذكر القبض على ابن الفرات ووزارة الخاقاني

في هذه السنة قبض المقتدرُ على الوزيرِ أبي الحسن بن الفرات في ذي الحجة ،

وكان قد ظهر قبل القبض عليه بمدة يسيرة ثلاث كواكب مذنبة ، أحدها ظهر آخر رمضان في برج الأسد، والآخر ظهر في ذي القعدة في المشرق . والثالث ظهر في المغرب في ذي القعدة أيضاً في برج العقرب . ولما قبض على الوزير وكل بدارِهِ ، وهتك حرمه ونهب ماله ، ونهبت دور أصحابه ، ومن يتعلق به ، وافتتنت بغداد لقبضه ، ولقي الناس شدة ثلاثة أيام ثم سكنوا . وكانت مدةُ وزارته هذه – وهي الوزارة الأولى – ثلاث سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً ،وقلد أبو علي محمد بن يحيى بن عبيد الله بن يحمص بن خاقان الوزارة، فرتبَ أصحابُ الدواوين ، وتولى مناظرة ابن الفرات أبو الحسين أحمد بن يحيى بن أبي البغل . وكان أخوه أبو الحسن بن أبي البغل مقيماً باصبهان ، فسعى أخوه له في الوزارة هو وأثم موسى القهرمانة . فأذِنَ المقتدرُ في حضورهِ ليتولى الوزارة فحضر ، فلما بلغ ذلك الخاقاني انحلَّت أمورَهُ؛ فدخلِ على الخليفة وأخبره بذلك فأمره بالقبض على أبي الحسن وأبي الحسين أخيه فقُبِض على أبي الحسن . وكتب في القبض على أبي الحسين ، فقبض أيضاً . ثم خاف القهرمانة فأطلقهما واستعملهما . ثم أن أمور الخاقاني انحلًت لأنه كان ضَجُوراً ضيِّق الصدر، مهملاً لقراءة كتب العمال ، وجباية الأموال . وكان يتقرب إلى الخاصة والعامة فمنع خدم السلطان وخواصه أن يخاطبوه بالعبد . وكان إذا رأى جماعة من الملاحين والعامة يصلُّون جماعة ينزلُ ويصلي معهم ، وإذا سأله أحد حاجة دق صدره وقال : نعم وكرامة . فسمي دق صدره ، ألا أنه قصر في اطلاق الأموال للفرسان والقواد فنفروا عنه واتضعَتْ الوزارة بفعلِهِ ما تقدم . وكان اولاده قد تحكموا عليه فكل منهم يسعى لمن يرتشي منه .

وكان يولي في الأيام . القليلة العمال . فاجتمعوا في الطريق فعرضوا توقيعاتهم ، فسار الأخير منهم وعاد الباقون يطلبون ما خدمهم به أولاده فقيل فيه :

وزيرُ قد تكاملَ في الرَّقاعة يولي ثم يعزلُ بعد ساعَةْ

إذا أهل الرشا اجتمعوا لديهِ فَخَيرُ القوم أوفَرُهم بِضاعَةْ

وليس يلامُ في هذا بحالِ لأن الشيخَ أَفلَتَ من مجاعه

ثم زاد الأمر حتى تحكَّم أصحابه ، فكانوا يطلقون الأموال ، ويفسدون الأحوال ، فأنحلتْ القواعدُ وخُبِثَتْ النياتُ . واشتغل الخليفة بعزل وزرائِه والقبضِ عليهم والرجوع إلى قولِ النساء ، والخدم والتصرفِ على مقتض آرائهن . فخرجت الممالك وطمع العمال في الأطراف ، وكان ما نذكره فيما بعد، ثم أن الخليفة أحضر الوزير ابن الفرات من . محبسه ، فجعله عنده في بعض الحجر مكرماً، فكان يعرض عليه مطالعات العمال وغير ذلك وأكومه وأحسن إليه بعد أن أخذ أمواله .

ذكر عدة حوادث

فيها غزا رستُم أميرَ الثغورِ الصائفةَ من ناحية طرسوسَ ومعه دِميانة ، فحصر حصن مليح الأرمني ، ثم دخل بلده وأحرقه . وفيها دخل بغداد العظيم والأغبر وهما من قوّاد ذكرويه القرمطي دخلا بالأمان . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك . وفيها جاء نفرٌ من القرامطة من اصحاب أبي سعيد الجنابي إلى باب البصرة ، وكان عليها محمد بن اسحاق بن كنداجيق وكان وصولهم يوم الجمعة ، والناس في الصلاة فوقع الصوت بمجيء القرامطة، فخرج إليهم الموكلون بحفظِ باب البصرة ، فرأوا رجلين منهم ، فخرجوا إليهما فقَتَلَ القرامطة منهم رجلاً وعادوا. فخرج إِليهم محمد بن اسحاق في جمع فلم يرَهم . فسير في أثرهم جماعة ، فأدركوهم وكانوا نحو ثلاثين رجلاً، فقاتلوهم ، فقتل بينهم جماعة . وعاد ابن كنداجيق وأغلق أبواب البصرة ظناً منه أن أولئك القرامطة كانوا مقدمة لأصحابهم ، وكاتب الوزيرُ ببغداد يعرِّفه

وصولَ القرامطة ويستمده ،فلما أصبحَ ولم يرَ للقرامطة أثراً نَدِمَ على ما فعل . وسيَّر إليه من بغداد عسكراً مع بعض القواد . وفيها خالف أهلُ طرابلس الغرب على المهدي عبيد الله العلوي . فسير اليها عسكراً فحاصرها فلم يظفر بها . فسير اليها المهدي ابنه أبا القاسم

في جمادى الآخرة، سنة ثلاثمائة ، فحاصرها وصابرها واشتد في القتال ، فعُدِمَت الأقواتُ في البلد حتى أكل أهله الميتة ، ففتح البلد عنفاً وعفا عن أهله وأخذ أموالاً عظيمة من الذين أثاروا الخلاف . وغَرمَ أهل البلد جميع ما أخرج على عسكره ، وأخذ وجوه البلد رهائن عنده ، واستعمل عليها عاملاً وانصرف .

وفيها كانت زلازل بالقيروان لم يرَ مثلها شدّه وعظمة . وثار أهل القَيروان فقتلوا

من كتامة نحو الف رجل . وفيها توفي محمد بن أحمد بن كيسان أبو الحسن النحوي ، وكان عالماً بنحو البصريين والكوفيين لأنه أخذه عن ثعلب والمبرد . وفيها توفي محمد بن السري القنطري ،وأبو صالح الحافظ وأبو عليّ بن سيبويه ، وأبو يعقوب اسحاق بن حنين الطبيب (1).

(ا) هو اسحاق بن حنين بن اسحاق بن يعقوب العبادى الطبيب ابن الطبيب له ولأبيه مصنفات كثيرة فى هذا الفن وكان أبوه يعرب كلام ارسطاليس وغير . من حكماء اليونان .

ثم دخلت سنة ثلاثمائة

ذكر عزل الخاقاني عن الوزارة ، ووزارة عليٍّ بن عيسى

في هذه السَّنة ظهر للمقتدر تخليط الخاقاني ، وعجزه في الوزارة ، فأراد عزله ،

واعادة أبي الحسن بن الفرات إلى الوزارة ، فمنعه مؤنس الخادم عن ابن الفرات لنفوره عنه لأمور: منها إنفاذ الجيش إلى فارس مع غيره ، وإعادته إلى بغداد، وقد ذكرناه . فقال للمقتدر : متى أعدتُه ظنَّ الناس أنك إنما قبضت عليه شرهاً في ماله ، والمصلحة أن تستدعي علىّ بن عيسى من مكة وتجعله وزيراً ، فهو الكافي الثقة الصحيح العمل المتين الدين . فأمر المقتدر بإحضاره ، فأنفذ من يحضرهُ ، فوصل إلى بغدادَ أول سنة إحدى وثلاثمائة ، وجلس في الوزارة . وقبض على الخاقاني وسلَم إليه ، فأحسن قبضه ، ووسع عليه ، وتولّى عليّ بن عيسى ، ولازم العمل والنظر في الأمور ، ورد المظالم ، وأطلقَ من المُكوس شيئاً كثيراً بمكة ، وفارس ، وأطلق المواخير . والمفسدات بدوبق. وأسقط زيادات ، كان الخاقاني قد زادها للجندِ لأنه عمل الدخل ، والخرج ، فرأى الخرج أكثر فاسقط أولئك ، وأمر بعمارة المساجد والجوامع وتبييضها وفرشها بالحصر ، وإشعال الأضواء فيها، وأجرى للأئمة والقرَّاء والمؤذنين أرزاقاً. وأمر بإصلاح البيمارستانات ، وعمل ما يحتاج إليه المرْضَى من الأدوية . وقرّر فيها فضلاء الأطباء ، وأنصفَ المظلومين ، وأسقط ما زيدَ في خراج الضياع . ولما عزل الخاقاني أكثر الناس التزوير على خطه بمسامحات ، وادرارات . فنظر عليّ بن عيسى في تلك الخطوط ، فأنكرها وأراد إسقاطها ، فخاف ذم الناس ورأى أن ينفذها إلى الخاقاني ليميز الصحيح من المزور عليه ، فيكون الذم له . فلما عُرِضَتْ تلك الخطوط عليه قال : هذه جميعها خُطَىً وأنا أمرْتُ بها. فلما عاد الرسول إلى علىّ بن عيسى، بذلك ، قال : والله لقد كذب ، ولقد علم المزور من غيره ، ولكنه اعترف بها

ليحمده الناس ويذموني وأمر بها فأجِيزَتْ ،وقال الخاقاني لولده : يا بني هذه ليست خُطىً، ولكنه أنفذها إلي وقد عرف الصحيح من السقيم ، ولكنه أراد أن يأخذ الشوك بأيدينا ويبغضنا إلى الناس ، وقد عكست مقصوده .

ذكر خلاف سجستان وعودها إلى
طاعة أحمد بن اسماعيل السَّاماني

وفي هذه السنة أنفذ الأمير أبو نصر أحمد بن ،إسماعيل السّاماني عسكراً إلى سجستان ، ليفتحها ثانياً وكانت قد عَصَي ثْ عليه وخالَفَ من بها . وسببُ ذلك أن محمد بن هرمز المعروف بالمولى الصندلي كان خارجي المذهب ، وكان قد أقام ببخارى ، وهو من أهل سجستان ، وكان شيخاً كبيراً . فجاء يوماً إلى الحسين بن علىّ بن محمد العارض يطلب رِزقه فقال له علىّ ؛إن الأصلح لمثلك من الشيوخ أن يلزم رباطاً يعبد الله فيه حتى يوافيه اجله فغاظه ذلك . فانصرف إلى سجستان والوالي عليها منصور بن إسحاق ، فاستمال جماعة من الخوارج ودعا إلى الصَّفار، وبايع في السر لعمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث . وكان رئيسُهُم محمًد بن العباس المعروف بابن الحفَّار ، وكان شديدَ القوة فخرجوا وقبضوا على منصور بن إسحاق أميرهم وحبسوه في سجن أرك ، وخطبوا لعمرو بن يعقوب وسلَّموا إليه سجستان ، فلما بلغ الخبر إلى الأمير أحمد بن إسماعيل سيًّر الجيوش مع الحسين بن عليّ مرة ثانية إلى زرنج (1) في سنة ثلاثمائة فحصرها تسعة أشهر، فصعد يوماً محمد بن هرمز الصندلي إِلى السور وقال : ما حاجتكم إلى أذى شيخ لا يصلح إلا للزوم رابط يذكرهم بما قاله العارض ببُخارى . واتفق أن الصندلي مات فاستأمن عمرو بن يعقوب الصفار . وابن الحفَّار إلى الحسين بن عليّ وأطلقوا عن منصور بن اسحاق ، وكان الحسين بن علىّ يكرِّم ابن الحفًار ويقربه فواطأ ابن الحفار جماعة – على الفتك بالحسين فعلم م لحسين ذلك . وكان ابن الحفار يدخل على الحسين لا يحجب عنه فدخل إليه يوماً . وهو مشتمل على سيف ، فأمر الحسين بالقبض عليه وأخذه معه إلى

بُخارى . ولما انتهى خبرُ فتح . سجستان إِلى الأمير أحمد استعمل عليها سيمجور الدواتي ،وأمر الحسين

(1) زرنج : بفتح أوله وثانيه ونون ساكنه ، مدينة هي قصبة سجستان .

بالرجوع إليه ، فرجع ومعه عمرو بن يعقوب وابن الحفار وغيرهما . وكان عوده في ذي الحجة سنة ثلاثمائة . واستعمل الأمير أحمد منصوراً ابن عمه إسحاق على نيسابور وأنفذه إليها وتوفي ابن الحفار .

ذكر طاعة أهل صقلية للمقتدر
وعودِهِم إلى طاعة المهديِّ العلويِّ

قد ذكرنا سنة سبع وتسعين ومائتين ، استعمال المهدي علي بن عمر على صقلية ، فلما وليها كان شيخاً ليناً فلم يرضَ أهل صقلية بسيرته فعزلوه عنهم وولوا على أنفسِهِم أحمد بن قرهب ، فلما ولى سيّر سرية إلى ارض قِلّوْرِية(١) فغنموا منها وأسروا من الروم ، وعادوا وأرسل ، سنة ثلاثمائة ابنه عليّاً إلى قلعة طبرَمين المحدثة في جيش ، وأمره بحصرها ، وكان غَرَضه إذا ملكها أن يجعل بها ولده وأمواله وعبيده فإذا رأى من أهل صقلية ما يكره امتنع بها . فحصرها ابنه ستة اشهر ثم اختلف العسكر عليه ، وكرهوا المقام ، فأحرقوا خيمته وسواد العسكر ، وأرادوا قتله فمنعهم العرب . ودعا أحمد بن قرهب الناس إلى طاعة المقتدر ، فأجابوه إلى ذلك ، فخطب له بصقلية ، وقطعَ خطبة المهدي. وأخرج ابن قرهب جيشاً في البحر إلى ساحل أفريقية ، فلقوا هناك أسطول المهدي ، ومقدمه الحسن بن أبي خنزير ، فأحرقوا الأسطول ، وقتلوا الحسن ، وحملوا رأسه إلى ابن قرهب . وسار الأسطول الصقلي إلى مدينة سفاقس ، فخربوها وساروا إلى طرابلس ، فوجدوا فيها القائم بن المهدي فعادوا؛ ووصلت الخلع السود والألوية إلى ابن قرهب من المقتدر ، ثم أخرج مراكب فيها جيش إلى قلورية فغنم جيشه ، وخربوا وعادوا ، وسير أيضاً اسطولاً إلى افريقية ، فخرج عليها أسطول المهدي ، فظفروا بالذي لابن قرهب وأخذوه . ولم يستقمْ بعد ذلك لابن قرهب حاذ وأدبر أمره ، وطمع فيه الناس ، وكانوا يخافونه وخاف منه أهل جرجنت (2) وعصوا أمره وكاتبوا المهدي. فلما رأى ذلك أهل البلاد كاتبوا المهدي أيضاً وكرهوا

(1) قلورية : بكسر أوله وتشديد ثانيه وفتحه ، وسكون الواو ، وكسر الراء والياء مفتوحة خفيفة : وهى جزيرة فى شرقى صقلية وأهلها أفرنج .

(2) جرجنت : لم يذكرها معجم البلدان .

الفتنة ، وثاروا بابن قرهب ، وأخذوه أسيراً سنة ثلاثمائة ، وحبسوه ، وأرسلوه إلى المهدي مع جماعة من خاصته ، فأمر بقتلهم على قبر ابن أبي خنزير، فقتلوا ، واستعمل على صقلية ابا سعيد موسى بن أحمد ، وسير معه جماعة كثيرة من شيوخ كُتامة ، فوصلوا إلى طَرَابُنُشِ (ا) وسبب ارسال العسكر معه ان ابن قرهب كان قد كتب إلى المهدي يقول له : إن أهل صقلية يكثرون الشغب على أمرائهم ولا يطيعونهم وينهبون أموالهم ولا يزول ذلك إلا بعسكر يقهرهم ويزيل الرياسة عن رؤسائهم ، ففعل المهدي ذلك . فلما وصل معه العسكر خاف منه أهل صقلية ، فاجتمع عليه أهل جرجنت ، وأهل المدينة وغيرهما فتحصَّن مفهم أبو سعيد وعمل على نفسه سوراً إلى البحر ، وصار المرسي معه فأقتتلوا فانهزم أهل صقلية ، وقتل جماعة من رؤسائهم وأسر جماعة . وطلب أهل المدينة الأمان فأمنهم إلا رجلين هما أثارا الفتنة ، فرضوا بذلك وتسلَّم الرجلين وسيرهما إلى المهدي بأفريقية ، وتسلَم المدينة وهدمَ أبوابها ، وأتاه كتاب المهدي يأمره بالعفوِ عن العامة .

ذكر وفاة عبدالله بن محمد صاحب الأندلس وولاية عبد الرحمن

وفيها توفي عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الأموي صاحب الأندلس في ربيع الأول ، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة . وكان أبيض أصهب أزرق ربعة يخضبُ بالسَّوادِ . وكانت ولايته خمساً وعشرين سنة واحدَ عشر شهراً . وخلف أحد عشر ولداً ذكراً أحدهم محمد المقتول ، قتله في حذ من الحدود وهو والد عبد الرحمن الناصر .

ولما توفي ولي بعده ابن ابنه هذا محمد واسمه عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي ، وأمه أم ولد تسمى مرتة ، وكان عمره لما قُتِلَ أبوه عشرين يوماً . وكانت ولايته من المستطرف لأنه كان

شاباً وبالحضرة أعمامه وأعمام أبيه ، فلم يختلفوا عليه . وولي الامارة والبلاد

(ا) طرابنش : اسم مدينة بجزيرة صقلية.

كلها رقد اختلف عليهم قبله ، وامتنع حصون بكورة ريه وحصَّن ببشتر ، فحاربها حتى صلحت البلاد بناحيته . وكان من بطليطة أيضاً قد خالفوا فقاتلهم حتى عادوا إلى الطاعة ، ولم يزلْ يقاتل المخلفين حتى أذعنوا له وأطاعوه نيفاً وعشرين مسنة ، فاستقامت البلاد ، وأمنَتْ في دولته ومضى لحال سبيله .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنّة عزل عبدالله بن ابراهيم المسمعي عن فارس ، وكرمان ، واستعمل عليها بدر الحمامي ، وكان بدر يتقلَّد أصبهان ، واستعمل بعده على أصبهان علىّ بن وهسوذان الديلمي .

وفيها ورد الخبر إلى بغداد ورسول من عامل برقة –وهي من عمل مصر وما بعدها بأربع فراسخ لمصر، وما وراء ذلك من عمل المغرب – بخبر خارجي خرج عليهم وأنهم ظفروا به وبعسكره ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ووصل على يد الرسول من أنوفهم وآذانهم شيء كثير . وفيها كَثرَتْ الأمراضُ والعلل ببغداد . وفيها كَلُبَتْ الكلابُ والذئاب بالبادية ، فأهلكت خلقاً كثيراً ، وفيها ولي بِشر الأفشيني طرسوس . وفيها قلَّد مؤنس المظفر الحرمين والثغور. وفيها انقضت الكواكب انقضاضاً كثيراً إلى جهة المشرق . وفيها مات اسكندروس بن لاون ، ملك الروم ، ومَلك بعده ابنه واسمه قسطنطين وعمره اثنتا عشرة سنة . وفيها توفي عبيدُ الله بن عبدالله بن طاهر بن الحسين ، وكان مولده سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وفيها توفيّ أحمد بن يئ الحداد ، وقيل : سنة تسع وتسعين ومائتين وهو الصحيح . وفيها توقف أحمد بن يعقوب ابن اخي العرق المقرىء ، والحسين بن عمر بن أبي الأحوص ، وعليّ بن طيفور النسوي ، وأبو عمر القتات . وفيها في ربيع الآخر توفى يحص بن عليّ بن يحمص المنجم المعروف بالنديم .

ثم دخلت سنة احدى وثلاثمائة

في هذه السنة خلع على الأمير أبي العباس بن المقتدر بالله وقلد أعمال مصر والمغرب وعمره أربع سنين ، واستخلف له على مصر مؤنس الخادم ، وهذا أبو العباس هو الذي رَبي الخلافة بعد القاهر بالله ، ولقبَ الراضي بالله . وخلع ايضاً على الأمير عليَ بن المقتدر وولي الريَ ودنباوند وقزوين وزنجان وأبهر .

وفيها أحضر بدار عيسى رجل يعرف بالحلاج ، ويكنّى أبا محمد مشعبذاً في قول بعضهم وصاحب حقيقة في قول بعضهم ، ومعه صاحب له فقيل : إنه يدعي الربوبية وصُلبَ هو وصاحبه ثلاثة أيام كل يوم من بكرة إلى انتصاف النهار ، ثم يؤمر بهما إلى الحبس . وسنذكر أخباره واختلاف الناس فيه عند صلبه . وفيها في صفر عزل ابو الهيجاء عبدالله بن حمدان عن الموصل ، وقلد يمن الطولوني المعونة بالموصل ، ثم صرف عنها في هذه السنة واستعمل عليها تحرير الخادم الصغير . وفيها خالف ابو الهيجاء عبدالله بن حمدان على المقتدر فسير إليه . مؤنساً المظفر وعلى مقدمته ، بني بن نفيس ، خرج إلى الموصل منتصف صفر ومعه جماعة من القواد وخرج مؤنس في ربيع الأول. فلما علم أبو الهيجاء بذلك قصد مؤنساً مستأمناً من تلقاء نفسه وورد معه إلى بغداد فخلع المقتدر عليه . وفيها توفي دميانة أمير الثغور ، وبحر الروم وتقلّد مكانه ابن بَلَكَ .

ذكر قتل الأمير أبي نصر أحمد بن اسماعيل السّاماني وولاية ولده نصر

وفي هذه السنة قتل الأمير أحمد بن اسماعيل بن أحمد السَّاماني صاحب خراسان وما وراء النهر . وكان مولعاً بالصيد ، فخرج إلى فربر متصيداً ، فلما انصرف

أمر باحراق ما اشتمل عليه عسكره وانصرف . فورَدَ عليه كتاب نائبه بطبرستان – وهو أبو العباس صعلوك –وكان يليها بعد وفاة ابن نوح بها يخبره بظهور الحسن بن عليّ العلوي الأطروش بها ، وتغلبه عليها وأنه أخرجه عنها فغمٌ ذلك أحمد وعاد إلى معسكره الذي أحرقه ، فنزل عليه فتطير الناس من ذلك . وكان له أسد يربطه كل ليلة على باب مبيِته ، فلا يجسر أحد أن يقربه فأغفلوا احضار الأسد تلك الليلة فدخل اليه جماعة من غلمانه فذبحوه على سريره وهربوا ، وكان قتله ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثمائة فحُمِل إلى بخارى، فدفن بها ولقبَ حينئذ بالشهيد . وطلب أولئك الغلمان فأخذ بعضهم فقتل ، وولى الأمر بعده ولده أبو الحسن نصر بن أحمد وهو ابن ثمان سنين ، وكانت ولايته سنة وثلاثة وثلاثين يوماً . وكان موته في رجب سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ولقب بالسعيد ، وبايعه أصحاب أبيه ببخارى بعد دفن أبيه . وكان الذي تولى ذلك أحمد بن محمد بن الليث ، وكان متولي أمر بُخارى فحملَه على عاتقه وبايعَ له الناس ، ولما سمله خَدَم أبيه ليظهرَ للناس . خافهم وقال : أتريدون أن تقتلوني كما قتلتم أبي ، فقالوا :لا إنما نريد أن تكون موضع أبيك أميراً . فسكنَ روعةُ ، واستصغر الناس نصراً واستضعفوه وظنوا أن أمره لا ينتظم مع قوة عم أبيه الأمير اسحاق بن أحمد – وهو شيخ السامانية وهو صاحب سمرقند – وميل الناس بما وراء النهر سوى بُخارى إليه وإلى أولاده ، وتولى تدبير دولة السعيد نصر بن أحمد أبو عبدالله محمد بن أحمد الجيهاني فأمضى الأمور وضبط المملكة ، ، اتفق هو وحشم نصر بن أحمد على تدبير الأمر فأحكموه .

ومع هذا فإن أصحاب الأطراف طمعوا في البلاد فخرجوا من النواحي على ما

نذكره . فممن خرج عن طاعته أهل سجستان وعم أبيه إسحاق بن أحمد بن أسد بسمرقند وابناه منصور ، وإلياس ابنا اسحاق ، ومحمد بن الحسين بن مت ، وأبو الحسن بن يوسف . والحسين بن عليّ المروروذي ، ومحمد بن جيد ، وأحمد بن سهل ، وليلى بن نعمان

صاحب العلويين بطبرستان ، ووقعة سيمجور مع أبي الحسن بن الناصر، وقراتكين ، وما كان بن كالي ، وخرج عليه اخوته يحيى ومنصور وإبراهيم أولاد أحمد بن إسماعيل وجعفر بن أبي جعفر وابن داود ومحمد بن إلياس ، ونصر بن محمد بن مت ، ومرداويج ،.وشمكير ابنا زيار . وكان السَّعيد مظفراً منصوراً عليهم .

ذكر أمر سجستان

ولما قتل الأمير أحمد بن إسماعيل خالف أهل سجستان على ولده نصر وانصرف

عنها سيمجور الدواتيِ فولاّها المقتدر بالله بدراً الكبير . فأنفذ إليها الفضل بن حميد ، وأبا يزيد خالد بن محمد المروزي . وكان عبيدُ الله بن احمد الجيهاني ببست والرخج ، وسعد الطالقاني بغزنة من جهة السعيد نصر بن أحمد ، فقصدهما الفضل ، وخالد وانكشفَ عنهما عبيد الله وقبضا على سعد الطالقاني ، وأنفذاه إلى بغداد ، واستولى الفضل وخالد على غزنة ، وبست ثم اعتل الفضل وانفرد خالد بالأمور وعصي على الخليفة فانفذ اليه دركا أخا نجح الطولوني فقاتله فهزمه خالد ، وسار خالد إلى كرمان ، فانفذ إليه بدر جيشاً فقاتلهم خالد فجُرِحَ وانهزم أصحابه وأخذ هو أسيراً فمات فحمل رأسه إلى بغداد .

ذكر خروج اسحاق بن أحمد وابنه إلياس

وفي هذه السنة – وهي إحدى وثلاثمائة –خرج على السعيد نصر بن أحمد بز إسماعيل عم أبيه اسحاق بن احمد بن أسد وابنه إلياس ، وكان إسحاق بسمرقند لما قتل أحمد بن اسماعيل وولي ابنه نصر بن أحمد فلما بلغه ذلك عصي بها وقام ابنه إلياس بأمر الجيش وقوّي أمرهما ، فساروا نحو بُخارى فسار إليه حمويه بن عليّ في عسكر ، وكان ذلك في شهر رمضان فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم إسحاق إلى سمرقند ، ثم جمع وعاد مرة ثانية فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم اسحاق ايضاً وتبعه حمويه إلى سمرقند فملكها قهراً ، واختفى إسحاق وطلبه حمويه ووضع عليه العيون والرصد ، فضاق بإسحاق مكانه فاظهر نفسه واستأمن إلى حمويه فأمنه وحمله إلى بُخارى فأقام بها إلى أن مات . وأما ابنه إلياس فإنه سار إلى فرغانة وبقي بها إلى أن خرج ثانياً .

ذكر ظهور الحسن بن علي الأطروش

وفيها استولى الحسن بن علف بن الحسن بن عمر بن عليّ بن الحُسين بن علف بن أبي طالب على طبرستان وكان يلقب بالناصر . وكان سبب ظهوره ما نذكره . وقد ذكرنا فيما تقدم عصيان محمد ببن

هارون على أحمد بن اسماعيل وهربه منه وغير ذلك ، ثم أن الأمير أحمد بن اسماعيل استعمل على طبرستان أبا العباس عبدالله بن

محمد بن نوح ، فأحسن فيهم السيرة وعدَل فيهم ، وأكرم من بها من العلويين ، وبالغ في الاحسان إليهم وراسل رؤساء الديلم ، وهاداهم ، واستمالهم . وكان الحسن بن يئ الأطروش قد دخل الديلم بعد قتل محمد بن زيد وأقام بينهم نحو ثلاثة عشرةَ سنة يدعوهم إلى الاسلام ويقتصر منهم على العُشر ، ويدافع عنهم ابن حسان ملكهم فأسلم منهم خلق كثير، واجتمعوا عليه وبنى في بلادهم مساجدَ . وكان للمسلمين بإزائهم ثغور مثل قزوين . وسالوس ، وغيرهما ، وكان بمدينة سالوس حصن منيع قديم فهدَمه الأطروش حين أسلم الديلم والجيل .

ثم إنه جعل يدعوهم إلى الخروج معه إلى طبرستان فلا يجيبونه إلى ذلك إلا حسان بن نوح ، فأتفق أن الأمير أحمد عزل ابن نوح عن طبرستان ، وولاها سلاماً، فلم يحسن أهلها، وهاجَ عليه الدُّيلم فقاتلهم وهزمهم واستقال عن ولايتها فعزله الأمير أحمد ، وأعاد إليها ابن نوح ، فصَلُحَتْ البلاد معه ، ثم أنه مات بها واستعمل عليها ابو العباس محمد بن إبراهيم صعلوك فغير رسوم ابن نوح وأساء السيرة ، وقطع عن رؤساء الديلم ما كان يهديه إليهم ابن نوح ، فانتهز الحسن بن علف الفرصة وهيج الديلم عليه ودعاهم إلى الخروج معه فأجابوه وخرجوا معه . وقصدهم صعلوك ، فالتقوا بمكان يسقَى نوروز– وهو على شاطىء البحر على يوم من سالوس – فانهزم ابن صعلوك وقُتِلَ من أصحابه نحو أربعة آلاف رجل . وحصر الأطروش الباقين ثم أمنهم على أموالهم وأنفسهم وأهليهم ، فخرجوا إليه فأمنهم وعاد عنهم إلى آمل . وانتهى إليهم الحسن بن القاسم الداعي العلوي ، وكان ختن الأطروش ، فقتلهم عن آخرهم ، لأنه لم يكن أمنَّهم ولا عاهدهم . واستولى الأطروش على طبرستان ، وخرج صعلوك إلى الري وذلك سنة إحدى وثلاثمائة، ثم سار منها إلى بغداد .

وكان . الأطروش قد أسلم على يده من الديلم الذين هم وراء أسفيدروذ إلى ناحية

آمل ، وهم يذهبون مذهب الشيعة . وكان الأطروش زيديٍّ لمذهب شاعراً مفلقاً ظريفاً علاّمة إماماً في الفقه والدين كثيرَ المجونِ حَسَنُ النادرة حُكِيَ عنه أنه استعمل عبدالله بن المبارك على جرجان ، وكان يرمي بالابنة فاستعجزه الحسن يوماً في شغل له وأنكر عليه فقال : " أيها الأمير أنا أحتاج إلى رجال أجلاد يعينوني ، . فقال :قد بلغني

ذلك ، وكان سبب صممه أنه ضرب على رأسه بسيف في حرب محمد بن زيد فطُرِشَ ، وكان له من الأولاد الحسن ، وأبو القاسم ، والحسين فقال يوماً لابنه الحسن : يا بني ، ههنا شيء من الغراء نلصق به كاغدا فقال لا إنما ههنا بالخاء فحقدها عليه ، ولم يوله شيئاً ، وولى ابنيه ابا القاسم ، والحسين .

وكان الحسن ينكر تركه معزولاً ويقول : أنا أشرف منهما لأن أمي حَسنية وأمهما

أمة ، وكان الحسن شاعراً وله مناقضات مع ابن المعتز ، ولحِقَ الحسن بابن أبي السًاج ، فخرج معه يوماً متصيداً ، فسقط عن دابته فبقي راجلاً فمرّ به ابن ابي السَّاج فمال له : اركبْ معي على دابتي . فقال : أيها الأمير لا يصلح بطلان على دابة . ذكر القرامطة وقتل الجنابي

في هذه السنة قتل أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي كبير القرامطة قتله خادم له صقلبي نجي الحمام (ا) فلما قتله استدعى رجلاً من أكابر رؤسائهم وقال له : السيد يستدعيك فلما دخل قتله ففعل ذلك بأربعة نفر من رؤسائهم واستدعى الخامس ، فلما دخل فطِنَ لذلك فأمسك بيد الخادم ، وصاح ، فدخل الناس وصاح النساء وجرى بينهم وبين الخادم مناظرات ، ثم قتلوه . وكان أبو سعيد قد عهد إلى ابنه سعيد وهو الأكبر، فعجز عن الأمر فغلبه أخوه الأصغر أبو طاهر سُليمان ، وكان شهماً شجاعاً وسيرِدُ من أخباره ما يعلم به محله .

ولما قتل أبو سعيد كان قد استولى على هجر ، والإِحساء والقطيف والطائف ،

وسائر بلاد البحرين . وكان المقتدر قد كتب إلى أبي سعيد كتاباً ليناً في معنى من عنده من أسرى المسلمين ويناظره ويقيم الدليل على فساد مذهبه ، ونفذه مع الرسل ، فلما وصل إلى البصرة بلغهم خبر موته فأعلموا الخليفة بذلك ، فأمرهم بالمسير إلى ولده ، فأتوا أبا طاهر بالكتاب ، فأكرم الرسل وأطلق الأسرى ونفذهم إلى بغداد وأجاب عن الكتاب .

(1) كان اصله كيالاً فهرب واستغوى خلقاً من القرامطة والأعراب وغلب على العطيف . وهجر وشغل المعتضد عنه الموت فاستفحل أمره ووقع له مع عساكر المكتفى وقائع وأمور وقتل الحجيج وأفسد البلاد وفعل ما لا يفعله مسلم . قتله خادم له صقلبى فى الحمام أراده على الفاحشة فخنقه الخادم وقتل قاضى الدينور .

ذكر مسير جيش المهدي إلى مصر

في هذه السنة جهز المهدي العساكرَ من أفريقية وسيرها مع ولده أبي القاسم إلى الديار المصرية ، فساروا إلى برقة ، واستولوا عليها في ذي الحجة . وساروا إلى مصر فملك الاسكندرية والفيوم ، وصار في يده أكثر البلاد وضيَّق على أهلها . فسيّر اليها المقتدر بالله مؤنساً الخادم في جيش كثيف ، فحاربهم وأجلاهم عن مصر فعادوا إلى المغرب مهزومين .

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة كَثُرَتْ الأمراضُ الدموية بالعراق ، ومات بها خلق كثير ، وأكثرهم بالحربية ، فإنها أغلقت بها دَورٌ كثيرة لفناء أهلها .

وفيها توفّي جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي ببغداد(١) والقاضي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر المقدمي الثقفي .

(1) هو ابو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض المعروف بالفاريابى وكان عالماً عظيماً .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثمائة

في هذه السنة أمر علف بن عيسى الوزير بالمسير إلى طرسوس لغزو الصائفة فسار في ألفي فارس معونة لبشر الخادم والي طرسوس فلم يتيسر لهم غزو الصائفة، فغزوها شاتية ، في برد شديد وثلج . وفيها تنحَّى الحسن بن علىّ الأطروش العلوي عن آمل ، بعد غلبته عليها كما ذكرناه . وسار إلى سالوس ، ووجه إليه صعلوك جيشاً من الري فلقيهم الحسن وهزمهم ، وعاد إلى آمل . وكان الحسن بن علىّ حسن السيرة عادلاً ، ولم ير الناس مثله في عدله وحُسْنِ سِيرته ، ط قامته الحق ، وقد ذكره ابن مسكويه في كتاب تجارب الأمم ، فقال : الحسن بن علي الداعي ، وليس به إنما الداعي علف بن القاسم وهو ختن ، هذا على ما ذكرناه . وفيها قبض المقتدر على أبي عبد الله الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص الجوهري وأخذ ما في بيته من صنوف الأموال ، وكان قيمته أربعة آلاف دينار . وكان هو يدعي أن قيمة ما أخذ منه عشرونَ ألف ألف دينار ، وأكثر من ذلك .

ذكر مخالفة منصور بن إسحاق

وفي هذه السنة خالف منصور بن إِسحاق بن أحمد بن أسد على الأمير نصر بن أحمد . ووافقه على المخالفة الحسين بن علي المروزي . ومحمد بن حيد . وكان سبب ذلك أن الحسين بن علف لما افتتح سجستان الدفعة الأولى على ما ذكرناه للأمير أحمد بن إسماعيل ، طمِعَ أن يتولاها، فوليها منصور بن إسحاق هذا فخالف أهلها وحبسوا منصوراً . فأنفذ الأمير أحمد علياً أيضاً فافتتحها ثانياً، وطمع أن يتوّلاها فوليَها سيمجور ، وقد ذكرنا هذا جميعه . فلما وليَهَا سيمجور ، استوحش علي لذلك ونَفَر منه وتحدث مع منصور بن اسحاق في الموافقة والتعاضُدِ بعد موت الأمير أحمد ، وتكون

إمارة خراسان لمنصور ، ويكون الحُسينَ بن علىّ خليفته على أعماله فاتفقا على ذلك ، فلما قتل الأمير أحمد بن إسماعيل كان منصور بن إسحاق بنيسابور ، والحسين بُهراة ، فأظهر الحسين العصيان ، وسار إلى منصور يحثَّهُ على ما كانا اتفقا عليه ، فخَالفَ أيضاً ، وخطب لمنصور بنيسابور . فتوجه إليها من بُخارى حمويه بن عليّ في عسكر ضخم لمحاربتهما . فأتفق أن منصوراً مات ، فقيل : إن الحسين بن علىّ سمه . فلما قاربه حمويه سار الحُسين بن عليّ عن نيسابور إلى هُراة ، وأقام بها . وكان محمد بن حيد على شرطة بُخارى مدة طويلة ، فسير من بُخارى إلى نيسابور ، لشغل يقوم به فورَدَها، ثم عاد عنها بغير أمر. فكتب إليه من بُخارى بالإنكار عليه فخاف على نفسه ، فعدل عن الطريق إلى الحسين بن عليّ بهراة . فسار الحسين بن عليّ من هراه إلى نيسابور ، واستخلف بهُراه أخاه منصور بن عليّ ، واستولى على نيسابور . فسير من بُخارى إليه أحمد بن سهل لمحاربته ، فابتدأ أحمد بُهراة فحصرها ، وأخذها واستأمن إليه منصور بن علف ، وسار أحمد من هُراة إلى نيسابور ، وكان وصولَه إليها في ربيع الأول سنة ست وثلاثمائة ، فنازل الحُسين وحصره ، وقاتله ، فانهزم أصحاب الحسين ، وأسَرَ الحُسين بن علىّ، وأقام أحمد بن سهل بنيسابور . وكان ينبغي أن نذكر استيلاء أحمد على نيسابور وأسر الحسين سنة ست وثلاثمائة ، لكن رأينا أن نجمع سياق الحادثة لئلا ينسى أولها.

وأما ابن حيد، فانه كان بمروَ فلما بلغه استيلاء أحمد بن سهل على نيسابور ، وأسره الحسين بن علىّ سار إليه ، فقبض عليه أحمد ، وأخذ ماله وسواده وسيره والحسين بن عليّ إلى بُخارى . فأما ابن حيد فإنه سير إلى خوارزم ، فمات بها . وأما الحسين بن علف فانه حُبِس ببُخارى إلى أن خلَّصه أبو عبد الله الجيهاني ، وعاد إلى خدمة الأمير نصر بن أحمد . فبينما هو يوماً عنده إذ طلبَ الأمير نصر ماء ، فأتى بماء في كوز غير حسن الصنعة ، فقال الحسين بن علىّ لأحمد بن حمويه ، وكان حاضراً : ألا يهدي والدُك إلى الأمير من نيسابور من هذه الكيزان اللطافِ النظاف ؟ فقال أحمد : انما يهدي أبي إلى الأمير مثلك

ومثل أحمد بن سهل ، ومثل ليلى الديلمي لا الكيزان ، فاطرق الحسين مفحماً، وأعجب نصراً قوله .

ذكر خبر مصر مع العلوي المهدي

وفيها أنفذ أبو محمد عبيدَ الله العلوي الملقب بالمهدي جيشاً من أفريقية مع قائد

من قوّاد يقال له : حباسة إلى الأسكندرية، فغلب عليها ، وكان مسيره في البحر ، ثمٍ سار منها إلى مصر فنزل بين مصر والاسكندرية، فبلغ ذلك المقتدر، فأرسل مؤنسا الخادم في عسكر إلى مصر لمحاربة حُباسة وأمدُّهُ بالسِّلاح والمال . فسار إليها فالتقى العسكران في جمادى الاولى فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل من الفريقين جمع كثير وجرح مثلهم ؛ ثم كان بينهم وقعة أخرى بنحوها ثم وقعة ثالثة ورابعة، فانهزم فيها المغارِبَة أصحاب العلوي ، وقتلوا وأسروا . فكان مبلغ القتلى سبعة آلاف مع الأسرى وهرب الباقون . وكانت هذه الوقعة سلخ جمادى الآخرة ، وعادوا إلى الغرب . فلما وصلوا إلى الغرب قَتَلَ المهديُّ حُباسة . وفيها خالف عروبة بن يوسف الكُتامي على المهدي بالقيروان ، واجتمعٍ إليه خلقٌ كثير من كُتامة والبرابر ، فأخرجَ المهديُ إِليهم مولاه غالباً فاقتتلوا قتالاً شديدا في محضر القيروان ، فقتل عروبة وبنو عمه وقتل معهم عالمٌ لا يحصون . وجمعت رؤوس مقدميهم في قفة وحُمِلَتْ إلى المهدي فقال : ما أعجَب أمورَ الدنيا قد جَمَعَتْ هذه القفةُ رؤوس هؤلاء ، وقد كان يضيق بعساكرهم فضاء المغرب .

ذكر عدة حوادث

فيها غزا بِشْرُ الخادم والي طرسوس بلاد الروم ، ففتح فيها وغَنَمَ وسبى وأسَرَ مائة وخمسين بطريقاً ، وكان السبي نحواً من ألفي رأس ؛ وفيها أوقع مؤنس الخادم بناحية وادي الذئاب بمن هنالك من الأعراب من بني شيبان فقتل منهم خلقاً كثيراً ونهب بيوتهم فأصاب فيها من أموال التجَّار التي كانوا أخذوها بقطع الطريق ما لا يحصى . وفيها في ذي الحجَة ماتت بدعة المغنية مولاة غريب (ا) مولى المأمون . وفيها في ذي الحجَّة خرجت الأعراب من الحاجز على الحجاج ، فقطعوا عليها الطريق ، وأخذوا من العين

(١) فى الطبرى " مولاة عريب " بالعين المهملة قال : ماتت لست خلون من ذى الحجة وصلى عليها ابو بكر بن المهتدى وخلفت مالاً كثيراً وجوهراً وضياعاً وعقارات فأمر المقتدر بالله يقبض ذلك كله وتوفيت ولها ستون سنة ما ملكها رجل قط .

وما معهم من الأمتعة والجمال ما أرادوا وأخذوا مائتين وخمسين امرأة . وحج بالناس هذه السّنة الفضل بن عبد الملك . وفيها قلد أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان الموصل . وفيها مات الشاه بن ميكال . وفيها في ليلة الأضحى انقضَّ ثلاثة كواكب كبار اثنان أول الليل ، وواحد آخره سوى كواكب صغار كثيرة ، وإلى آخر هذه السنة انتهى تاريخ أبي جعفر الطبري ، رحمه الله . ورأيْتُ في بعض النسخ إلى اخر سنة ثلاث وثلاثمائة ، وقيل : ان سنة ثلاث زيادة فيه ، وليست من تاريخ الطبري والله أعلم ، وفيها توفي اسحاق بن أبي حسَّان الأنماطي ، وابراهيم بن شريك وأبو عيسى بن القزاز ، وأبو العباس البراني . وعليّ بن محمد بن نصر بن بسَّام الشاعر ، وله نيف وسبعون سنة .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثمائة

ذكر أمر الحسين بن حمدان

في هذه السنة خَرَجَ الحُسين بن حمدان بالجزيرةِ عن طاعة المقتدر ، وسبب ذلك ان الوزير علىّ بن عيسى طالبه بمال عليه من ديار ربيعة – وهو يتولاها – فدافعه فأمره بتسليم البلاد إلى عمال السُّلطان فأمتنع . وكان مؤنس الخادم غائباً بمصر لمحاربة عسكر المهديّ العلويّ صاحب أفريقية ، فجهَّز الوزيرُ رائقاً الكبيرَ في جيشِ وسيره إلى الحسين بن حمدان. وكتب إلى مؤنس يأمره بالسَّير إلى ديار الجزيرة لقتال الحُسين بعد فراغِهِ من أصحاب العلويّ . فسار رائق إلى الحسين بن حمدان ، وجمع لهم الحسين نحو عشرين الف فارس ، وسار إِليهم فوصل إلى الحبشة ، وهم قد قاربوها . فلما رأوا كثرةَ جيشه عَلمُوا عجزَهُم عنه لأنهم كانوا أربعة آلاف فارس ، فانحازوا إلى جانب دَجلة، ونزلوا بموضع ليس له طريق إلّا من وجه واحد. وجاء الحسين فنزل عليهم وحصرهم ، ومنع الميرة عنهم من فوق ومن أسفل ، فضاقت عليهم الأقوات والعلوفات . فأرسلوا إليه يبذلون له أن يوليه الخليفة ما كان بيده ويعود عنهم فلم يجبْ إلى ذلك ، ولزم حصارهم ، وأدامِ قتالهم إلى أن عاد مؤنس من الشام . فلما سمعِ العسكر بقربِهِ قَويت نفوسَهُم وضعُفت نفوسُ الحسين ومن معه فخرج العسكر إليه ليلاً وكبسوه ، فانهزم وعاد إلى ديار ربيعة ، وسار العسكر فنزلوا على الموصل ، وسمع مؤنس خبر الحسين فجدَّ مؤنس في المسِير نحوه ، واستصحب معه أحمد بن كيغلغ . فلما قَرُبَ منه راسله الحسين يعتذر وترددت الرُّسل بينهما فلم يستقر حال . فرحل مؤنس نحو الحسين حتى نزل بإزاء جزيرةِ ابن عمر .

ورحل الحسين نحو أرمينية معٍ ثقله وأولاده وتفرّق عسكر الحسين عنه ، وصاروا إلى مؤنس . ثم إن مؤنساً جهَّز جيش! في أثر الحسين مقدمهم بليق ومعه سيما الجزري

وجنى الصفواني فتبعوه إلى تل فافان فرأوها خاوية على عروشِها قد قتل أهلها وأحرقها . فجدُّوا في اتباعه ، فأدركوه فقاتلوه فانهزم من بقي معه من أصحابه واسِرَ هو ومعه ابنه عبد الوهاب وجميع أهله ، وأكثر من صحبه وقبض أملاكه . وعاد مؤنس إلى بغداد على الموصل والحسين معه فأركب على جمل هو وابنه ، وعليهم البرانس واللبود الطوال وقمصان من شعر أحمر ، وحُبسَ الحسين وابنه عند زيدان القهرمانة . وقبض المقتدر على أبي الهيجاء بن حمدان وعلى جميع اخوته وحبسوا . وكان قد هرب بعض أولاد الحسين بن حمدان فجمع جمعاً ومضى نحو آمد فأوقع بهم مستحفظها، وقتل ابن الحسين وأنفذ رأسه إلى بغداد .

ذكر بناء المهدية

في هذه السنة خرج المهديّ بنفسه إلى تونس . وقرطاجنة وغيرهما ، يرتاد موضعاً على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة . وكان يجِدُ في الكتب خروج أبي يزيد على دولته ومن أجله بني المهدية ، فلم يجد موضعاً أحسن ولا أحصن من موضع المهدية – وهي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصل بزند– فبناها، وجعلها دار مُلكِهِ وجعل لها سوراً محكماً وأبواباً عظيمة ، وزنُ كل مصراع مائة قنطار ، وكان ابتداء بنائها يوم السبت لخمس خلون من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة . فلما ارتفع السور أمر رامياً يرمي بالقوس سهماً إلى ناحية المغرب فرس سهمه فانتهى إلى موضع المصلى فقال إلى موضع : هذا يصل صاحب الحمار– يعني أبا يزيد الخارجي – لأنه كان يركبُ حماراً، وكان يأمر الصناع بما يعملون . ثم أمر أن ينقر دار صناعة في الجبل تسع مائتي شيني وعليها باب مغلق . ونقر في أرضها اهراء للطعام ومصانع للماء ، وبنى فيها القصور والدور . فلما فرغ منها قال : اليوم أمنت على الفاطميات –يعني بناته –وارتحل عنها . ولما رأى اعجاب الناس بها وبحصانتها كان يقول : هذا لساعة من نهار، وكان كذلك لأن أبا يزيد وصل إلى موضع السهم ووقف فيه ساعة ، وعاد ولم يظفر .

ذكر عدة حوادث

فيها أغارت الروم على الثغور الجزرية ، وقصدوا حصن منصور وسبوا من فيه وجرى على الناس أمر عظيم ، وكانت الجنود متشاغلة بأمر الحسين بن حمدان . وفيها عاد الحجاج وتد لقوا من العطش والخوف شدة ، وخرج جماعة من العرب على أبي

حامد ورقاء بن محمد المرتب على الثعلبية لحفظ الطريق ، فقَاتلهم وظفر بهم ، وقتل جماعة منهم وأسر الباقين ، وحملهم إلى بغداد ، فأمر المقتدر بتسليمهم إلى صاحب الشرطة ليحسبهم ، فثارت بهم العامة فقتلوهم وألقوهم في دجلة . وفيها ظهر بالجامدة انسان زعم أنه علوي فقتل العامل بها، ونهبها وأخذ من دار الخراج أموالا كثيرة ، ثم قتل بعد ظهوره بيسير وقتل معه جماعة من أصحابه ، وأسر جماعة . وفيها ظهرت الروم وعليهم الغثيط ، فأوقعوا بجماعةٍ من مقاتلة طرسوس والغزاة ، فقتلوا منهم نحو ستمائة فارس ، ولم يكن للمسلمين صائفة . وفيها خرج مليح الأرمني إلى مرعش ، فعاث في بلدها ، وأسر جماعة مس حولها وعاد . وفيها وقع الحريق ببغداد في عدة مواضع فاحترق كثير منها . وفيها توفّي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي صاحب كتاب السنن بمكة، ودفن بين الصفا والمروة، والحسن بن سفيان النسوي (١). وفيها توفَي أبو بكر محمد بن عينونة بنصيبين ، وكان يتبرك أعمال الخراج والضياع بديار ربيعة، ولما توفِّي ولي ابنه الحسن مكانه . وفيها توفي أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي المعتزلي (2) . وفيها توفّي يموت بن المُزَرع العبدي ، وهو ابن أخت الجاحظ ، توفي بدمشق وحج بالناس هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

(١) هو الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء أبو العباس الشيباني النسوي محدث خراسان ومصنف المسند كان يضرب إليه آباط الابل في معرفة الحديث والفقه وكان يفتي بمذهب أبي ثور.

(2) كان شيخ المعتزل في عصره ورأساً في علم الكلام أخذ العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحّام البصري ، وعليه اشتغل أبو الحسن الأشعري ، ثم رجع عنه ورد عليه رداً معقولاً سفه مذهب الاعتزال .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثمائة

ذكر عزل ابن وهسوذان عن أصبهان

في هذه السنة في المحرَّم أرسل عليّ بن وهسوذان – وهو متولي الحرب بأصبهان – غلاماً كان رباه وتبناه إلى أحمد بن شاه متولي الخراج –في حاجة ، فلقيه راكباً فكلمه في حاجة مولاه ، ورفع صوته فشتمه أحمد وقال : يا مؤاجر تكلمني بهذا على الطريق وحرد عليه ، فعاد إلى مولاه باكياً وعرفه ذلك فقال : صدق لولا أنك مؤاجر لقتلته ، فعاد الغلام فلقيه ، وهو راكب فقتله . فأنكر الخليفة ذلك وصرف عليّ بن وهسوذان عن أصبهان وولى مكانه أحمد بن مسرور البلخيّ ، وأقام ابن وهسوذان بنواحي الجبل .

ذكر وزارة ابن الفرات الثانية وعزل عليّ بن عيسى

في هذه السّنة في ذي الحجة عُزل عليّ بن عيسى عن الوزارة ، وأعيدَ إليها أبو الحسن علىّ بن الفرات . وكان سبب ذلك أن أبا الحسن بن الفرات كان محبوساً، وكان المقتدر يشاوره وهو في محبسه ويرجع إلى قوله ، وكان عليّ بن عيسى يمشي أمر الوزارة ولم يتبع أصحاب ابن الفرات وأسبابه ولا غيره . وكان جميل المحضر قليل الشر، فبلغه أن أبا الحسن بن الفرات قد تحدَّث له جماعة من أصحاب الخليفة في إعادته إلى الوزارة ، فشرع واستعفى من الوزارة وسأل في ذلك ، فأنكر المقتدر عليه ومنعه من ذلك فسكن . فلما كان آخر ذي القعدة جاءته أم موسى القهرمانة لتتفق معه على ما يحتاج حرم الدار والحاشية التي للدار من الكسوات ، والنفقات فوصلت إليه وهو نائم فقال لها حاجبه : إنه نائم ولا أجسرُ أن أوقظه فأجلسي في الدار ساعة حتى يستيقظ فغضبت من هذا وعادت . واستيقظ علىّ بن عيسى في الحال فأرسل إليها حاجبه ، وولده يعتذر فلم تقبل منه . .ودخلت على المقتدر وتخرَّصت على الوزير عنده

وعند أمه ، فعزله عن الوزارة، وقبض عليه ثامن ذي القعدة وأعِيدَ ابن الفرات إلى الوزارة . وضمن على نفسه أن يحمل كل يوم إلى بيت المال ألف دينار وخمسمائة دينار . فقبض على أصحاب الوزير عليّ بن عيسى ، وعاد فقبض على الخاقاني الوزير وأصحابه . واعترض العمال ، وغيرهم وعاد عليهم بأموال عظيمة ليقومَ بما ضمنه . وكان علىّ بن عيسى قد تعجل بمال من الخراج لينفقه في العيد فاتسعَ به ابن الفرات . وكان قد كاتب العمال بالبلاد كفارس والأهواز وبلاد الجبل وغيرها في حمل المال ، وحثَّهم على ذلك غاية الحثِّ بعد قبضه فأدَّعى ابن الفرات الكفاية، والنهضة في جمع المال . وكان أبو علي بن مقلة مستخفياً مذ قبض ابن الفرات إلى الآن ، فلما عاد ابن الفرات إلى الوزارة ظهر فأشخصه ابن الفرات وقرّبَهُ .

ذكر أمر يوسف بن أبي السَّاج

كان يوسف بن أبي السَّاج س اذربيجان وأرمينية قد وَليَ الحربَ والصلاة والأحكام وغيرها منذ أول وزارة ابن الفرات الأولى وعليه مال يؤديه إلى ديوان الخلافة . فلما عزل ابن الفرات وولي الخاقاني الوزارة وبعده عليّ بن عيسى طمع فاخر حمل بعض المال ، فاجتمع له ما قويت به نفسه على الامتناع وبقي كذلك إلى هذه السَّنة . فلما بلغه القبض على الوزير عليّ بن عيسى أظهر أن الخليفة أنفذ له عهداً بالرمي وأن الوزير عليّ بن عيسى سعى له في ذلك فأنفذه إليه ، وجمع العساكر وسار إلى الري ، وبها محمد بن علي صعلوك يتولّى أمرها لصاحب خراسان ، وهو الأمير نصر بن أحمد بن إسماعيل السّاماني .

وكان صعلوك قد تغلب على الري وما يليها أيام وزارة علي بن عيسى ثم أرسل

إلى ديوان الخلافة فقاطع عليها بمال يحمله . فلما بلغه مسيرَ يوسف بن أبي السَّاج نحوه سار إلى خراسان ، فدخل يوسف الري واستولى عليها وعلى قزوين وزنجان وأبهر . فلما بلغ المقتدر فعله وقوله : إن علىّ بن عيسى أنفذ له العهد واللواء بذلك ، فأنكره

واستعظمه ، وكتب يوسف إلى الوزير ابن الفرات يعرفه أن عليّ بن عيسى أنفذ إليه بعهده على هذه الأماكن وأنه افتتحها وطرد عنها المتغلبين عليها ، ويعتذر بذلك ويذكر كثرة ما أخرجه . فعظم ذلك على المقتدر وأمر ابن الفرات أن يسأل علىّ بن عيسى عن الذي ذكره يوسف فأحضره وسأله فأنكر ذلك . وقال : "سَلُوا الكتَّابَ وحاشيةَ الخليفة فإن

العهد واللواء لا بد أن يسير بهما بعض خدم الخليفة أو بعض قوّاده " . فعلموا صدقه . وكتب ابن الفرات إلى ابن أبي السَّاج ينكر عليه تعرضه إلى هذه البلاد وكذبه على الوزير علىّ بن عيسى . وجهز العساكر لمحاربته ،وكان مسير العساكر سنة خمس وثلاثمائة، وكان المقدم على العسكر خاقان المفلحي ومعه جماعة من القوّاد، كأحمد بن مسرور البلخي وسيما الجزري وتحرير الصغير، فساروا ، والتقوا بيوسفَ واقتتلوا فهزمهمٍ يوسف وأسر منهم جماعة وأدخلهم الري مشهورين على الجمال . فسير الخليفة مؤنسا الخادم في جيش كثيف إلى محاربته فسار وانضم إليه العسكر الذي كان مع خاقان . فصرف خاقان عن أعمال الجبل ووليها تحرير الصغير . وسار مؤنس فأتاه أحمد بن عليّ –وهو أخو محمد بن علي صعلوك –مستأمناً فأكرَمَهُ ، ووصله . وكتب ابن أبي السَّاج يسال الرضا ، وأن يقاطع على أعمال الري ، وما يليها على سبعمائة الف دينار . لبيت المال سوى ما يحتاج إليه الجند وغيرهم ، فلم يجبه المقتدر إلى ذلك ، ولو بذل ملء الأرض لما أقرهُ على الري يوماً واحداً لإقدامه على التزوير . فلما عرف ابن أبي السَّاج ذلك سار عن الري بعد أن أخربها ، وجبى خراجها في عشرة أيام ، وقلد الخليفة الري وقزوين وأبهر وصيفاً البكتمري . وطلب ابن أبي السَاج ان يقاطع على ما كان بيده من الولاية فأشار ابن الفرات بإجابته إلى ذلك ، فعارضه نصر الحاجب وابن الحواري وقالا : لا يجوز أن يجاب إلى ذلك إلا بعد أن يطأ البساط . ونسب ابن الفرات إلى موطأة ابن أبي السَّاج والميل معه ، فحصل بينهما وبين ابن الفرات عداوة فامتنع المقتدر من إجابته إلى ذلك إلى أن يحضر في خدمته بنفسه . فلما رأى يوسف أن دمهُ على خطر إن حضر لخدمته حارب مؤنساً ، فانهزم مؤنس إلى زنجان وقتل من قوّاده سيما بن بويه واسر جماعة منهم ، فيهم هلال بن بدر، فأدخلهم اردبيل مشتهرين على الجمال . وأقام مؤنس بزنجان يجمع العساكر ويستمد الخليفة وكاتبه ابن أبي السَّاج في الصلح وتراسلا في ذلك . وكتب مؤنس إلى الخليفة فلم يجبه إلى ذلك ، فلما كان في المحرّم سنة سبع وثلاثمائة ، والوزير

يومئذ حامد بن العباس اجتمع لمؤنس عسكر كبير فسار إلى يوسف فتواقعا على باب اردبيل ، فانهزم عسكر يوسف وأسر يوسف وجماعة من أصحابه ، وعاد بهم مؤنس إلى بغداد فدخلها في المحرَّم أيضاً . وأدخل يوسف أيضاً بغداد مشتهراً على جمل وعليه برنس بأذناب الثعالب فادخل إلى المقتدر ثم حبس بدار الخليفة عند زيدان القهرمانة . ولما ظَفِرَ مؤنس بابن أبي السَّاج قُلَّدَ على ابن وهسوذان

أعمال الري ودنباوند وقزوين وأبهر وزنجان ، وجعل أموالها لرجاله ، وقلد أصبهان . وقم وقاشان وساوه أحمد بن علف بن صعلوك ، وسار عن أذربيجان .

ذكر حال هذه البلاد بعد مسير مؤنس

لما سار مؤنس عن اذربيجان إلى العراق وثب سبك غلام يوسف بن أبيّ السَّاج

على بلاد اذربيجان فملكها واجتمع إليه عسكر عظيم . فأنفذ إليه مؤنس محمد ابن عبيد الله الفارقي وقلده البلاد . وسار إلى سبك وحاربه فانهزم الفارقي وسار إلى بغداد، وتمكن سبك من البلاد ، ثم كتب إلى الخليفة يسأل أن يقاطع على اذربيجان فأجيب إلى ذلك وقرر عليه كل سنة مائتان وعشرون الف دينار، وانفذت إليه الخلع والعهد، فلم يقف على ما قرره . ثم وثب احمد بن مسافر صاحب الطرم على ابن أخيه عليّ بن وهسوذان – وهو مقيم بناحية قزوين – فقتله على فراشه ، وهرب إلى بلده فاستعمل مكان عليّ بن وهسوذان وصيفاً البكتمري ، وقُلَّدَ محمد بن سليمان صاحب الجيش أعمال الخراج بها . وسار أحمد بن عليّ بن صعلوك من قم إلى الري فدخلها . فأنفذ الخليفة ينكر عليه ذلك ويأمره بالعود إلى قم فعاد . ثم أنه أظهر الخلاف وصرف عمال الخراج عن قم واستعد للمسير إلى الري فكوتب تحرير الصغير– وهو على همذان – ليسير هو ووصيف إلى الري لمنع أحمد بن عليّ عنها فساروا اليها . فلقيهم احمد بن عليّ على باب الري فهزمهم أحمد ، وقتل محمد بن سُليمان ، واستولى أحمد على الري . وكاتب نصراً الحاجب ليصلح أمره مع الخليفة ففعل ذلك ، وأصلح أمره . وقر عليه عن الري ودنباوند وقزوين وزنجان وأبهر مائة وستين ألف دينار محمولة كل سنة إلى بغداد . فنزل أحمد عن قم فاستعمل الخليفة عليها من ينظر فيها .

ذكر تغلب كثير بن أحمد على سجستان ومحاربته

كان كثير بن أحمد بن شهفور قد تغلب على أعمال سجستان . فكتب الخليفة

إلى بدر بن عبد الله الحمامي – وهو متقلد أعمال فارس – يأمره أن يرسل جيشاً يحاربون كثيراً ويؤمر عليهم دردا ويستعمل على الخراج بها زيد بن ابراهيم . فجهَّز بدر جيشاً كثيفاً وسيَّرهم ، فلما وصلوا قاتلهم كثير ، فلم يكن له بهم قوّة وضعف امره ، وكادوا

يملكون البلد. فبلغ أهل البلد، أن زيداً معه قيود وأغلال لأعيانهم ، فاجتمعوا مع كثير وشدُّوا منه ، وقاتلوا معه فهزموا عسكر الخليفة . واسروا زيداً فوجدوا معه القيود ، والأغلال ، فجعلوها في رجليه وعنقه . وكتب كُثَير إلى الخليفة يتبرأ من ذلك ويجعل الذنب فيه لأهل البلد . فأرسل الخليفة إلى بدر الحمامي يأمره أن يسير بنفسه إلى قتال كُثَير ، فتجهز بدر . فلما سمع كُثَير ذلك خاف فأرسل يطلب المقاطعة على مال يحمله كل سنة فأجيب إلى ذلك ، وقوطع على خمسمائة الف درهم ، وقررت البلاد عليه . ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في الصيف خافت العامة ببغداد من حيوان كانوا يسمونه الزبزب (1) ويقولون : انهم يَرونه في الليل على سطوحهم . وأنه يأكل أطفالهم وربما عضَّ يد الرجل وثدي المرأة فقطعهما وهرب بهما . فكان الناس يتحارسون ويتزاعقون ، ويضربون بالطشوت ، والصواني وغيرها ليفزعوه فارتخت بغداد لذلك ، ثم إن أصحاب السلطان صادوا ليلة حيواناً أبلق بسواد ، قصير اليدين والرجلين ، فقالوا : هذا هو الزبزب وصلبوه على الجسر فسكن الناس . وهذه دابة تسمى طبرة . وأصاب اللصوص حاجتهم لاشتغال الناس عنهم .

وفيها توفي الناصر العلويّ صاحب طبرستان في شعبان ، وعمر ه تسع وسبعون

سنة . وبقيت طبرستان في أيدي العلوية إلى أن قتل الداعي -وهو الحسن بن القاسم - سنة ست عشرة وثلاثمائة على ما نذكره . وفيها خالف أبو يزيد خالد بن محمد المادراني (2) على المقتدر بالله بكرمان . وكان يتولى الخراج ، وسار منها إلى شيراز يريد التغلب على فارس . فخرج إليه بدر الحمامي ، فحاربه وقتله وحمل رأسه إلى بغداد وطِيْفَ به (3).

(1) الزبزب بزاءين بينهما باء موحدة دابة كالسنور وهي بلقاء بسواد، قصيرة اليدين والرجلين ، كذا في حياة الحيوان وشرح القاموس ، ووقع في البداية والنهاية لابن كثير - 16 / 134 - الزرنب بالنون وهو تصحيف .

(2) الذى في صلة الطبرى " ابو يزيد خالد بن محمد الشعرانى "

(3) الذى في صلة الطبرى لعريب بن سعد " ان بدراً وجه إلى ابى يزيد خالد قائداً من قواده يعرى بدرك وضم إليه من جنده فارس عسكراً كثيراً وكتب بدر قبل إنفاذ الجيش إلى أبى يزيد يرغّبه فى الطاعة ويتضمن له العافية مع الأنهاض في المنزلة وخوفه وبال المعصية .

وفيها سار مؤنس المظفر إلى بلاد الروم لغزاة الصائفة . فلما صار بالموصل قلد

سبك المفلحي بازندي وقردى وقلَّد عثمان العنزي مدينة بلد وباعيناثا وسنجار. وقلَّد وصيفاً البكتمري باقي بلاد ربيعة . وسار مؤنس إلى ملطية وغزا فيها . وكتب إلى أبي القاسمٍ علىّ بن أحمد بن بسطام أن يغزو من طرسوس في أهلها ، ففعل وفتح مؤنس حصونا كثيرة من الروم ، وأثر آثاراً جميلة . وعتب عليه أهل الثغور وقالوا : لو شاء لفعل أكثر من هذا، وعاد إلى بغداد فأكرمه الخليفة وخلع عليه .

وفيها توفي يموت بن المزرع العبدي – وهو ابن أخت الجاحظ –(1) وسليمان بن محمد بن أحمد أبو موسى النحوي المعروف بالحامض ، أخذ العلم عن ثعلب (2)وكانت وفاته في ذي الحجة وكان من أصحاب ثعلب ، ويوسف بن الحسين بن علف بن يعقوب الرازي وهو من أصحاب ذي النون المصري ، وهو صاحب قصة الفأرة معه .

= ثم أتى الخبر بأن أبا يزيد هذا مات في طريقه فحمل رأسه إلى مدينة السلام ونصب على سور السجن الجديد .

(1) ذكره المؤلف أيضاً في وفيات السنة التى قبلها ولعل ذلك سهو من المؤلف، لأن غيره من المؤلفين ذكره فى وفيات سنة أربع وثلاثمائة .

(2) كان ديناً صالحاً أوحد الناس فى البيان والمعرفة بالعربية واللغة والنسر . وإنما قيل له؛ الحامض لشراسة اخلاقه ، له تصانيف كثيرة وأوصى بكتبه لأبى فاتك المقتدرى بخلاً بها أن تصير إلى أحد من أهل العلم ، وذكر بعض المؤلفين رفاته سنة خمس وثلاثمائة .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثمائة

في هذه السنة في المحرم وصل رسولان من ملك الروم إلى المقتدر يطلبان المهادنة والفداء فأكرما اكراماً كثيراً . وأدخلا على الوزير وهو في أكمل أبهة وقد صف الأجناد بالسلاح والزينة التامة وأديا الرسالة إليه . ثم أنهما دخلا على المقتدر وقد جلس لهما واصطف الأجنادُ بالسلاح والزينة التامة واديا الرسالة فأجابهما المقتدر إلى ما طلب ملك الروم من الفداء . وسير مؤنساً الخادم ليحضر الفداء ، وجعله أميراً على كل بلد يدخله يتصرفُ فيه على ما يريد إلى أن يخرجَ عنه ، وسيَّر معه جمعاً من الجنود وأطلق لهم أرزاقاً واسعة، وأنفذ معه مائة ألف وعشرين ألف دينار لفداء أسارى المسلمين . وسار مؤنس والرسل ، وكان الفداء على يد مؤنس . وفيها أطلق أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان وإخوته ، وأهل بيته من الحبس ، وكانوا محبوسين بدار الخليفة وقد تقدم ذكر حبسهم وسببه . وفيها مات العباس بن عمرو الغنوي ، وكان متقلداً أعمال الحرب بديار مضر ، فجعل مكانه وصيف البكتمري فلم يقدر على ضبط العمل ، فعزل وجعل مكانه جني الصَّفواني فضبطه أحسن ضبط . وفي هذه السنة كانت بالبصرة فتنة عظيمة . وسببها أنه كان الحسن بن الخليل بن رمال متقلداً أعمال الحرب بالبصرة ، وأقام بها سنين وجرت بينه وبين العامة من مضر وربيعة فتن كثير وسكنت . ثم ثارت بينهم فتنة اتصلَتْ ، فلم يمكنه الخروج من منزله برحبة بني نُمير ، واجتمع الجند كلهم معه ، وكان لا يوجد أحد منهم في طريق إلّا قُتِلَ حتى حُوصِرَتْ ، وعُوِّرَتْ القناةُ الي يجري فيها الماء إلى بني نمير فاضطر إلى الركوبِ إلى المسجد الجامع ، فقتل من العامة خلقاً كثيراً . فلما عَجِزَ عن إصلاحهم خرج هو ومعه الأعيان من أهل البصرة إلى واسط " فعزل عنها واستعمل أبو دلف هاشم بن محمّد الخزاعي عليها ، فبقي نحو سنة وصُرِفَ عنها . ووليها سبك المفلحي. نيابة عن شفيع المقتدري "

وفيها عُقِد لثمال الخادم على الغزاة في بحر الروم وسار. وفيها غزا جني الصفواني بلاد الروم ، فغنم ونهب وسبى وعاد سالماً . وفي هذه السنة مات أبو خليفة المحدّث البصري (١) . وفيها فِي جُمادى الأولى مات أبو جعفر بن محتد بن عثمان العسكري المعروف بالسَّمان ويُرَفُ أيضاً بالعُمري رئيس الأمامية . وكان يدعي أنه الباب إلى الامام المنتظر . وأوصى إلى أبي القاسم بن الحسين بن روح . وفي آخرها توفي أحمد بن محمد بن شُريح ، وكان عالماً بمذهب الشافعي .

(١) واسمه الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب أبو خليفة الجمحي البصري كان رحلة الآفاق في زمانه واسم أبيه عمرو ولقبه الحباب ولد سنة. ست ومائتين وكان محدثاً ثقة راوية للأخبار فصيحاً مفوهاً اديباً .

ثم دخلت سنة ست وثلاثمائة

ذكر عزل ابن الفرات ، ووزارة حامد بن العباس

في هذه السنة في جُمادى الآخرة قُبِضَ على الوزير أبي الحسن بن الفرات ، وكانت مدَّة وزارتهِ هذه – وهي الثانية – سنة واحدة وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً. وكان سبب ذلك أنه أخر اطلاق أرزاق الفرسان واحتج عليهم بضيق الأموال ، وأنها أخرجَتْ في محاربةِ ابن أبي الساج ،وأن الأرتفاع نقص بأخذ يوسف أموال الري وأعمالها ، فشَغُبَ الجندُ شغباً عظيما وخرجوا إلى المصلى ، والتمسَ ابن الفرات من المقتدر اطلاق ، مائتي الف دينار من بيتِ المال الخاصة، ليضيفَ إليها مائتي ألف دينار يحصلها ، ويصرف الجميع في أرزاق الجند . فاشتد ذلك على المقتدر وأرسل إليه أنك ضمنت ، أنك ترضي جميع الأجناد، وتقوم بجميع النفقات الراتبة على العادة الأوّلة ، وتحمل بعد ذلك ما ضمنْتَ انك تحمله يوماً بيوم فأراك تطلبُ من بيت المال الخاصة . فاحتج بقلتةَ الارتفاع وما أخذه ابن أبي السَّاج من الارتفاع وما خرج على محاربته ، فلم يسمع المقتدر حجته وتنكَر له عليه . وقيل ج كان سبب قبضه أن المقتدر قيل له : إن ابن الفرات يريد إرسال الحسين بن حمدان إلى ابن أبي السَّاج ليحاربه ، وإذا صار عنده اتفقا عليك ، ثم إن ابن الفرات قال للمقتدر في إرسال الحسين إلى ابن أبي السَّاج . فقتل ابن حمدان في جُمادى الأولى ، وقبض على ابن الفرات في جُمادى الآخرة .

ثم ان بعض العمال ذكر لابن الفرات ما يتحصل لحامد بن العباس من أعمال واسط زيادة على ضمانه فاستكثره ، وأمره أن يكاتبه بذلك فكاتبه فخاف حامد أن يؤخذ ويطالب بذلك المال ، فكتب إلى نصر الحاجب وإلى والدة المقتدر ، وضمن لهما مالاً ليتحدثا له في الوزارة . فذكر للمقتدر حاله وسعة نفسه ، وكثرة أتباعه وأنه له أربعمائة مملوك يحملون السلاح . واتفق ذلك عند نفره المقتدر عن ابن الفرات فأمره بالحضور

من واسط فحضرَ ، وقبض على ابن الفرات ، وولده المحسن وأصحابهما ،

واتباعهما . ولما وصلَ حامد إلى بغددَ أقام ثلاثة أيام في دار الخليفة ، فكان يتحدث مع الناس ويضاحِكهُم ويقوم لهم ، فبان للخدم ، ولأبي القاسم بن الحواري ، وحاشية الدار قلة معرفته بالوزارة . وقال له حاجبه : يا مولانا الوزير يحتاج إلى لبسه وجلسه وعبسه . فقال له : " تعني أن نلبس ونقعد فلا نقوم لأحد ، ولا نضحك في وجه أحد ، ولا نحدثَ أحداً ؟ قال : نعم قال حامد : " إن الله أعطاني وجهاً طلقاً ، وخلقاً

حسناً ، وما كنت بالذي أعبس وجهي ، وأقبح خلقي ت لأجل الوزارة " . فعابوه عند المقتدر ونسبوه إلى الجهل بأمور الوزارة ، فأمر المقتدر باطلاق عليّ بن عيسى من محبسه وجعله يتولى الدواوين شبه النائب عن حامد فكان يراجعه في الأمور ويصدر عن رأيه ، ثم انه استبد بالأمر دون حامد ولم يبقَ إلى حامد غير إسم الوزارة ، ومعناها لعليّ حتى قيل فيهما :

هذا وزير بلا سوادِ وذا سوادِ بلا وزيرُ

ثم إن حامداً أحضر ابن الفرات ليقابله على أعماله ووكَّل بمناظراته عليّ بن أحمد

الماذرائي ليصحَحَ عليه الأموال فلم يقدر ، على إثبات الحجَّة عليه . فانتدب له حامد وسبه ونال منه وقام إليه فلكَمَهُ . وكان حامد سفيهاً ، فقال له ابن الفرات : " أنت على بساط ابن السلطان وفي دار المملكة ، وليس هذا الموضع مما تعرفه من بيدر تقسمه ،أو غلة تستفضل في كيلها ولا هو مثل أكار تشتمه " . ثم قال لشفيع اللؤلؤي : قل لأمير المؤمنين عني : إن حامداً إنما حمله على الدخول في الوزارة وليس من أهلها أنني أوجبْتُ عليه أكثرَ من ألفي ألف دينار من فضل ضمانه وألححْتُ في مطالبته بها فظن أنها تندفع عنه بدخوله في الوزارة ، وأنه يضيف إليها غيرها فاستشاط حامد وبالغ في شتمه .

فأنفذ المقتدر فأقام ابن الفرات من مجلسه وردَّه إلى محبسه . وقال عليّ بن

عيسى ، ونصر الحاجب لحامد : قد جنيْتَ علينا وعلى نفسك جناية عظيمة بما فعلته بابن الفرات وأيقظْتَ منه شيطاناً لا ينام . ثم ان ابن الفرات صودر على مالٍ عظيم وضرب ولده المحسن وأصحابه وأخذ منهم أموال جمة .

وفي هذه السنة عزل نزار عن شرطة بغداد ، وجعل فيها نجح الطولوني ، وجعل

في الارباع فقهاء يكون عمل أصحاب .الشرطة بفتواهم فضَعُفَتْ هيبةُ السلطنة بذلك .

وطمع اللصوص والعيارون ، وكثرت الفتن وكبست دُورُ التجار ، وأخذت بنات الناس في الطريق المنقطعة وكثر المفسدون .

ذكر ارسال المهدي العلوي العسكر إلى مصر

وفي هذه السنة جهز المهدي صاحب أفريقية جيشاً كثيفاً مع ابنه القاسم وسيرهم

إلى مصر– وهي المرة الثانية – فوصل إلى الاسكندرية في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة ، فخرج عاملُ المقتدر عنها ودخلها القائمُ ورحل إلى مصرَ ، فدخل الجيزة ، وملك الأشمونين ، وكثيراً من الصعيد . وكتب إلى أهل مكة يدعوهم إلى الدخول في طاعته فلم يقبلوا منه . ووردت بذلك الأخبار إلى بغداد فبعث المقتدر بالله مؤنساً الخادم في شعبان ، وجدً في السيّر ، فوصل إلى مصر ، وكان بينه وبين القائم عدة وقعات . ووصل من أفريقية ثمانون مركباً نجدة للقائم ، فأرست بالاسكندرية وعليها سليمان الخادم ، ويعقوب الكُتامي وكانا شجاعين . فأمر المقتدر بالله أن يسيّر مراكبَ طرسوس إليهم ، فسار خمسة وعشرون مركباً ، وفيها النفط والعدد ومقدمها أبو اليمن . فالتقت المراكب بالمراكب واقتتلوا على رشيد ، فظفر أصحاب مراكب المقتدر ، وأحرقوا كثيراً من مراكب أفريقية . وهَلَكَ أكثرُ أهلها وأسِرَ منهم كثير ، وفي الأسرى سُليمان الخادم ، ويعقوب ، فقتل من الأسرى كثير واطلق كثير . ومات سُليمان في الحبس بمصرَ وحمل يعقوب إلى بغداد ثم هرب منها ، وعاد إلى افريقية ، وأما عسكر القائم فكان بينه وبين مؤنس وقعات كثيرة ، وكان الظفر لمؤنس فلقِّب حينئذ بالمظفَر ، ووقع الوباء في عسكر القائم والغلاء ، فمات منهم كثير من الناس والخيل ، فعاد من سلم إلى أفريقية ، وسار عسكر مصر في أثرهم حتى أبعِدُوا فوصلَ القائم إلى المهدية في رجب من السنة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا بشر الأفشيني بلاد الروم فافتتح عدَّةَ حصون وغَيمَ وسَلِمَ ،

وغزا ثمال في بحر الروم ، فغنم وسبى وعاد . وكان على الموصل أبو أحمد بن حماد الموصلي .

وفيها دخل جني الصفواني بلاد الروم ، فنهب وخرَّبَ وأحرق وفتح وعاد ، فقرئت الكتب على المنابر ببغداد بذلك . وفيها رقعت فتنة ببغداد بين العامة ،

والحنابلة فأخذ الخليفة جماعة منهم ، وسيرهم إلى البصرةَ فحبسوا . وفيها أمر المقتدر ببناء بيمارستان (ا) فبنى ، وأجرى عليه النفقات الكثيرة ، وكان يسمى البيمارستان المقتدري . وفيها توفّي القاضي محمد بن خلف بن حيَّان أبو بكر الضبي المعروف بوكيع ، وكان عالماً بأخبار الناس وغيرها وله تصانيف حسنة(2) . والقاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سُريج الفقيه الشافعي وله سبع وخمسون سنة(3) . وفيها مات كُنيزُ المغني وهو مشهور بالحذق في الغناء(4)

(كُنيزَ) بضم الكاف وفتح النون وآخرها زاي .

(1) البيمارستان - بكسر الباء الموحدة وسكون الياء بعدها وكسر الراء - ومعناها دار المرضى قال يعقوب : بيمار عندهم هو المريض ، واستان المأوى .

(2) من تصانيفه كتاب عدد اى القران ولى القضاء بالأهواز .

(3) هو أحد أئمة الشافعية وأعلم من بقي بمذهب الشافعى وأقومهم به ويلقب بالباز الأشهب أخذ الفقه عن أبى قاسم الانماطى وعن أصحاب الشافعى كالمزنى وغيره وعنه انتشر مذهب الشافعى فى الآفاق . صنف نحو أربعمائة مصنف .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثمائة

في هذه السنة ضَمِنَ حامدُ بن العبّاس أعمال الخراج والضِّياع الخاصة ،

والعامة ، والمستحدثة ، والفراتية بسواد بغداد ، والكوفة ، وواسط ، والبصرة ، والأهواز ، وأصبهان. وسبب ذلك أنه لما رأى أنه قد تعطل عن الأمر والنهي وتفرد به علىّ بن عيسى شرع في هذا ليصيرَ له حديثٌ وأمر ونهي . واستأذن المقتدر في الانحدار إلى واسطَ ليدبر أمر ضمانه الأول ، فأذِنَ له في ذلك ، فانحدر إليها واسم الوزارة عليه ، وعلىّ بن عيسى يدبر الأمور . وأظهر حامد زيادة ظاهرة في الأموال ، وزاد زيادة متوفرة فسر المقتدر بذلك وبسط يدَ حامد في الأعمال حتى خافه عليّ بن عيسى . ثم إن السعر تحرك ببغداد فثارت العامة ، والخاصة لذلك واستغاثوا وكسروا المنابر ، وكان حامد يخزن الغلال وكذلك غيره من القوّاد ، ونهبت عدة من دكاكين الدقاقين فأمر المقتدر بإحضار حامد بن العبّاس ، فحضر من الأهواز فعاد الناس إلى شغبهم ، فانفذ حامد لمنعهم فقاتلوهم وأحرقوا الجسرين ، وأخرجوا المحبسين من السجون ، ونهبوا دار صاحب الشرطة، ولم يتركوا له شيئاً .

فأنفذ المقتدر جيشاً مع غريب الخال ، فقاتل العامة فهربوا من بين يديه ، ودخلوا الجامع بباب الطاق ، فوكل بأبواب الجامع ، وأخذ كل من فيه ، فحبسهم وضرب بعضهم ، وقطع أيدي من يعرف بالفساد . ثم أمر المقتدر من الغد فنودي في الناس بالأمان فسكنت الفتنة .

ثم إن حامداً ركب إلى دار المقتدر في الطيار فرجمه العامة ، ثم أمر المقتدر بتسكينهم فسكنوا ، وأمر المقتدر بفتح مخازن الحنطة ، والشعير التي لحامد ولأم المقتدر ، وغيرهما وبيع ما فيهما، فرخصت الأسعار وسكن الناس ، فقال علىّ بن

عيسى للمقتدر : إن سبب غلاء الأسعار إنما هو ضمان حامد ، لأنه منع من بيع الغلال في البيادر وخزنها . فأمر بفسخ الضمان عن حامد وصرف عماله عن السواد. وأمر علىّ بن عيسى أن يتولى ذلك فسكن الناس واطمأنوا . وكان أصحاب حامد يقولون : إن ذلك الشغب كان بوضع من علىّ بن عيسى .

ذكر أمر أحمد بن سهل

في هذه السنة ظفر الأميرُ نصر بن أحمد صاحب خراسان وما وراء النهر بأحمد بن سهل ، ونحن نذكر حاله من أؤله ، كان هذا أحمد بن سهل من كبار قوّاد الأمير إسماعيل بن أحمد وولده أحمد بن إسماعيل وولده نصر بن أحمد . وقد تقدم من ذكر تقدمه على الجيوش في الحروب ما يدل على علوّ منزلته . وهو أحمد بن سهل بن هاشم بن الوليد بن جبلة بن كامكار بن يزدجر بن شهريار الملك . وكان كامكار دهقاناً بنواحي مرو وإليه ينسب الورد الكامكاري - وهو الشديد الحمرة - وهو الذي يسمى بالري القصراني ، وبالعراق والجزيرة ، والشام الجوري . ينسب إِلى قصران وير قرية بالريّ وإلى مدينة جور- وهي من مدن فارس - وكان لأحمد اخوة يقال لهم : محمد . والفضل . والحسين قتلوا في عصبية العرب والعجم بمرو . وكان أحمد خليفة عمرو بن الليث على مرو فقبض عليه عمرو ، ونقله إلى سجستان فحبَسَهُ بها . فرأى وهو في السجن كأن يوسف النبي عليه السلام على باب السجن فقال له : ادع الله أن يخلصني ويولّيني فقال له : قد أذن الله في خلاصك لكنكَ لا تلي عملاً برأسك . ثم ان أحمد طلب الحمام فأدخِلَ إليها فأخذ النورة ، فطلى بها رأسه ، ولحيته فسقط شعره وخرج من الحمام ولم يعرفه أحمد فاختفى، فطلبه عمرو فلم يظفر به ، ثم خرج من سجستان نحو مرو فقبض على خليفة عمرو واستولى عليها ، واستأمن إلى اسماعيل بن أحمد ببُخارى فأكرمه وقدمه ، ورفع قدرَهُ وكان عاقلاً كتوماً لأسراره . فلما عصى الحُسين بن علي سيًّر إليه أحمد فظفر به على ما ذكرناه ، وضمن له الأمير نصر أشياء لم يفِ له بها ، فاستوحش من ذلك ، فأتاه يوماً بعض أصحاب أبي جعفر

صعلوك ، فحادثه فأنشده أحمد بن سهل ، وقد ذكر حاله ، وأنهم لم يفوا له بما وعدُوه .

ستقطَعُ في الدنيا إذا ما قطعتني   يمينُكَ ، فأنظر أيّ كفيكَ تبدلُ
وفي الناس إن رثت حبالُكَ واصل   وفي الأرض عن دارِ العلا متحولُ

إذا أنتَ لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل

وتركبُ حدَّ السيفِ من أن تضيمَهُ إذا لم يكنْ عن شفرةِ السيفِ مرحِل

اذا انصرفَتْ نفسي عن الشيءِ لم تكدْ إليه بوجهٍ آخر الدهر تقبل

قال ؛ فعلمت أنه قد أضمر المخالفة ، فلم تمضِ إلّا أيام حتى خالفه بنيسابورَ ، واستولى عليها ، وأسقط خطبة السعيد نصر بن أحمد ، وأنفذ رسولاً إلى بغداد يخطب له أعمال خراسان . وسار من نيسابور إلى جرجان وبها قراتكين فحاربه ، واستولى عليها وأخرجٍ قراتكين عنها . ثم عاد إلى خراسان ، وقصد مرو ، فاستولى عليها وبنى عليها سورا وتحصَّنَ بها . فأرسل إليه السعيد نصر الجيوش مع حمويه بن علي من بُخارى ؛ فوافى مرو الروذ فأقام بنواحيها ليخرج إليه أحمد بن سهل منها ، فلم يفعل. ودخل بعض أصحاب أحمد عليه يوماً وهو يفكر بعد نزولِ حمويه عليه ، فقال له صاحبه :لا شك ان الأمِير مشغولُ القلبِ لهذا الخطبِ فما هو رأي الأمير؟ فقال : ليس بي ما تظن ولكن ذكرت رؤيا رأيتها في حبس سجستان وذكر قول يوسف الصَّديق عليه السلام : إنكَ لا تلي عملاً برأسك ، قال : فقلت له : ان القومَ يغتنمون سلمك ، ويعطونك ما تريد فإن رأيت .أن يتوسط الحال ، فعلنا ، فانشد :

سأغسِلُ عنّي العارَ بالسيفِ جالباً على قضاء الله ما كان جالبا

ولما رأى حمويه أنه لا يخرج إليه من مروَ عمل الحيلة في ذلك فجعل يقول : قد أدخلت ابن سهل فيِ جحر فأر وسددت عليه وجوه الفرار وأشباه هذا من الكلام ليغضبَ أحمد فيخرج ، فلم يفعل ذلك . فحينئذ أمر حمويه جماعة من ثقاتِ قوّاده ، فكاتبوا أحمد بن سهل سراً وأظهروا له الميْلَ ودعوه إلى الخروجِ من مرو ، ليسلموا إليه حمويه ،

فأجابهم إلى ذلك ، لما في نفسه من الغيظ على حمويه . فخرج عن مرو نحو حمويه فالتقوا على مرحلة من مرو الروذ في رجب سنة سبع وثلاثمائة . فانهزم أصحاب أحمد ، وحارب هو إلى أنْ عجزت دابته ، فنزل عنها ، واستأمن فاخذ أسيراً ، وأنفذوه إلى بُخارى فمات بها في الحبس في ذي الحجة من سنة سبع وثلاثمائة –وكان الأمير أحمد بن اسماعيل بن أحمد يقول : لا ينبغي لأحمد بن سهل أن يغيب عن باب السُّلطان ، فانه إن غاب عنه أثارَ شغلاً عظيماً كأنه كان يترسم فيه ما فعل ، فهكذا ينبغي أن تكون فراسة الملك .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وقع حريق بالكرخ (1) من بغداد ، فاحترق فيه كثيرٌ من الدُّورِ والناس . وفيها قلَّدَ إبراهيم بن حمدان ديار ربيعة ، وقلد بني بن نفيس شهرزور ، فامتنعت عليه فاستمد المقتدر فسير اليه جيشاً ، فحصرها ولم يفتحها وقلّد القتال بالموصل وأعمالها . وفيها أوقعَ ثمال متولي الغزوِ في البحر بمراكب للمهديِّ العلوّي صاحب أفريقية ، وقتل جماعة ممن فيها وأسر خادماً له .

وفيها انقضَّ كوكبٌ عظيمٌ ، فاشتد ضوؤه ، وعظم ، وتفرّق ثلاثَ فرقٍ ، وسمع

عند انقضاضهِ ، مثل صوتِ الرعدِ الشديد ، ولم يكن في السماء غيمٌ . وفيها كانت فتنة بالموصل بين أصحاب الطعام وبين الأساكفة، واحترَق سوق الأساكفة ، وما فيه . وكان الوالي على الموصل وأعمالها العبّاس بن محمد بن اسحاق بن كنداج وكان خارجاً عن البلد فسمع بالفتنة فرجع ليوقع بأهل الموصل فعزموا على قتاله ، وحصَّنوا البلد ، وسدُّوا الدروب . فلما علمَ بذلك ، ترك قتالهم ، وأمر الأعراب بتخريب الأعمال ، فصاروا يقطعون الطريق على الجسر ، وفي الميدان ويقاسمونه فخربَ البلد. فبلغ الخبر إلى الخليفة فعزلهُ سنة ثمانٍ وثلاثمائة . واستعمل بعده عبد الله بن محمد الفتَّان وكان عفيفاً صارماً كف الأعراب عن البلد . وفيها توفي أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى الموصل صاحب المسند بها(2) .

(1) في البداية والنهاية 11 / 139 " بالكرخ في الباقلانتين" .

(2)هو الحافظ أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال أبو يعلي التميمي الموصلي صاحب المسند ، كان أماماً عالماً محدثاً ، فاضلاً وثقه ابن حبان البستمي ووصفه بالاتقان والدين وقال بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أنفس .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثلاثمائة

في هذه السَّنة خَلَعَ المقتدرُ على أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان ، وقلد طريق خراسان والدينور ، وخلع على أخويه أبي العلاء وأبي السرايا .

وفيها وصل رسولُ أخي صعلوك بالمال والهدايا والتحفِ ويخبر باستمراره على الطاعة للمقتدر بالله . وفيها توفي إبراهيم بن حمدان في المحرم . وفيها قلد بدر لا الشرابي دقوقاً وعكبرا وطريق الموصل ، وفيها توفي إبراهيمُ بن محمد بن سفيان صاحبُ مسلم بن الحجاج ، ومن طريقه يروَى صحيح مسلم إلى اليوم .